صدام حسين

بطل فى زمن الهوان

محمود بكرى

د. محمد الباجس

G.S.MAGRABY

دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

إهـــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

صدام حسين
بطل فى زمن الهوان

محمود بكرى

د.محمد الباجس

إهـــداء

إلى المقاومة العراقية الباسلة..

وكل الشرفاء المقاومين فى وطننا العربى..

الباذلين حياتهم فداء لشرف الوطن.. وذودًا عن شعوبهم المطحونة، تصارع من أجل البقاء.. وقد تكاثر عليها الأعداء.. وحلت بها النوازل.. غيلان الداخل تنهش لحم الحى.. وتعبُّ دمه.. لا ترى فى الوطن غير ما يتخم الجوف.. ويراكم المال.. سرقة.. أو خيانة.. أو بيعًا للوطن ذاته.. وقد فتحت أبوابه لغيلان تتدفق من وراء المحيط.. تجهل التاريخ.. وتعادى الحضارة.. وتدوس بأقدامها الغليظة كل شىء.. تريد إعادتنا لعصور ما قبل التاريخ..

وأمام كل ذلك.. فقد أصبح الخيار واضحًا وضوح الشمس فى رابعة النهار: الاستكانة.. والركوع.. أمام غيلان الداخل وغيلان الخارج.. أو التصدى بكل ما نملك من معطيات التاريخ.. ونبل الحضارة.. دفاعًا عن شرف الإنسان.. وجلال الحق..

والمقاومة دائمًا.. قدر الشرفاء..

.. المؤلفان..

اسم الكتاب: صدام حسين .. بطل فى زمن الهوان

المؤلفان: محمود بكرى . د.محمد الباجس

الطبعة الأولى: ٢٠٠٧

الناشر: الأسبوع للصحافة والطباعة والنشر

العنوان: ٤٥ شارع شامبليون . خلف دار القضاء العالي . القاهرة

تليفون: ٢٥٧٦٢٥٦٣

فاكس: ٢٥٧٩٤٠٥٦

بريد الكترونى: mahmoudbak@hotmail.com

كلمة لابد منها

هذا الكتاب لم يكن الأول، ولن يكون الأخير فى سلسلة الكتب والدراسات التى تناولت وسوف تتناول سيرة صدام حسين ونظامه، وسط تشابكات الواقع.. ومعطيات التاريخ والجغرافيا.. والتى سوف تتعدد، وتتباين، بعد عبور مرحلة الإفاقة جراء التفريغ المروع إثر الهجمة الأمريكية الشرسة.. وتأثيراتها التى هومت بالكثيرين خارج نطاق الجاذبية الوطنية وقوانينها.. فغامت الرؤية.. ووهنت الإرادة.. وتفرق السابحون فى الفراغ، لا يجتمعون على رأى.. ولا يلتقون على كلمة سواء.. فاستسلم البعض دون مقاومة لآلة الإعلام العربية الرسمية.. التى جاهدت لإخفاء عجز الأنظمة.. وتواطئها.. بتوجيه اللوم للضحية.. وتعليق جرائم المعتدى الباغى فى رقبتها.

وانفلت البعض الآخر مشوش الوعى.. ضائق الصدر.. يصب جام تشوشه.. وشعوره بالعجز.. على صدام حسين ونظامه.. غير مدرك أن هجومه يتم متساوقاً مع الغزو الأمريكى.. وخادمًا ومبررًا له..

ولم يستح البعض من إعلان الشماتة والتشفى.. والشماتة لؤم.. ونوع من الخسة.. ومن العار على الشامت - حتى لو كان معارضا لصدام ونظامه - أن يعلن ابتهاجه لأسر صدام واغتياله من قبل قوة احتلال.. انتهكت الوطن.. وداست كل مقدراته.. ومزقته.. وقتلت أكثر من مليون.. وسرقت ثرواته.. ونهبت تراثه.. وتعمل على إعادته إلى العصور الوسطى..

وحاول البعض التمسح بالمشاعر الإنسانية.. تبريرًا لموقفه.. فاتهم صدام حسين بالقسوة.. متغافلاً عن قسوة الأنظمة العربية كلها مع المعارضة.. التى لا تملك غير الكلمة.. والشعار.. والتظاهرات السلمية المحدودة، فى الوقت الذى كانت فيه المعارضة العراقية جيوشاً نظامية.. تم تدريبها على أيدى خبراء عسكريين إسرائيليين.. الأكراد فى

الشمال بعلاقاتهم الممتدة مع إسرائيل.. والسعى لتكرار تجربة غرسها كدولة مفروضة وسط محيط عربى.. وهو نفس السعى الكردى.. وقطاعات من الشيعة فى الجنوب حيث وفرت لها إيران الشاهنشاهية كل إمكانيات التدريب والتسليح.. ومن بعدها إيران آيات الله التى صارت على نفس الدرب.. وقد اتضح كل ذلك للقاصى والدانى.. عندما احتشدت جيوش بدر وميليشيات حزب الدعوة.. وفيالق الشيعة بأنواعها على الحدود الشرقية للعراق.. كما احتشدت جيوش الأكراد فى الشمال.. انتظارًا لقوات الغزو الأمريكية، وكأنهم على موعد معها، وما قامت به جيوش المعارضة العراقية معروف ومحفور فى الذاكرة. وفى النهاية.. قد يكون صدام حسين قاسيًا، وظالمًا، وقل فيه ما شئت، إلا أنه لم يكن عميلاً.. وهو ما يكفيه شرفًا إذا ما قورن بغيره من الفاسدين.. والطغاة.. والعملاء فى نفس الوقت..

وهناك فريق انتحى جانبًا، مدعيًا الحكمة .. يقر لصدام حسين ونظامه ببناء العراق الحديث الموحد، القوى .. ولكنه يتمحك فى مقولة: (العبرة بالنتائج).. وهى مقولة تتردد على ألسنة المعلقين الرياضيين على مباريات كرة القدم، ولكنها لا تصمد، ولاتصلح ولا يجب الالتفات إليها عندما نتصدى لما نحن فيه؛ لأن العبرة ليست بالنتائج.. ولكن بالمبدأ والوسيلة.. ولو أن كل شعب محتل.. مسلوب حريته تبنى هذه المقولة لبقيت شعوب كثيرة ترزح تحت الاحتلال.. وتعانى القهر والعنت، واستلاب الحرية، ولبقى الاستعمار بكل أشكاله وطرائقه جاثمًا على صدور الغالبية من الشعوب، التى ناضلت على مدى سنوات طويلة، وقدمت أجيالاً من الضحايا.. ولم تستكن أمام قوى جبارة يصعب تصور الانتصار عليها.. ولكنه المبدأ.. والوسيلة الشريفة، التى دفعت تلك الشعوب إلى النهوض بعد كل هزيمة.. ومعاودة النضال.. حتى تم لها الانتصار فى النهاية، لأن تبنى مقولة العبرة بالنتائج يعنى التخلى عن النفس، وفقدان القدرة على الفعل والصمود.. والصحيح أن العبرة بالمبدأ والوسيلة، حيث لا يمثل الانتصار فى النهاية قيمة فى حد ذاته بقدر ما يمثل تتويجًا لوسيلة صحيحة.. ومبدأ شريف.

وباختصار شديد.. فإن ما جرى ويجرى لـ(القطر الشقيق).. وغزو الجيوش الأمريكية للعراق.. كقوة احتلال.. لأول مرة فى تاريخ المنطقة.. والصمت العربى المشين.. قد ولَّد نوعًا من الفرز بين المثقفين العرب.. فتباينت المواقف.. وتعددت الآراء والرؤى.. ما بين معارض يبحث عن ذرائع للمعارضة.. ومؤيد يرى فى صدام حسين بطلاً متفردًا فى

زمن الهوان العربى .. أبى عليه حسه القومى أن يرضخ لأمريكا كما رضخ الآخرون .. وأن ينحنى أمام العاصفة التى انبطح أمامها غيره .. وصمد مع شعبه عبر سنوات طويلة من الحصار والعدوان، والابتزاز من قوى الداخل وولاءاتها الممتدة خارج الحدود .. وقوى التسلط الأمريكى الصهيونى .. ومحيط عربى مجبر على الصمت .. وإعلان العداء ـ حتى لو لم يكن يضمره ـ إرضاء للسيد الأمريكى.

وإن كان البعض يعتقد أن الوقت لم يحن بعد لتشكل المواقف الصحيحة للمثقفين العرب الذين ألقوا بكلماتهم العجلى المتسرعة تحت ضغوط المباغتة الشرسة وحسابات وتحسبات المثقفين، التى تفرض قيودًا إضافية على الرأى والرؤية، وتجعلهم يتحسسون وقع كلماتهم وتأثيراتها، وما يمكن أن يحسب لهم أو عليهم.

ولكن الأمر المؤكد، أن ما جرى قد حفر أخدودًا عميقًا بين المثقفين، والجماهير العربية التلقائية .. التى تقودها فطرتها ـ وحسها الإنسانى والوطنى، وقد أثبتت أنها ـ رغم الإعلام الرسمى الضاغط، والكلمات الملتوية بالكذب، والنفاق، والخوف ـ تكن تقديرًا عميقًا لصدام حسين ونظامه، وشعبه،وترى فيه بطلها الذى خرج ـ وحده ـ يناطح القوى الكبرى الباغية، ويتحدى الشيطان .. وكان عزاؤها الأكبر رفضه القاطع لكل أشكال المساومة والانحناء، ووقفته الشامخة، مرفوع الرأس، عالى الجبين .. ممتلئًا بالثقة، والإحساس بالكرامة، تحت مقصلة الجلاد، فى زمن عزت فيه تلك المشاعر، وغابت عنه تلك المعانى، وحل محلها ما يدمى القلوب، ويستلب العقول، ويلطخ نفوس الشرفاء وضمائرهم بأوحال الانهزامية .. والتبعية .. والرضوخ.

وهذا الكتاب، مجرد محاولة ، للمشاركة بالرأى والرؤية، واصرار على النفاذ داخل الضباب المتراكم، الذى يلف كل شىء، ويحجب الرؤية عن العقول، وهو أولاً وآخرًا، كلمة لوجه الله والوطن.

محمود بكرى   **د.محمد الباجس**

صدام .. ذلك البطل التراجيدى

«يتأكد سمو البطل التراجيدى في مواجهته للموت المحتوم، ومقاومته حتي اخر لحظة في حياته، تحقيقًا لذاته الإنسانية، وتأكيداً لموقف الإنسان «النبيل» ورفضه الإستسلام» .

الذى يعيد تأمل كتاب فن الشعر الذى صنفه أرسطو فى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد - قانونًا للدراما لم يزل فاعلاً حتى الآن - يصاب بدهشة بالغة.. حيث يفرد جزءًا غير هين من سفره الهام للحديث عن البطل التراجيدى.. حديثًا عميقًا متشعبًا محيطًا.. لا يترك ثغرة لمحلل أو باحث، أو عالم نفس، يحاول من خلالها أن يضيف شيئًا.. أو يبدى غير الدهشة من تلك الإحاطة البليغة.. والغوص إلى أعماق النفس، فى إطار من رصد وفهم الواقع.. والمواضعات الاجتماعية والسياسية القائمة، والعلاقات الجدلية التى تضبط التفاعل بين كل ذلك..

كان المجتمع الإغريقى وقتها.. يموج بالصراعات.. صراعات بين آلهة اليونان القديمة.. وبينهم وبين البشر.. وبين وقت وآخر يتقدم بطل.. أو تدفعه المقادير.. ليقود الصراع ضد تلك القوى القدرية.. معتمدًا على قدراته الذاتية، وتأثيره على الجموع التى تندفع من خلفه لخوض أتون الصراع.. الذى ينتهى عادة لصالح الآلهة، وجبروتها.. بعد تعثر البطل فى سقطة محتومة تقضى عليه.. ولكن الجموع لا تنسى للبطل مواقفه.. وسعيه للخير من وجهة نظره.. فيتحول إلى رمز ومعنى.. ودافع قوى لمعاودة المحاولة.. من خلال أبطال آخرين.. تدفعهم أقدارهم إلى نفس الطريق.. مع حرص شعبى على إعادة تمثيل ما جرى.. محاكاته.. واستيحائه فى احتفالات قومية،. تمجد أبطاله.. وتتأسى بسيرتهم.. وهى الأعمال التراجيدية المأساوية التى وصفها

أرسطو بأنها «محاكاة لفعل جاد، كامل.. ونبيل.. عن طريق أشخاص يفعلون.. لا عن طريق السرد.. على أن تثير عاطفتى الخوف والشفقة مما يؤدى إلى التطهير»..

ولأن التراجيديات اليونانية تدور حول قضايا سامية.. فقد أكد أرسطو ضرورة أن يكون الأبطال على درجة من السمو والتميز.. أنصاف آلهة.. أو بشر غير عاديين.. يتميزون بصفات خاصة.. وسلوك متفرد.. وتأثير لا يقاوم..

والبطل التراجيدى نموذج بين القول والفعل.. وثبات المواقف.. لا يتبدل أو يتحول وسموه ونبله لا يتعلقان بشىء آخر غاير سلوكه وأفعاله ونواياه المضمرة.. وعندما تحل به الهزيمة.. فليس لإثم ارتكبه.. وإنما لخطأ كبير.. قدرى.. سقطة.. نوع من العقاب بلا ذنب يعرفه، أو يقصد فعله.. بل ربما يكون عقابًا على ثواب.. وهو قصاص من البطل.. قد يكون نوعًا من الحسد الإلهى.. أو الغيرة.. وليس صادرًا عن رغبة الآلهة فى اقرار النظام والعدل على الأرض فقط.. بل لإقرار نوع من النظام الكونى الذى يقوم على أساس من العدالة المبهمة.. وليس العدالة كما نفهمها وننشدها.. فالبطل التراجيدى فى النهاية يشقى لسموه.. لا لوضاعته..

والأبطال التراجيديون ليسوا هم المقصودين لذواتهم فقط.. ولكنهم بمثابة الفداء.. ورموز للجنس البشرى كله.. والسقطة تدمر البطل.. لكنها لا تنقص من قدره.. بل تزيد من اعجاب الناس به.. واشفاقهم عليه...

ويتأكد سمو البطل التراجيدى فى مواجهته للموت المحتوم.. ومقاومته حتى آخر لحظة فى حياته.. تحقيقًا لذاته الإنسانية.. وتأكيدًا لموقف الإنسان «النبيل» ورفضه للاستسلام، كاشفًا فى صراعه الرهيب، أنه إنما يمارس عملية تطهير لنفسه من الأخطاء التى ربما ارتكبها دون وعى منه.. ومن ثم فهو رغم هزيمته.. يخرج من الصراع وقد انتصر روحيًا... وتحول إلى قديس..

هذا ما قاله أرسطو.. وما أورده شُرَّاحُهُ.. مع الاقرار بأن البطل التراجيدى ليس معصومًا من الخطأ - رغم سمو مكانته، وحكمته.. فإن تضخم ذاته.. وبحثه الدائم عن المعرفة والكشف.. والاحساس المفرط بالذكاء.. والانفراد بالرأى.. والاستبداد.. تدفعه كلها لمحاولة التسامى على البشر، والتحليق فى ذرى يصنعها خياله.. واقتداره.. حين

يعن له فى وقت ما أن يشارك الآلهة فى ادراكها المطلق للأشياء.. فيقع فى الإثم.. من غير قصد.. أو عن جهل بما يخبئه القدر.. أو لعيب فى ذاته لا يدركه.. كالعناد.. والاندفاع.. أو الغرور.. وحدة المزاج..

وعن النهاية المأساوية للبطل التراجيدى يقول أرسطو: إن المحاكاة للفعل التراجيدى المأساوى.. تثير عاطفتى الخوف والشفقة مما يؤدى إلى التطهير.. والمقصود بالخوف هو الاحساس الذى ينجم عن القلق والتوجس، والاهتمام، والتقدير للبطل الذى لا يستحق الشقاء.. أما الشفقة فتتولد فى نفس المشاهد من رؤيته للبطل التراجيدى يعانى تعاسة لا يستحقها، ومشاركة البطل حزنه.. وتعاسته.. ومعايشة لتجربته.. أما التطهير.. فقد طال الجدل حول المصطلح وتشعب.. وإن كان أرسطو قد نص على أن إثارة عاطفتى الخوف والشفقة فى نفسية المشاهد تخلصه منهما.. ومن ثم يحدث التطهير الذى يجعل الشخص أكثر صحية، وأقوى من الناحية الانفعالية..

والتراجيديا فى النهاية تثير العديد من الأسئلة عن علاقة الإنسان بالقوى القدرية، وبالعالم، وبنفسه، وبغيره.. وأسئلة أخرى عن الخير، والشر، والعذاب، والاختيار، والمسئولية.. وكيف يكون الإنسان حر الإرادة.. وهو جزء من الكون والمجتمع الإنسانى..

وعندما نتأمل ما كتبه أرسطو.. فى ذلك الزمان البعيد.. وسط دوامات وتداعيات فاجعة اغتيال صدام حسين الآن.. يتداخل الزمن.. وتختلط الرؤى.. ويدور شريط حياة الرجل أمامنا.. ويخال للإنسان السوى أن أرسطو كان يكتب سفره التاريخى وهو يرى بعين الناقد، وفكر الفيلسوف.. تراجيديا صدام حسين.. يتأمل مسارها.. ويدقق فى تفاصيلها من البداية حتى النهاية.. ويوحى بإضاءاته البليغة لجوانبها.. إنها النموذج والمثال لذلك الفعل الجاد.. الكامل.. والنبيل.. المضمر والكامن فى ضمير البطل.. ملتصقًا بخطأ قدرى.. فرض عليه.. والذى وضع نهايته آلهة الشر الجدد.. متوهمين أن القضاء على البطل التراجيدى.. سوف يطوى صفحته.. ومعه كل القيم التى ألقى بنفسه فى أتون الصراع الضارى من أجل تحقيقها.. غير واعين بالدرس التاريخى والإنسانى.. فعندما يسقط جسد البطل التراجيدى.. ينهض المعنى

منتصبًا فى النفوس والعقول.. رمزًا إنسانيًا عالى القيمة.. خالدًا فى الوجدان.. دافعًا لاستعادة المحاولة مرة أخرى.. بل مرات عديدة.. من وراء أبطال جدد.. يتدافعون عبر الزمان.. فالأبطال لا يموتون.. والبطولة لا تفنى..

ولعل استعادة ما حدث، ولايزال ماثلاً فى الوجدان.. فجر أول أيام عيد الأضاحى.. فى ضوء ما أسسه أرسطو، تصيبنا بالدهشة.. وتؤكد صدق الفيلسوف العظيم.. وتطابق المثال والنموذج، فقد بكت عيون كثيرة.. واهتزت قلوب بالشجن.. وحط الكدر على الوطن العربى من خليجه إلى محيطه.. وتشابكت دماء الأضاحى.. فغامت الرؤية.. واستحالت دمًا يسد الأفق، ويحاصر العرب والمسلمين.. وكافة المستضعفين من هول ما رأوا بأعينهم.. وبطلهم التراجيدى يتقدم.. منتصب القامة.. مرفوع الجبهة.. ممتلئًا بالكبرياء والثقة.. واحساس بالقوة لم ينهزم بعد.. تتحرك عيونه الواثقة فى فراغ يتزاحم فيه جلادوه المقنعون بخوفهم.. وحقدهم.. وصرخاتهم المحمومة.. لا يكاد يراهم أو يعبأ بهم.. ولا بالموت القادم خلال ثوان معدودة.. يتأملهم باستهانة، يحكمون حبل المشنقة حول عنقه.. ويصر على أن يواجه مصيره بعيون مفتوحة.. وكأنها رسالة البطل التراجيدى الأخيرة.. إلى كل من عرفه، أو سمع باسمه.. ومن سوف يأتى بعد ذلك.. يؤكد فيها أنه لم يكن طوال حياته يمثل دورًا، أو يدعى ادعاء.. أو يوهم الناس بما ليس له.. بل كان هو نفسه.. من المهد إلى اللحد.. ذلك النوع من البشر الذى تدفع به مقاديره إلى ذرى بعيدة. وفضاءات أكثر رحابة.. ينبذ الصغائر التى تشغل غيره.. ويدخل مباشرة إلى قمة الصراع المطلق بين الخير والشر.. ومناطحة الآلهة بلغة أرسطو.. أو بلغة المعاصرين.. ذلك النوع من البشر الذى يجبر الآخرين على احترامه، واغداق المديح عليه. والتبجيل له.. على نحو مبالغ فيه.. ووصفه بصفات تعلو على قدرة الإنسان.. وتقترب به من مرتبة التقديس.. قناعة.. أو زلفى.. أو خوفًا.. وهو ما أفردت له أدبيات السياسة أبوابًا وفصولاً تحدثت عن عبادة الفرد.. والظروف والملابسات المهيئة لنشوء تلك الظاهرة، فليس كل حاكم.. فردًا يعبد.. أو حاكمًا يستحق الاحترام.. ووقائع التاريخ حافلة بحكام عاشوا محاصرين بالبغض والكراهية من شعوبهم.. وآخرين لم ينالوا غير السخرية.. والاستهانة

بشأنهم.. والتشكك فى وطنيتهم. وغيرهم كثير..

وإذا كان أرسطو قد وضع البطل التراجيدى قرين الخير.. والسعى لكشف الحقيقة.. وإبراء الناس من الإثم.. وتخليصهم من الشقاء والتعاسة.. وكأنه يغالب القدر.. ويناقض أحكامه.. بأسلوبه الخاص.. وبما جبل عليه من صفات.. وقدرات.. وعيوب أيضًا.. فماذا فعل صدام حسين؟

وباختصار شديد لقد «فرض» وحدة العرق، الذى أكتوى جوفه بالصراعات الداخلية، والتناحر المذهبى، والطائفى، والعرقى.. وحافظ على هذه الوحدة على مدى أكثر من ثلاثة عقود.. تمثل الاستثناء فى تاريخ العراق.. واستخلص مقدرات الدولة من أيدى أعدائها.. وأمم النفط.. وحقق الاستقلال الحقيقى لبلاده.. وقاد الحملات الوطنية لاستئصال الأمية.. والتعليم الإلزامى.. ثم مجانية التعليم.. ودعم المزارعين.. وعائلات الجنود.. وقانون العمل.. والإصلاح الزراعى.. وأنشأ واحدة من أفضل أنظمة الصحة العامة فى الشرق الأوسط.. وسعى لتحقيق حلمه فى عراق قوى.. يحتل مكانه بين القوى الكبرى فى العالم.. وله من أسباب ذلك الكثير، قوة عمل بشرية موحدة.. وثروات متاحة.. وكان البدء فى بناء منظومة علمية عالية الكفاءة، وتأسيس قاعدة علمية جلب لها العلماء من أنحاء العالم.. لإحداث نقلة علمية تتخطى القائم إلى آفاق لا تتوفر إلا للدول الكبرى.. التى تحارب لاحتكار العلم والتقدم التقنى.. والصناعات المتقدمة فى المجالات المدنية والعسكرية.. وهو ما أقدم عليه العراق.. وحقق فيه خطى ملموسة.. جعلت منه القوة العربية الرئيسية وقيادة النضال العربى الذى انتقل مركزه إلى بغداد..

ولأن كل أبطال التراجيديا.. غير معصومين من الخطأ.. رغم سمو مكانتهم وحكمتهم.. فقد اقترن كل منهم بخطأ تراجيدى مأساوى.. وصفه أرسطو بالسقطة.. التى يجهل البطل التراجيدى نفسه مصدرها.. وكنهها.. والتى رآها فلاسفة الإغريق أحيانًا كامنة فى البطل نفسه.. وما جبل عليه من صفات وقدرات تدفعه للتسامى على البشر.. والانفراد بالرأى.. والاستبداد.. والغرور.. والسعى لبلوغ مراتب الآلهة.. فيقع فى الإثم.. الذى يفرضه عليه القدر فرضًا..

وسقطة البطل التراجيدى.. لا تكمن فى واقعة بعينها، يمكن الامساك بها.. ولكنها تتوزع على أكثر من نطاق.. يتداخل فيها القدر بجبروته.. والجهل بما وراء الظاهر.. والإصرار على المعرفة والكشف.. وكذلك العيوب فى مكونات الذات.. مثل العناد.. والغرور، وحدة المزاج.. والاندفاع.. وقد تكون لعنة متوارثة..

ولعلنا نذكر بشىء من التروى.. وقدر من التجرد.. أن ظهور صدام حسين جاء فى حقبة.. كان العرب خلالها يبحثون عن بطل.. بعد الفراغ الهائل الذى خلفه رحيل جمال عبدالناصر.. وتحول الرؤى والتوجهات.. والتسليم بكل شىء لأمريكا وإسرائيل.. والانكفاء على الذات.. وضمور الفعل العربى.. ثم ما تبع ذلك على المستوى العالمى من انهيار الاتحاد السوفيتى.. وتفكيك المعسكر الاشتراكى.. وشعور أمريكا بأنها أصبحت القطب الواحد والوحيد.. الذى يحق له أن يعيد ترتيب العالم.. بادئًا بالشرق الأوسط.. أضعف الحلقات.. ومستودع النفط.. وحاضن قطعة من جسد أمريكا وهى إسرائيل التى تصر على منحها وكالة المنطقة والسيادة عليها..

وإذا كانت المنطقة قد امتثلت إلا من بعض نتوءات.. فإن العراق قد شكل حائط صد.. ونتوءًا يستعصى على التجاوز.. وليس لديه مانعًا فى مناطحة آلهة الشر فى واشنطن ولندن.. وتحدى قراراتهما ورغباتهما «القدرية» بحلمه فى القوة والتقدم..

وبدأت لعبة المراوغة.. التى يجيدها آلهة الشر.. اقترابًا وابتعادًا.. قبولاً ورفضًا. موافقة واستنكارًا.. مساندة وتخليًا.. ومثل كل أبطال التراجيديا.. وطموحاتهم الكبيرة.. تكون الأخطاء أيضًا كبيرة.. وكان أخطرها ما دبر له خلال أوقات الصفو المتباعدة.. التى لم تتواصل أبدًا.. وكانت بمثابة ومضات خبيثة يتم التدبير لها جيدًا فى مطابخ المخابرات الأمريكية والغربية.. لتحقيق أهداف محددة.. والزج بالعراق إلى متاهات تبدد ثروته.. وتهدر قوته.. وتكتل أعداءه. وتجهض مشروعه القومى.. ولم يكن صدام حسين وحده من تمت مراوغته وخداعه.. فقد سبقه واستمر من بعده، وبصورة مستمرة لم تزل.. أكثر الحكام العرب.. من أصحاب الجلالة والفخامة والسمو.. الذين يحكمون «رعاياهم» بالنار والحديد.. والازدراء.. ويهدرون أبسط حقوقهم.. ويبددون ثروات شعوبهم فى النزوات الطائشة.. ويعتبرون مقدرات الدول ممتلكات خاصة.. من

خلال أنظمة حكم تعيد ذكرى مراحل المشاعية البدائية، والعبودية، والعشائرية.. لكن لأن صدا م حسين كان شيئًا آخر..كان الأقوى.. صاحب الطموح غير المحدود.. العنيد.. العصىّ على الترويض.. وتسليم مقوده لآلهة واشنطن.. المستعد لمناطحتهم.. سلطت عليه الأضواء ليبدو للعالم أنه الذى ينتهك حقوق الإنسان ويسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل يهدد بها السلم والأمن العالميين..

ولعلنا ندرك فى نهاية الأمر.. وفقًا للمنهج الأرسطى.. وقانون الواقع الراهن.. أن كل ما تقدم من مفردات الظرف العام.. والظرف الخاص.. قد تضافرت وتآلفت.. وانصهرت لتشكل السقطة التراجيدية لصدام حسين. من أول الهوان العربى، والقطبية الواحدة.. وآلهة الشر الجدد.. والخيانة.. والقوة.. والاندفاع.. والاصرار العنيد على الموقف والاستبداد بالرأى.. والطموح الذى لا حدود له.. وغير ذلك كثير..

وقد عاش الملايين بفطرتهم فاجعة النهاية، تواصلاً مع القانون الأرسطى.. وأدركوا أن اغتيال صدم حسين غدرًا وغيلة.. قد جسد قيم الفداء.. وأنه قد انتصر روحيًا.. وتحول إلى رمز.. ظل مرفوع الرأس.. عالى الهامة فى مواجهة الموت المحتوم.. وأثارت نهايته التراجيدية كوامن النفس التى عافت ما نحن فيه.. من هوان الضعيف.. وما نعيشه من استخذاء المهزوم.. وتهميش العاجز.. باحثة فى كل اتجاه.. عن لمحة كبرياء.. وشعاع اعتزاز.. تفاعلاً مع عنصرى الخوف والشفقة بمعانيهما الأرسطية.. وصولاً إلى التطهير.. فالجنازات الرمزية جابت مدن العالم العربى.. والعديد من دول العالم.. وأقيمت صلوات الغائب.. ونكست الأعلام.. وتعددت المؤتمرات والمسيرات ووقفات الاحتجاج.. وانتحب الفقراء فى قراهم البعيدة.. وعم الكدر والحزن كل بيت..

والمفارقة واضحة.. وكاشفة.. فقد تعرض عشرات من حكام العرب للقتل.. ولم تترقرق دمعة فى عين.. أو تبدو مسحة حزن على وجه.. والمعنى لا يحتاج إلى تفسير.. فقد كان صدام حسين وحده.. ودون غيره.. بطلاً تراجيديًا.. بمعنى الكلمة.

ليلة لم ينم فيها العالم

«كان الرئيس الأسير يعتلي منصة النهاية.. منتصباً في شموخ.. مثل نخيل العراق.. مرفوع الرأس.. واثقاً.. يحمل أمجاد الأمة، وتاريخها العريق، وحضارات الماضي، وعصور الزهو والانتصار، وقيم العزة والشرف والإباء».

كانت الشواهد كلها تدل على أن أمرًا كارثيًا سوف يقع.. التحركات المريبة.. والتصريحات المتوارية والملتوية.. والإجراءات العجلى.. وإحساس مبهم يناوش القلب والعقل.. وكلها تنبئ بأن أمرًا يدبر له بكل تكتم وحرص.. أمرًا على درجة من الخطورة والأهمية.. وكادت هذه الهواجس تقف حائلاً دون التواصل الروحى مع تلك الليلة الكريمة.. والمشاعر معلقة بحجاج بيت الله الحرام يفيضون من عرفة فى طريقهم للمشاعر المقدسة.. ويستعدون لنحر الأضاحى..

كانت الفضائيات تتراكض باتساع الدنيا.. وتعود إلى بغداد.. وتكرر الركض والعودة.. كأنها تشارك الجميع مشاعرهم.. وتسعى لكشف ذلك الهاجس المبهم الذى ينهش صدورهم.. وبثت إحداها تصريحًا مبتسرًا.. متوترًا لنورى المالكى رئيس وزراء العراق المحتل.. هز رأسه عدة مرات وقال: «إن أحدًا لن يمنعهم من تنفيذ حكم الإعدام فى صدام حسين» ومر التصريح كما تمر تصريحات عملاء الاحتلال التى لا تتوقف.. فالحكم الصادر من المحكمة الجنائية العراقية فى ٥ نوفمبر ٢٠٠٦ خاص بقضية الدجيل.. وهى واحدة من مسلسل قضايا دبجها ولفقها عملاء الاحتلال.. وقضاة التدليس أعداء العدالة.. والتى يمكن أن يستغرق نظرها سنوات..

ورغم منطقية الحجة.. إلا أن قلوبًا كثيرة لم تعرف الطمأنينة.. وعاودها ذلك

الهاجس المبهم.. مليار و٣٠٠ مليون مسلم يحتفلون بليلة أقدس أعيادهم.. ومعهم الملايين حول العالم ممن يرقبون جريمة أمريكا المستمرة فى العراق..

لم يكن أحد يعلم أن توتر المالكى وقلقه كان وراءه إفادة من السفارة الأمريكية فى بغداد بموافقة سيده فى البيت الأبيض على تنفيذ حكم الإعدام من حيث المبدأ على أن يتم تسليم الرئيس العراقى إلى حكومة المالكى قبل ساعة من الموعد الذى تحدده السلطات العراقية للتنفيذ..

ولم يكن الأمر بهذه البساطة.. طلب.. وموافقة.. فقد سبقت ذلك تحركات.. وضغوط قام بها عبدالعزيز الحكيم.. رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وقائد ميليشيات بدر التى تمت تربيتها وتدريبها فى إيران.. ومع اقتراب الأيام الأخيرة من عام ٢٠٠٦ تصاعدت وتيرة الضغط من قبل الحكيم لتنفيذ حكم الإعدام، تحت ذريعتين: أولاهما: الوفاء بالتزاماته وتعهداته لبعض الأطراف الإقليمية(!!) بإعدام الرئيس الراحل قبل حلول العام الميلادى ٢٠٠٧. وثانيهما: توفير مناسبة، وترضية لمقتدى الصدر يبرر من خلالها تراجعه عن قرار تعليق مشاركته مع حكومة المالكى.. ولأن المالكى لا يملك من أمره شيئًا.. فهو مجرد أداة لتنفيذ أوامر طائفته خاصة إذا تعلق الأمر بعبد العزيز الحكيم المرجعية الشيعية التالية مباشرة لآية الله السيستانى.. ومقتدى الصدر وميليشياته المتفرغ للتطهير العرقى ضد السُّنَّة.. فسارع بإبلاغ القاضى رائد الجوحى ورئيس هيئة الادعاء جعفر الموسوى بالضغط على هيئة التمييز وتكليف منير الحداد قاضى التمييز بمتابعة الإجراءات.. حتى كان يوم ٢٠٠٦/١٢/٢٦ الذى أصدرت فيه هيئة التمييز قرارها بالمصادقة على حكم المحكمة الجنائية العراقية. وعلى الفور جرى الاتصال مع مكتب الارتباط الخاص بالمحكمة الجنائية فى السفارة الأمريكية للموافقة على تسليم رئيس العراق الأسير لتنفيذ حكم الإعدام.. تلافيًا للضغوط الدولية والشعبية التى بدأت فى التصاعد من أجل وقف تنفيذ الحكم.. وإعادة محاكمة الرئيس أمام محكمة دولية.. ومعاملته كأسير حرب.. ورد الجانب الأمريكى بأنهم يحتاجون إلى قرار شخصى من قبل الرئيس الأمريكى..

وعندما وصلت موافقة بوش مساء يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٦/١٢/٢٩ هرع المالكى لإجراء الاتصالات والمشاورات.. حيث قام بإبلاغ الجعفرى والحكيم ومقتدى.. كما قام بإبلاغ جلال طالبانى الذى أجرى مشاورات مع قادة الأكراد وأبلغ المالكى بتأجيل التنفيذ حتى انتهاء عيد الأضحى.. ولكن عبدالعزيز الحكيم ومقتدى الصدر تمسكا بضرورة التنفيذ فى ذات الليلة «فجر اليوم التالى.. وكان لهما ما أرادا».

وعلى الرغم من أن كل ذلك كان يدبر له بليل.. ويتم فى تكتم شديد، داخل الدهاليز والمغارات، والأوكار التى يعشش فيها - تحت علم الاحتلال - خليط غريب من عناصر المخابرات المركزية الأمريكية.. والموساد. وعملاء الاحتلال وخدمه.. ولم يعلن عنه شىء.. فإن ملايين العيون ظلت ساهرة.. وظل الهاجس المبهم يكبر.. ويكبر.. بفعل الحس الإنسانى.. والمشاعر الشفيفة.. وشرف المقاصد.. وتوقع الخيانة من العملاء الذين يعيشون التعصب الطائفى، ويروجون له.. بمخزونهم من الضغائن والأحقاد.. وبشاعة الانتقام.. ويلقون بظلال كريهة على شرف وقدسية الإسلام.. الذى جعلوه مادة للاقتتال والغدر والخيانة..

وفى الساعة الثانية عشرة مساء.. كانت كتيبة الإعدام الطائفية بمرجعياتها تملى على المالكى ما يتوجب عليه عمله.. وصرخ هاتفه النقال.. كان على الطرف الآخر «كامران قرة داغى» مستشار جلال طالبانى.. يهمس.. الرئيس طالبانى فى موقف حرج.. وينهى إليك أنه لن يوقع على قرار التنفيذ لأسباب يحتفظ بها لنفسه.. وهاجت كتيبة الإعدام.. وانهال سبابها على الرئيس الغائب.. وزفر عبدالعزيز الحكيم وهو يحدج المالكى قائلاً فى حزم: لا نحتاج لتوقيع ذلك الوعل البرى.. وقع أنت.. وكالمنوم وقع المالكى قرار التنفيذ.. فأضاف الحكيم: هم هكذا الأكراد.. ينافسون السُّنة فى الغباء وضيق الأفق.. والمراوغة.. وحتمًا سوف يأتى دورهم..

كان المالكى يتحرك آليًا وفق تعليمات كتيبة الإعدام.. فأمر بحضور الادعاء العام وقاضى التمييز ووزير العدل بالوكالة وبعض الشهود.. فى تمام الثالثة صباحًا ومعهم رجل دين سُّنى.. وأبلغ وزارتى الدفاع والداخلية بنشر قوات طوارئ فورًا وتكثيف التواجد الأمنى فى منطقة الكاظمية.. على أن يشرف موفق الربيعى مستشار

الأمن القومى على كافة الإجراءات.. وقرر الحكيم فى حزم أن ميليشيات بدر التى يرأسها.. وجيش المهدى التابع لمقتدى.. ستكون كلها فى حالة استنفار.

فى الساعة الرابعة فجرًا.. تحرك الجميع إلى مبنى الاستخبارات العسكرية السابقة فى منطقة الكاظمية.. لإعداد كافة الإجراءات.. والاطمئنان على الترتيبات النهائية للمؤامرة.. كان الارتباك واضحًا على الجميع.. والرغبة المجنونة فى الانتقام تسيطر على حركاتهم وسكناتهم.. وخوف غريب يخيم على المشهد.. وظل المالكى ساكنًا يتأمل الوجوه المربدة، والعيون القلقة.. والتوتر البادى على حركات الأيدى.. والتحركات العشوائية فى المكان.. ويتمتم فى غيظ.. ذلك الملعون مازال يخيفكم. حتى وهو قيد الأسر.. بمفرده ولا أحد معه.. ومعنا كل أسباب القوة.. أمريكا ودول التحالف.. والميليشيات التى تسد عين الشمس.. وكراسى الحكم والسلطة.. والقوة الإقليمية الفاعلة إلى الجوار.. وهو وحده مكبل.. ومنهك.. وكأن معه الدنيا كلها.. وتدافعت الكلمات من فم المالكى على الرغم منه: «لن يخيفنا بعد اليوم»..

وحتى هذه الساعة.. كانت عيون الملايين القلقة معلقة بالفضائيات.. والهاجس المبهم يتضخم وينتفخ.. ولا شىء يبدو فى الأفق.. وإن كان البعض قد لاحظ توتر الفضائيات اللاهثة.. وقد توقفت عند محطة بغداد.. وفى الخلفية غير المنظورة كان مندوبو الفضائيات يبحثون فى كل مكان عن موفق الربيعى مستشار الأمن القومى.. المغرم بالتصريحات.. المعجب بنفسه وبالتفاف الكاميرات من حوله.. دون جدوى.. فقد اختفى فجأة.. وتحول البحث إلى سامى العسكري عضو البرلمان العراقى، المستشار السياسى للمالكى والذى اختفى هو الآخر.. وهكذا وقع الجميع فى هوة الانتظار والترقب القلق المتوتر.

فى الساعة الخامسة فجرًا.. كان الساهرون قد استبد بهم التعب.. والقلق.. والانتظار.. وبدأ بعضهم يتهيأ للصلوات.. وإعداد الأضاحى للنحر.. ويمنى النفس بألا يحدث ما يعكر صفو الناس.. أو يحيل بهجة العيد إلى مأتم كبير.. لم تكن ثمة معلومات من أى نوع.. ولكنه الاحساس .. الشعور.. التوقع.. و«قلب المؤمن دليله».. فى هذا التوقيت بالتحديد قامت طائرتان أمريكيتان بنقل الرئيس الأسير من المنطقة

الخضراء إلى منطقة الكاظمية.. حيث تم تسليمه إلى طاقم الحراسة العراقية بحضور منقذ الفرعون مساعد المدعى العام.. وموفق الربيعى.. وسامى العسكرى.. وقد سارعا بالحضور.. والقاضى منير حداد الذى بدأ فى تلاوة قرار الحكم والمصادقة عليه.. وسط العيون المتطلعة إلى تأثير كل ذلك على الرئيس الأسير.. غير الآبه بتلك الطقوس.. وتسرب إلى نفوسهم ربما لأول مرة - وهم أعوان الشيطان - نوع من الزهو بابن العراق وبطله.. احساس مباغت، تلقائى.. فرض نفسه.. وسرعان ما ارتج المكان بصوته منددًا بأمريكا وعملائها من الطائفيين والخونة.. واهتزت الحراب فى أيديهم.. واصطكت الأسلحة المشهرة تكاد تسقط.. ويكاد المشهد كله ينفرط.. ويفرون من المكان كالفئران المذعورة..

وطلب القاضى أن يتحرك الجميع إلى الطابق السفلى من مقر دائرة الاستخبارات.. حيث غرفة التنفيذ.. والتف المقنعون بالخوف والعار والتعصب حول الرئيس الأسير.. وتجرأ أحدهم وهمس بصوت مرتعش بأن الشعبة الخامسة - التى يتم فيها التنفيذ - كانت معنية بمتابعة النشاط المعادى لإحدى دول الجوار.. ونهره الرئيس بعنف.. لأنه لا يشعر بعار العمالة.. والولاء لغير العراق..

ودخل الجميع إلى غرفة التنفيذ وسرعان ما ساد الهرج والمرج.. والتوتر الشديد.. وارتباك المقنعين.. وصرخات المتهوسين.. خوفًا وهلعًا.. وحقدًا.. وتعصبًا أعمى.. وهتف بعض المتهوسين بحياة مقتدى الصدر.. وتأملهم الرئيس الأسير.. باستخفاف وازدراء، وردد فى وجوههم «هى هاى المرجلة» .. وتقدم بخطى ثابتة.. كان الرئيس الأسير يعتلى منصة النهاية.. منتصبًا فى شموخ مثل نخيل العراق.. مرفوع الرأس.. متماسكًا.. واثقًا.. يحمل أمجاد الأمة، وتاريخها العريق، وحضارات الماضى.. وعصور الزهو والانتصار.. وقيم العزة والشرف والإباء.. وكانت آخر كلماته دعوة العراقيين إلى التوحد ومقاومة الاحتلال.. وآخر هتافه «الله أكبر.. عاشت الأمة.. فلسطين عربية».. ثم نطق بالشهادة.. وانتهى كل شىء..

نعم.. انتهى كل شىء.. كما توهمت أمريكا وعملاؤها.. ولكن الواقع صفع المتوهمين والسفاحين.. والعملاء.. وفاجأهم بأن كل شىء.. قد بدأ.. وتعلقت عيون العالم

بالفضائيات تبث مشاهد الجريمة.. وصرخات المجرمين من أعداء البشر والإنسانية..

لم يكن ذلك الهاجس المبهم الذى نهش الصدور ينبئ بهذا القدر من البشاعة والفظاظة واللؤم الخسيس.. ولم يتوقع أكثر الناس تشاؤمًا أن يقدر إنسان أو جماعة ما .. مهما تجردت من الإنسانية والقيم.. أن تجعل من أول أيام عيد الأضحى مأتمًا كبيرًا.. وأن يضعوا حائلاً بين أبصار المسلمين وحجاج بيت الله الحرام، وهم يؤدون الشعيرة الأعظم فى تضامن وروحانية بين المسلمين فى كل الدنيا.. وأن يقوموا بلى أعناق العالم نحو الرئيس الأسير يتدلى من مقصلة الخيانة والعمالة والتعصب.. وأن تبلغ الوقاحة بهم إلى استثمار رمزية الذبح لدى المسلمين فى عيد الأضحى بشكل يدعو إلى الاشمئزاز..

ويقفز السؤال ملتهبًا كالجمر.. إلى العملاء بمرجعياتهم وميليشياتهم وقد توافدوا على العراق على متن الدبابات الأمريكية.. هل يدركون أنهم بفعلتهم الخسيسة قد دمروا كافة الجهود الشريفة الساعية إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية.. بعد أن ضربوا تلك العلاقة الإسلامية الإنسانية التى سادت بين السُّنة والشيعة فى عراق الرئيس الشهيد.. وحالة التآلف التامة التى سعدوا بها.. فاختلطوا، وتعايشوا.. وتصاهروا.. وانصهروا فى إخاء حقيقى فى أوقات السلم والحرب على السواء؟..

وهل يدركون أنهم قد تسببوا فى تجاوز خط الرجعة فى أى مصالحة مستقبلية محتملة بين الطوائف العراقية.. وبالتالى استمرار الاحتلال الأمريكى فى نهب ثروات العراق.. بينما العراقيون منشغلون بحصر ضحاياهم كل يوم جراء القتل الطائفى اليومى.. والتمثيل بالضحايا فى الساحات العامة على الهوية من قبل ميليشيات الخيانة..

وهل يدركون أنهم حملوا رسالة المحتل بتوجيه الإهانة والإزدراء المتعمدين إلى الكرامة العربية وإلى القدسية الإسلامية.. وإلى مثل القول المتعلقه بحقوق الإنسان.. وكرامة الأسير.. وأنهم كانوا قناة العبور لبصقة الصلف الأمريكى على وجه العرب ومعهم مليار و٣٠٠ مليون مسلم.. فى يوم عيدهم المقدس؟..

وهل يدركون - وسط تهوساتهم - أنهم يمهدون الأرض.. والعقول والنفوس.. لوضع المخطط الأمريكى - الإسرائيلى موضع التنفيذ.. مخطط الهيمنة على المنطقة ونهب ثرواتها، وإعادتها إلى العصور الوسطى؟.

وإذا لم يكن الأمر كذلك.. وهو كذلك بالفعل.. فلم كانت العجلة.. ولماذا تم الإعدام فجأة.. وعلى عجل - قبل أن تكتمل فصول المحاكمة الهزلية فى قضية الأنفال.. بعد مهزلة المحاكمة فى قضية الدجيل؟!

وهل كان هناك ما تخشى منه أمريكا.. وما لا تريد لأحد فى العالم أن يطلع عليه فيما يتصل بالدور الأمريكى فى المنطقة؟..

وهل كان لما قاله طارق عزيز من محبسه، عن رغبته فى الإدلاء بأقواله.. وطرح ما لديه من معلومات فى غاية الأهمية أمام محكمة الأنفال علاقة بسرعة التحرك والتعجيل بالإعدام..؟

إن عشرات الدراسات المعنية بالعراق والمنطقة تؤكد أن طوفان التساؤلات يجب أن يفتح عيوننا أكثر على العلاقة بين واشنطن وأعداء العراق التاريخيين.. حتى لا نظل ضحية وهم الاعتقاد بوجود خلاف بين الاستراتيجيتين «الأمريكية والإقليمية».. فى المنطقة.. فالزعماء الطائفيون فى العراق لم يلقوا بأنفسهم كاملاً فى أحضان البنتاجون إلا بعلم ورضا أسيادهم ومرجعياتهم..

وليس ذلك بغريب على عراق اليوم الطائفى المتناحر.. والذى يعيث فيه الموساد كما يشاء، ويغتال النخب والعقول العراقية بحرفية عالية.. وهل يكفى لإثبات ذلك أن المئات من خيرة العلماء وأساتذة الجامعات العراقية قد لقوا حتفهم منذ الغزو.. وأن تراث العراق الحضارى والتاريخى ووثائقها تخضع للفحص الآن فى تل أبيب؟..

فماذا يفعلون بالعراق.. وبنا.. نحن العرب والمسلمين؟..

إن ملايين القلوب التى اهتزت لمصرع الرئيس العراقى عادت لتهتز مرة أخرى عندما أعلن الشامتون عن ابتهاجهم بما حدث. ولأن الشامتين.. ويا للعار.. هم المتربعون على أرائك الحكم فى واشنطن وتل أبيب.. وطهران.. الأمر الذى دفع كاتبًا إسلاميا فى حجم فهمى هويدى ليكتب: «لقد شعرت بمرارة فى حلقى حين وقعت

على ذلك التصنيف، لكن المرارة اقترنت بحزن لم أستطع اخفاءه.. لأن طهران انضمت إلى الشامتين، ولم يستوقفها انتهاك حرمة العيد، ولا ما أصاب مشاعر ملايين المسلمين من أذى ومهانة جراء تنفيذ الإعدام صبيحة يومه الأول.. ورأيت فى تلك التصريحات إيران أخرى غير التى أعرفها أو تمنيتها. غلبت فيها فرحة الانتقام للطائفة على الغضب لما أصاب كرامة عامة المسلمين من انتهاك وازدراء، وهو ما جعلنى اتساءل قائلا: لو أنها كانت إيران الشاهنشاهية، هل كان الأمر يختلف عما عبرت به إيران الإسلامية؟».

وفيما عدا الرسميين فى العواصم الثلاث المشار إليها.. لم يستطع أحد من العرب والمسلمين.. وغيرهم فى أنحاء العالم أن يخفى حزنه على إعدام رئيس العراق.. وإن كان الأقربون مودة، يشعرون بالأسى البالغ لما وصلت إليه أحوالنا.. والتخريب المتعمد الذى طال الحاضر والمستقبل.. فقد اغتال الطائفيون - يوم اغتالوا الرئيس - كل مشاعر التسامح.. وقنوات الاتصال والتقارب بين المذاهب الإسلامية.. وقد غمرتها دماء جديدة وحارة وصادقة.. تدفقت من قلب البطل حسن نصر الله.. وحزب الله.. وجعلت ملايين القلوب تهفو إليه.. وإلى سماحة الإسلام.. وأصوله الأولى التى لم ينلها التحريف.. ولم يمسسها الهوى.. وأعاد المشهد البطولى فى لبنان إحياء الدعوة للتآخى الحقيقى فى ظل الإسلام الصحيح الذى يستمد قوته وحيويته واستمراريته من التفانى فى «تجديد الدين».. بسماحة.. وتناسى الخلافات الطائفية الهينة التى لا تمثل شيئًا فى صلب العقيدة.

ولكن تأتى رياح العمالة وضيق الأفق الطائفى بما لا يشتهى الشرفاء.. والحريصون على شرف الأمة وعقيدتها المقدسة. كشف تنفيذ عقوبة الإعدام ضد الرئيس العراقى عن الماهية الحقيقية والمحتوى الطائفى لحكومة المالكى ومرجعياته.. وإعلائها للحماقات الطائفية على العقيدة وواجباتها ومشاعر ملايين المسلمين.. ورسالتها الواضحة للشعب العراقى بأن المنطق الذى سيحكم العراق مستقبلاً قد تحدد فى تصفية الحسابات.. والتنفيس عن الأحقاد.. والمحاكمات الصورية.. والمشانق.. وهو ما يدحض أكاذيب وأوهام المدلسين وأولهم بوش عن ولادة عراق

جديد وآمن بعد صدام.. فنهر الدم لن يجف بعد أن عمل الاحتلال وعملاؤه على تفشى وباء الانتقام والحقد الطائفى البغيض.. ومازالت أمريكا تدبر للايقاع بعملائها أنفسهم - وهم غافلون - وإلا فما معنى تسريب الأخبار التى تؤكد حرص السفير الأمريكى السابق زلماى خليل زادة وكبار ضباط الاحتلال وتحذيرهم للمالكى وفرقته من الاستعجال فى عملية الإعدام.. والتنبيه لوجود بند فى الدستور العراقى يقتضى توقيع قرارات الإعدام من الرئيس ونائبيه.. وبند يمنع إعدام أى شخص فى العطل الرسمية.. وعلى رأسها عيد الأضحى..

وتستمر التسريبات الأمريكية المحرضة ضد طائفة العمالة.. فتقول: إن خليل زادة طلب تأجيل تنفيذ الإعدام خمسة عشر يومًا.. بينما أصر المالكى على تنفيذ الحكم بمجرد تصديق محكمة التمييز، وعدم انتظار مهلة الشهر التى حددتها المحكمة، لأن لديه تقارير عن احتمال تهريب الرئيس.. وفى النهاية وافق الأمريكيون على موعد الإعدام بعد الضمانات الكافية بعدم تعرض الرئيس لأى اعتداء جسدى أو إهانة عندما يسلمه الأمريكيون للطرف العراقى..

حتى بعد الإعدام.. تذكر التسريبات الأمريكية أن حكومة المالكى رفضت تسليم الجثة، وأصرت على الاحتفاظ بها فى مكان سرى حتى تسمح الظروف بدفنها فى مكان مجهول.. وهنا تدخل الأمريكيون.. ثم كان الدعم الذى قدمه الجيش الأمريكى لنقل جثمان الرئيس من بغداد إلى تكريت.. إلى آخر التسريبات التى تستهدف تبرئة ساحة الاحتلال.. وتأكيد براءته وإنسانيته(!!) وخطأ وبشاعة الحكومة الطائفية.. التى أكدت مزاعم الأمريكان من خلال المشاهد التى بثتها الفضائيات.. وعمليات الاستفزاز والتطاول التى تعرض لها الرئيس قبل لحظات من إعدامه.. والهيستيريا والتشفى والبذاءة التى صاحبت التنفيذ..

ولا يعنى ذلك أن اللعبة قد انطلت على أحد.. فالاحتلال هو المسئول عن كل ما حدث ويحدث.. فهو الذى حمل عملاءه الطائفيين على دباباته لتنفيذ مخططه فى تمزيق العراق طائفيًا وعرقيًا، والاقتتال الدائم.. والمحكمة وحكمها ومهازلها جاءت من رحم الاحتلال.. وموعد التنفيذ حدد من قبل الاحتلال، وزين للعملاء التشبث به.

وقد تنبهت هيئة علماء المسلمين.. أبرز المرجعيات الإسلامية فى العراق إلى كل ذلك، واتهمت الأمريكيين بالوقوف وراء ما حدث ودعت العراقيين إلى إحباط مخططاتهم.. وجاء فى بيانها فور تنفيذ الإعدام: «إن محاكمة الرئيس العراقى الراحل وما تبعها من صدور حكم بإعدامه.. وتنفيذ الحكم على النحو الذى تم، إنما هو بأمر الاحتلال وتنفيذًا لرغباته ورغبات حلفائه فى الداخل والخارج» واعتبر البيان «العملية برمتها سياسية محضة لم تراع فيها مصلحة الشعب العراقى ولا قصد منها انصافه.. وجاء اختيار عيد الأضحى المبارك ظرفًا لتنفيذ الحكم معبرًا عن هذه الاعتبارات واعتبارات أخرى مؤسسة على ضغائن وأحقاد شتى ورغبات شاذة فى الإثارة والاستفزاز للسُّنَّة»..

أما هيئة الدفاع عن الرئيس الراحل فقد سارعت بإصدار بيانها.. «بيان هيئة الدفاع عن الشهيد».. والذى أكدت فيه أنه «باغتياله قد اختار طريق الشهادة عن وعى واصرار».. ونقلت عنه قوله قبيل وفاته بلحظات: «إن صراع القانون مع القوة لن ينتهى بهذه الجولة أو غيرها.. ودعت جميع المنظمات والشخصيات الحقوقية والقانونية إلى مواصلة وتكثيف العمل للوصول إلى كل الحقائق.. وقالت: «إننا قد ننسى ما قاله الخصوم.. ولكننا لن ننسى صمت الأصدقاء»..

وتعهدت هيئة الدفاع بأنها لن تطوى صفحة هذه القضية.. وستواصل نضالها القانونى بكل السبل القانونية المتاحة محليًا ودوليًا إلى أن يصل الرأى العام إلى الحقيقة كاملة.. وحتى تتضح كل أبعاد هذا الاغتيال السياسى.. بعد أن يثبت أن الهدف كان التخلص من صدام حسين بكل ما يمثله كرمز.. وعدم كشف الحقائق.. وقد فضح تعجلهم مدى استماتتهم لتحقيق هذا الهدف فى محاولة لوأد الحقيقة والوقائع كلها.. بدل العمل على كشفها..

وأكدت هيئة الدفاع «أن الشهيد صدام حسين سيبقى رمزًا لكل المناضلين فى وجه قانون القوة والغطرسة ا لأمريكية.. وأنه استشهد واقفًا كنخل العراق».. وأضافت أن الرئيس صدام حسين مضى شهيدًا بإذن الله، بعد أن حاكم محاكميه قبل أن يحاكموه منذ كانت قوة القانون والحق سائدة، فى مواجهة القوة والتعسف وسلب

الحقوق المقدسة وأولها وأبسطها حق الدفاع عن النفس.

ووصفت هيئة الدفاع المحاكمة بالمسرحية التى شهدت تصاعدًا مكثفًا فى مخالفة كل القوانين الدولية.. وفى مقدمتها القانون الدولى الإنسانى، والقانون الدولى لحقوق الإنسان وأن كل فصولها كانت تسير خطوة خطوة بحسب الإدارة الأمريكية ومن جاء معها وليس وفق تقويم أو تقييم من أى نوع. ومن هنا جاء رفض كل المطالب المشروعة التى طالبت بها كل المنظمات الدولية المعنية وبخاصة وكالات الأمم المتحدة المتخصصة من دون استثناء..

وأكدت هيئة الدفاع أن «الشهيد ظل رابط الجنان ، صادق اللسان، واضح البيان، مؤكدًا ما عرفه كل المطلعين من أن قرار المحكمة متخذ سلفًا منذ نهاية القرن الماضى، بعد تأميم النفط، وبناء دولة المؤسسات، وامتلاك ناصية العلم، ومحو الأمية.. وبناء العراق الحديث القوى، والتصدى للمخططات المتآمرة على المصالح الوطنية والقومية.. إن لم يكن قبل ذلك.. ويكشف التاريخ المزيد من تفاصيل وفصول هذا الاغتيال، وسوف يتأكد القاصى والدانى أن صدام حسين عاش صادقًا، واستشهد صادقًا، نظيف اليد، متمسكًا بالمبدأ، وأنه لم يجاف حقائق الواقع والقانون عندما أكد بطلان المحكمة بصفتها قرارًا أمريكيًا وبأن الحكم ضده صادر لا محالة»..

ورغم الأكاذيب التى ذاعت فور تنفيذ الإعدام بأن العراق مقبل على حقبة جديدة.. فإن العالم كله، والعرب والمسلمين قبله، يعرفون أنها حقبة جديدة بالفعل.. هى الحقبة الأمريكية الصهيونية.. التى يخطط لها منذ زمن.. والتى تعتقد أمريكا وإسرائيل أن غياب الشهيد قد أفسح الطريق لها.. وسوف تثبت الأيام أنه الوهم.. وأن الاعتماد على الخونة لن يحقق للأمريكيين والصهاينة شيئًا.. لأن الخيانة لا تمكث فى الأرض.. والخونة يتحولون إلى هباء.. لأن من يخن بلاده.. يخن معنى أن يكون.. ولا يمكن أن يكون كما قال شاعر العراق العظيم : بدر شاكر السياب..

وليكن معلومًا أن ملايين الشرفاء فى العالم.. قد وصلتهم رسالة الشهيد.. فى تلك الليلة الحزينة.. وأن ملايين العرب والمسلمين الذين ضاقت صدورهم بالهوان

والاستخذاء.. قد استوعبوا الدرس.. ساعة تعلقت عيونهم بالشهيد مرفوع الهامة.. يجابه الموت بكل كبرياء البطل.. وكرامة القائد.. وزهو المنتصر.. وكأنه الفجر الذى حرر طاقات الملايين.. وأزاح كوابيس عصور الانهزام والانكسار والتبعية.. وسوف ترينا الأيام أن صدام حسين الذى انتصر روحيًا.. وتحول إلى رمز.. سيقود المقاومة.. ويشعل لهب الثورة الكامنة فى نفوس الملايين التى سوف تكتسح فى مسيرتها كل الخبث والخيانة ومعهما الظلم بكافة أشكاله.. وإن الشعوب كالبحار.. لا تتلوث.. ولا تنهزم.

ليلة سقوط بغداد

«بعد الانتهاء من الغداء.. وقف الرئيس وسلم علينا، وقبلنا، وأمرنا بالانطلاق إلى أهلنا.. كنا ثلاثة.. حاولنا التشبث بالرئيس واستحلفناه أن نبقى معه لمواصلة حمايته.. دون جدوى»

كانت كل الشواهد تؤكد إصرار أمريكا على احتلال العراق.. وبينما المظاهرات الحاشدة تجوب عواصم العالم منددة بالسياسة الأمريكية.. وتهوسات بوش.. وتحذر من غزو العراق.. وقف بوش أمام الكونجرس فى ٢٩ يناير ٢٠٠٣ مؤكدًا إصراره على نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية.. وأنه لن يسمح لصدام بالسيطرة على منطقة حيوية هى منطقة الخليج.. مدعيًا أن صدام يمكن أن يزود الإرهابيين بأسلحة الدمار الشامل، أو يساعدهم على تطويرها مما يهدد أمن الولايات المتحدة.. وتمادى بوش فى افتراءاته فأكد أن العراق لديه القدرة، ويمتلك مواد تكفى لإنتاج ٢٥ ألف لتر من الانثراكس «الجمرة الخبيثة» مما يكفى لقتل الملايين.. كما أن لديه القدرة على إنتاج أكثر من ٣٨ ألف لتر من الغازات السامة.. ثم زعم أن العراق يمتلك نحو ٣٠ ألف قذيفة صاروخية قادرة على حمل رءوس كيميائية، ومختبرات متنقلة للأسلحة البيولوجية.. وتعهد بأن أمريكا سوف تخوض الحرب إذا لم يكن منها بد.. وأنها سوف تنتصر..

كان خطاب بوش، بما تضمنه من أكاذيب وادعاءات وبلطجة، بمثابة إعلان حرب.. من طرف واحد.. وانتفض العالم كله بدوله ومنظماته ومظاهراته المليونية ضد بوش والحرب.. وأكد الرئيس الفرنسى السابق جاك شيراك استعداد بلاده لاستخدام

الفيتو مع روسيا والصين ضد قرار ا لحرب الأمريكية.. ورد بوش أن أمريكا لا تحتاج إلى موافقة الآخرين لحماية أمنها، وواصل التنسيق مع حلفائه وعلى رأسهم بريطانيا وايطاليا واسبانيا.. وبدأ توافد القوات الغازية.. وفى ٤ مارس ٢٠٠٣ ذكرت الأنباء أن الحشد العسكرى فى الخليج وشرق المتوسط بلغ ٢٢٥ ألف جندى، منهم ١١١ ألفًا يتمركزون فى الكويت.. و١٠٠ سفينة حربية تجوب مسرح العمليات، و٧ آلاف من القوات الجوية فى قاعدة الأمير سلطان بالسعودية.. وعدد من حاملات الطائرات التى يعمل عليها ٢٣ ألف فرد شرق المتوسط.. و٢٤ سفينة حربية تابعة للأسطول الخامس فى البحرين.. وفى قطر ٧ آلاف جندى أمريكى فى قاعدة «العديد» الجوية وقاعدة السيلية مقر قيادة الجنرال تومى فرانكس، بينما تأوى الامارات ١٢٠٠ فرد.. ويوجد للفرقة ٨٢ المحمولة جوًا وحدات مقاتلة فى الكويت..

وفى اليوم التالى أعلن أن قوة الحشد بلغت ٣٢٠ ألف جندى.. وملحقاتها من الفرق المدرعة والطائرات المقاتلة بأنواعها وحاملات الطائرات التى تعمل بالطاقة النووية.. ناهيك عن القوات الأمريكية الخاصة التى سمح لها بالتمركز فى قواعد بكردستان شمال العراق.. وبدأ الحديث مبكرًا عن عراق ما بعد الحرب.. وعن مشروعات إعادة اعمار العراق..

وذكرت مصادر عسكرية أمريكية أن الخطط الأمريكية البريطانية للحرب تتضمن السيطرة على بغداد خلال ٧٢ ساعة مع عملية خاطفة على مطار بغداد الدولى ومراكز القيادة العراقية وأن القصف الكثيف سوف يستمر لمدة ٤٨ ساعة كبداية..

❖❖❖

وعند هذا الحد توقف الكلام.. والتوقعات.. والتكهنات.. وعند السادسة والنصف من مساء ٢٠ مارس/ آذار ٢٠٠٣ انطلقت «حملة الصدمة والرعب» كما وصفتها المصادر الأمريكية فى شكل هجوم أمريكى بريطانى شامل ضد العراق.. يشمل استخدامًا مكثفًا للصواريخ والمدفعية الثقيلة/ قنابل العشرة أطنان، مع هجوم جوى مكثف ومستمر، واسقاط جنود خلف الخطوط، وست سفن حربية تطلق ٤٠ صاروخ كروز.. وأعلنت أمريكا سقوط أم القصر والفاو.. وأن العملية العسكرية تمضى بسرعة

مذهلة.. ونفت وجود إسرائيل فى الحرب..

وفى ٢٢ مارس تعرضت بغداد أساسًا وبعض المدن والمرافق العراقية إلى أعنف قصف جوى بقاذفات القنابل والصواريخ عابرة القارات «توما هوك كروز».. وأعلن أن بغداد تحترق من جرّاء القصف المركز، «٣ آلاف قنبلة، ٣٢٠ صاروخًا».. وصرح رامسفيلد بأن النظام العراقى بدأ يفقد السيطرة على الأوضاع.. بعد سقوط أم القصر والفاو والسيطرة على حقول النفط فى كركوك وتقدم قوات التحالف إلى عمق ٢٠٠ كيلومتر جنوب العراق.. وتنفيذ أكثر من ألف غارة جوية.. وأكد أنه سيتم تدمير الآلة العسكرية العراقية وضرب مئات الأهداف خلال الساعات القادمة..

وأكدت المصادر الأمريكية أن القوات البرية تتجه نحو بغداد بسرعة ٤٠ ـ ٥٠ كيلو مترًا فى الساعة بعد ضربها بأم القنابل التى يبلغ وزنها عشرة أطنان.. وحذرت منظمة الأطباء الألمان من استخدام القوات الأمريكية لنوع مشع من قنابل الخنادق مما يهدد حياة آلاف المدنيين..

وعلى الجانب الآخر أعلن العراق صموده، وأن الهجوم الأمريكى البريطانى لن يكون بالنسبة لهم نزهة.. وأكد مراسل رويتر أنه تم انزال العلم الأمريكى وإعادة العلم العراقى فى أم القصر.. والفاو.. وأنه لم تسقط مدينة عراقية واحدة فى يد المعتدين.. واعترف ضباط التحالف بمواجهة مقاومة عراقية شرسة.. وقال توماس هاوزر قائد استطلاع مشاة البحرية الأمريكية: إن العمليات العسكرية لا تسير بالسرعة المرجوة. وصرح الجنرال تومى فرانكس أن قوات التحالف ر بما ستواجه أيامًا صعبة.. وعاد بوش يعترف بأن الحرب ستستغرق وقتًا أطول مما كان متوقعًا.. ولأول مرة تتم الاغارة على بغداد نهارًا.. حيث شنت القاذفات الأمريكية والبريطانية ألف غارة وألقت ألف صاروخ و١٥٠٠ قنبلة موجهة.. وشاركت فى الهجوم عشر سفن حربية.. وتقرر استمرار الاغارة على بغداد على مدار الساعة..

وتتسرب الأنباء عن فشل قوات التحالف فى الاستيلاء على أم القصر، والفاو، والبصرة، والنجف وكربلاء.. و الناصرية.. واعترفت واشنطن بشراسة المقاومة وضرورة إعادة تقييم استراتيجيتها العسكرية.. وأعلن البيت الأبيض أن بوش سيتوجه

فى اليوم التالى إلى مقر القيادة المركزية فى فلوريدا ليناقش الأمر مع القادة العسكريين ويبدى لهم ملاحظاته على سير العمليات.. حتى تتوقف حملة جنرالات البنتاجون على رامسفيلد بعد فشل القوات الأمريكية البريطانية فى السيطرة على أى مدينة عراقية بعد ثمانية أيام من الحرب.

بينما ألقى الرئيس صدام خطابًا قصيرًا عبر التليفزيون أشاد فيه بأداء الجيش والمقاومة.. والمدن العراقية الباسلة التى لم تستسلم أى منها للمعتدين.. وشدد على الوحدة والمقاومة حتى النصر ودحر المعتدين..

وأعلنت أمريكا أنها سترسل ١٢٠ ألف جندى لتعزيز قواتها لمواجهة المقاومة العسكرية الضارية.. وأكد قائد القوة البرية الأمريكية أن جنوده يواجهون عدوًا غير الذى تدربوا على قتاله قبل الحرب.. وأن الهجمات العراقية على خطوط الإمداد والتموين تجعل القوات عاجزة.. وعرضة لنيران العدو.. وأكد أن استمرار المقاومة سيطيل أمد الحرب.. وأوضح أن الفرقة ١٠١ المحمولة جوًا والفرقة الثالثة مشاة واللتين تشكلان قلب الفيلق الخامس أوقفت تقدمها إلى بغداد انتظارًا لإمدادات تغطى عشرة أيام من الطعام والماء والوقود والذخيرة.. وحتى يتم ذلك فإن الغارات تتواصل على بغداد بكافة أنواع الأسلحة وعلى مدار الساعة.. وصرح مصدر عسكرى فى البنتاجون بأن رامسفيلد قد ورّط قوات التحالف.. وألقى بها فى مستنقع لا تعرف نهايته..

ومن ناحيته اتهم رامسفيلد سوريا بإمداد العراق بمعدات عسكرية منها مناظير للرؤية الليلية واعتبر ذلك عملاً معاديًا لأمريكا.. وقال: إنهم سوف يحاصرون بغداد أملاً فى استسلامها.. بعد دعم القوات بالفرقة الرابعة مشاة التى تحركت من تكساس.. ونفى وقف العمليات.. ولكنه تلقى صفعة مفاجئة عندما قدم ريتشارد بيرل مستشار وزير الدفاع استقالته.. وكان هو الذى أقنع الإدارة الأمريكية ووزيره رامسفيلد بأن القوات الأمريكية سوف تستقبل بالورود إذا دخلت العراق..

واستمرت الغارات دون توقف على بغداد.. واستهدفت مواقع الحرس الجمهورى.. ووزارة الإعلام، كما تعرض حى المحمودية السكنىّ لقصف عنيف.

وصرح محمد سعيد الصحاف وزير الإعلام آنذاك أن الجيش العراقى تمكن من اسقاط خمس مقاتلات وأربع طائرات هليكوبتر استولت على واحدة سليمة منها، وست طائرات تجسس بدون طيار، وأضاف أنه تم تدمير ٧٤ دبابة، ١٤٣ صاروخ كروز، وخمس حاملات دبابات و٣٥ حاملة جنود مدرعة.

وركزت القوات الأمريكية غاراتها على مدن البصرة والناصرة، وكربلاء.. والنجف.. وغيرها؛ مستهدفة مواقع الحرس الجمهورى.. والقصور الرئاسية.. ومواقع المقاومة..

وابتداء من يوم ٤ ابريل ٢٠٠٣. ارتفعت وتيرة حرب التصريحات بين الصحاف ورامسفيلد.. وأعلن أن القوات الأمريكية بدأت الهجوم لاحتلال مطار صدام قرب بغداد.. وأن قوات الغزو دخلت أحد قصور الرئاسة بالقرب من المطار واستولت على وثائق قبل مغادرته دون أن يواجهوا بأى مقاومة.. ونفى الصحاف ذلك وأكد أن القوات المعادية لم تصل إلى مشارف بغداد ولم تستطع السيطرة على أى مدينة عراقية..

وفى ٥ ابريل ٢٠٠٣ أعلنت القيادة المركزية الأمريكية أن قواتها تسيطر على أجزاء هامة من المطار على الرغم من استمرار القتال الضارى حوله.. وقال الصحاف: إن العراق سوف يقوم بعمل غير تقليدى فى المساء لن ينجو بعده أمريكى ممن دخلوا المطار..

وواصلت قوات الغزو قصف بغداد التى أصبحت محرومة من امدادات المياه والكهرباء وكافة أنواع الاتصال.. وأعلن مسئول فى البنتاجون أن الطائرات الأمريكية والبريطانية قامت بشن ما يزيد على ٢٣ ألف غارة جوية، وأن ٧٠٪ من القنابل المستخدمة هى من القنابل الذكية المزودة بأجهزة دقيقة لاصابة أهدافها وهو ما يزيد على سبعة أضعاف ما استخدم فى حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١.

وأعلن فجأة عن إقالة الكولونيل جون دودى قائد الفوج الأول لمشاة البحرية والذى كان يقود التقدم نحو بغداد.. وأعلن أن الأيام القادمة لن تشهد اجتياحًا لبغداد.. أو حصارها.. وبدلاً من ذلك ستتم السيطرة على الجسور والمنشآت الاستراتيجية الهامة لاستنزاف القيادة العراقية ومنع اتصالها بقواتها.

وفى تطور مفاجئ ولأول مرة منذ اندلاع الحرب يشاهد الرئيس صدام فى بث حى من تليفزيون العراق.. وهو يتجول فى شوارع بغداد بدون حراسة.. وحوله الجماهير التى تهتف بحياته.. وبالنصر للعراق..

وفى ٦ ابريل ٢٠٠٣ تعلن أمريكا أن قواتها توغلت فى بغداد لعدة ساعات.. وأن معارك ضارية بالدبابات استمرت ثلاث ساعات عند المدخل الجنوبى لبغداد.. والرئيس صدام يدعو الجيش والشعب إلى تصعيد المقاومة وارهاق الغزاة خارج بغداد.. وقد انتشرت الدبابات والمدرعات العراقية فى التقاطعات الرئيسية داخل بغداد وعند المخارج الجنوبية للعاصمة.

وأعلن الجانب الأمريكى أنه استولى على مقر قيادة فرقة «المدينة» التابعة للحرس الجمهورى وقاعدتها على بعد ٥٠ كيلومترًا جنوب شرق العاصمة فى بلدة السويرى واشتبك المارينز عند تقدمهم نحو بغداد مع اللواء المتبقى من فرقة النداء التابعة للحرس الجمهورى جنوب شرقى العاصمة، وأن معركة ضارية بالدبابات اندلعت بين الجانبين.. كما شنت القوات الأمريكية هجومًا واسعًا على كربلاء من جهاتها الأربع وسط مقاومة عراقية شرسة.. وتقدمت القوات الغازية نحو الموصل، وسيطرت القوات الكردية على مرتفعات استراتيجية قرب المدينة..

وفى ٧ ابريل تبدأ القوات الأمريكية حصار بغداد مع قصف صاروخى ومدفعى متبادل يهز العاصمة.. ومعارك طاحنة دون توقف.. ومراسل الإذاعة البريطانية يقول: إن ٢٠٠٠ دبابة ومركبة أمريكية عبرت الفرات إلى بغداد.. وفى نفس الوقت يصل الجنود البريطانيون إلى عمق البصرة لأول مرة.. وتهبط أول طائرة عسكرية أمريكية فى مطار صدام الدولى..

أصبح واضحًا أن القوات الأمريكية بهجماتها المكثفة وغاراتها التى لا تتوقف تستهدف تطويق بغداد من كافة الجهات وفرض الحصار الكامل عليها.. ودون تفاصيل كثيرة فقد أكد صحفيون ومراسلون وشهود عيان أن جنودًا عراقيين من تشكيلات فدائيى صدام، وأبناء العشائر ومقاتلين عربًا.. ينتشرون فى الشوارع الرئيسية وعلى مداخل المدينة للدفاع عنها فى مواجهة الاجتياح المنتظر.. وأكدت مصادر أمريكية

استشهاد من ٢٠٠٠ - ٣٠٠٠ عراقى فى التوغل الذى قامت به المدرعات الأمريكية مدعمة بالطيران لعدة ساعات.. كما أكدت استشهاد وأسر متطوعين مصريين وسودانيين يقاتلون إلى جانب العراقيين، وأن الفدائيين العرب يخوضون معركة شرسة مع القوات الأمريكية فى منطقة النهروان..

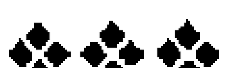
وفى اليوم التالى ٨ ابريل ٢٠٠٣ تمكنت ١٣٠ دبابة ومدرعة أمريكية من الاغارة على قلب بغداد، والاستيلاء على قصرين رئاسيين فتشهما الجنود الأمريكيون وسرقوا محتوياتهما، ثم فرضوا حصارًا على وزارة الإعلام وفندق الرشيد وسط مقاومة ضارية.. وسط سحب دخان كثيفة من جراء اشعال المقاومة للبترول فى خنادق خصصت لذلك لمحاولة التشويش على الطائرات المغيرة.. كما نسفت بعض الجسور على نهر دجلة لوقف تقدم القوات الأمريكية التى وصلت إلى النصب التذكارى للجندى المجهول وساحة الشهداء.. وأعلنت أمريكا أن قواتها قد اخترقت العاصمة من الجانب الغربى لنهر دجلة.. كما شنت وحدات البحرية الأمريكية هجومًا ضاريًا على المدينة.. وأن الاختراق مستمر من عدة جهات..

وبات واضحًا أن بغداد قد تركت لأهلها ومعهم مجموعات من حزب البعث وفدائيى صدام وأبناء العشائر والمتطوعين العرب للدفاع عنها، وتعلن أمريكا فى ٩ ابريل ٢٠٠٣ أنه لم يعد هناك دفاع متماسك عن العاصمة.. التى اخترقتها القوات الأمريكية من الشمال والجنوب وسيطرت على مطار الرشيد شرق بغداد وجسر الجمهورية الاستراتيجى.. والمجمع الرئاسى ووزارات التخطيط والإعلام والخارجية.. بعد معارك ضارية مع المقاومة.. وأن الدبابات والمدرعات الأمريكية تواصل توغلها وسط المدينة تحت غطاء جوى من الطائرات المقاتلة وطائرات الأباتشى..

وفى البصرة أعلنت القوات البريطانية أنها نشرت ٤٠٠٠ جندى غير أن المدينة مازالت تقاوم.. وفى مناطق الموصل وكركوك واصلت الطائرات الأمريكية قصفها لعدد من المواقع، واستطاعت قوات البشمرجة الكردية بمساعدة قوات أمريكية من الاستيلاء على مدينة الديباجة كما تمركزت حول بلدة قار هاجر بعد انسحاب القوات العراقية منها..

وفى الثانية والنصف من بعد ظهر ٩ ابريل تقدم طابور مدرع إلى ساحة الفردوس، وعبر المارينز جسر الجمهورية واحتلوا ساحة فندق فلسطين، وتمركزت المدرعات الأمريكية فى عدة مواقع، واجتاح مشاة البحرية بغداد من جهة الشمال الشرقى واستولوا على مدينة صدام وهو حى شيعى يضم ٢ مليون نسمة دون مقاومة تذكر. وتقدمت قوات من الشمال الغربى والجنوب الغربى ومن قاعدة الرشيد الجديدة صوب وسط المدينة وطوقت فى طريقها جميع الوزارات والمصالح الحكومية وما تبقى من القصور الرئاسية.. كما تمت السيطرة على إدارة الأمن العام.. ومعسكر تدريب رئيسى تابع لحزب البعث فى الحى الغربى من بغداد، وأعلن متحدث عسكرى أمريكى أن مئات الدبابات والمدرعات حاملات الجنود والمدرعات القتالية تنتشر فى أحياء بغداد ويجرى مضاعفة هذه القوات.. وذكر مراسل الإذاعة البريطانية من بغداد أن مشاة البحرية سيطروا على مقر قيادة الفرقة العاشرة العراقية المدرعة فى وسط بغداد دون اطلاق عيار نارى واحد، ولكن المحير أن مصير أفراد القوة البالغ عددهم ١٥ ألف مقاتل عراقى غير معروف.

وهكذا انهارت السلطة المركزية والأمنية فى بغداد التى خلت من أى مظاهر للحكومة العراقية.. كما أعلن أن الرئيس العراقى قد قتل خلال الغارة على مبنى بحى المنصور.. وأعلنت واشنطن نهاية نظام صدام حسين.



وهنا يثور سؤالان: أين كان الرئيس صدام حسين عندما تم احتلال بغداد فى التاسع من ابريل عام ٢٠٠٣؟ والسؤال الثانى عن الأسرار التى تحيط بدخول القوات الأمريكية إلى بغداد بالسهولة التى لم يتوقعها أحد.. بينما معظم المدن والمناطق العراقية مازالت تقاوم.

وعن السؤال الأول يجيب الملازم أول خالد السلطانى من فريق حماية الرئيس.. والذى لم يفارقه إلا بعد ظهر الجمعة ١١ ابريل ٢٠٠٣ بناء على أوامره.. حيث يعكف الآن على كتابة مذكراته.. يقول: ذهب لؤى زميلنا من فريق الحماية وأحضر كميات من اللحم المشوى من أحد مطاعم حى الأعظمية، وبعد الانتهاء من الغداء.. وقف الرئيس

وسلم علينا وقبلنا وأمرنا بالانطلاق إلى أهلنا.. كنا ثلاثة.. حاولنا التشبث بالرئيس، واستحلفناه أن نبقى معه لمواصلة حمايته دون جدوى.. كان يرتدى ثيابه العسكرية ويحمل بندقية آلية إضافة إلى مسدسه الشخصى..

قبل ذلك بيوم واحد اجتمع الرئيس مع ولده قصى وسكرتيره الشخصى عبد حمود، وكانا آخر من بقى مع الرئيس بعد احتلال بغداد.. وكانا برفقته أيضًا عندما أدى صلاة العصر فى جامع الإمام الأعظم فى حى الأعظمية يوم التاسع من ابريل.. يوم الإعلان عن احتلال بغداد.. وقتها كانت الأعظمية تعيش مشهدًا مختلفًا عن ذلك المشهد فى ساحة الفردوس.. عندما تهاوى تمثال الرئيس قبالة فندق فلسطين بينما الرئيس فى الأعظمية يفتح صفحة جديدة من صفحات المقاومة..

عراقيون من كل الأعمار، ومقاتلون عرب.. التفوا حول الرئيس يهتفون بحياته وحياة العراق.. وسرعان ما امتلأ الجامع وساحته بآلاف المواطنين.. واستمر المشهد.. وبعد فترة أمرنا قصى بأن نؤمن دخول الرئيس إلى السيارة.. بعد أن كنا قد رفعناه على أكتافنا لتحية الجماهير التى ملأت المكان.. وعندما بدأت سيارته فى التحرك انطلقنا خلفها كفريق حماية ولم نكن نعرف إلى أين تمضى؟.. وقد اقتربت الساعة من الخامسة مساء..

فى إحدى المزارع الواقعة فى ضواحى بغداد.. وقريبًا من حى الأعظمية، وفى منطقة يسميها أهل بغداد «سبع أبكار» وقفت سيارة الرئيس ووقفنا خلفها. لم تكن المزرعة تبعد كثيرًا عن منزل صالح مهدى عماش نائب رئيس الجمهورية الأسبق.. ومنزل الزعيم رشيد عالى الكيلانى..

كانت الشوارع خالية.. بما يعنى صعوبة رصدنا.. وأمر الرئيس سائقى السيارتين الرئاسيتين باخفائهما فى مكان آمن بعيدًا عن المزرعة.. وعاد السائقان بعد أقل من ساعة ومعها سيارتان قديمتان، برازيلية موديل ١٩٨٤، ويابانية موديل ١٩٨٦..

كنا ندرك أن الرئيس قد قرر مغادرة المقر البديل لاجتماعاته فى حى زيونة بعدما علم باحتلال منطقة الرصافة، وأخذت الدبابات الأمريكية تتجول فى المنطقة، وقتها سلكنا شارع فلسطين وصولاً إلى شارع المغرب، قبل أن نواصل السير يمينًا إلى

حيث مرقد الإمام الأعظم، حيث الأعظمية هى المعقل التاريخى لحزب البعث، وظلت من المناطق شبه المحررة فى بغداد.. ومازلت أذكر ملامح الحزن تغطى وجه الرئيس وتلون نبرة صوته وهو يحرض الناس.. اليوم بدأت معركتنا الحقيقية مع الأعداء.. نحن الذين سنحدد مسارها.. وأنتم الذين ستلقنون الغزاة درسًا لن ينسوه.. يجب أن نسارع بالمقاومة كى لا يشعر الأعداء وعملاؤهم بطعم النصر..

ويضيف خالد السلطانى أنه رافق الرئيس الذى شارك المقاتلين العراقيين والمجاهدين العرب بشكل فاعل فى معركة نفق الشرطة يوم العاشر من ابريل.. كان ذلك عند الظهيرة.. ويومها استطاع الرئيس أن يدمر بقذيفة «آربى جى» مصوبة جيدًا واحدة من دبابات العدو.. وبعد انتهاء المعركة دعا المقاتلين إلى حماية أشقائهم من المقاتلين العرب والاستمرار فى المقاومة فالوطن اليوم ينادى رجاله الشجعان.. كانت كلماته نارية فهتف المقاتلون بحياته وحياة العراق.. وعاهدوه على المقاومة وملاحقة العدو فى كل مكان.

بعد وقف معركة نفق الشرطة التى قتل فيها عدد من المقاتلين العرب والعراقيين غادر الرئيس المنطقة فى سيارة تويوتا إلى حى المنصور ليلتحق برفاقه من جيش القدس الذين كانوا يخوضون معركة ضارية فى شارع ١٤ رمضان قرب الأسواق المركزية.. واستخدم الـ«آربى جى» بكفاءة نادرة.. ويومها احترق عدد من دبابات العدو وهرب الباقى من أرض المعركة..

ويقول السلطانى المكلف بحماية الرئيس: إنه كان يتنقل معه أثناء المعركة فى عدد من المقرات البديلة التى اختارتها القيادة بعناية فائقة لتكون مقار للاجتماعات فى أحياء المنصور، واليرموك والسيدية، والاعلام، والأعظمية، والجهاز، والدورة، وزيونة، وسبع أبكار.. وغالبًا ما كنا تنتقل عدة مرات فى اليوم ا لواحد بين هذه المقار.. وكان الرئيس يقضى الجزء الأكبر من وقته، فى الليل والنهار، أثناء المعركة بالمرور على المواقع يناقش المقاتلين، ويرفع من معنوياتهم.

على أن أكثر الاجتماعات التى كان الرئيس يعقدها أثناء المعركة تضم ولده قصى، وأحيانًا ولده عدى، مع وزير الدفاع الفريق سلطان هاشم، وقائد جيش القدس

أياد الراوى، وقادة الأسلحة من الجيش والحرس الجمهورى.. لتلقى التعليمات مباشرة من الرئيس والتى كان يركز فيها على رفع الروح المعنوية، تاركًا تقدير الأمور العسكرية لهم كل فى مجال تخصصه.

وأكد السلطانى أنه لم يفارق الرئيس طوال أيام المعركة.. كانت معنوياته عالية، لم يبد عليه الخوف للحظة. ولم يستفز فى أى وقت.. كان هادئًا باستمرار.. يلاطف رفاقه ويستمع إليهم جيدًا.. ويوصيهم بالاهتمام بجنودهم.. كان يؤدى الصلوات فى أوقاتها.. ويصوم يومى الاثنين والخميس.. وكان فى كل الأوقات كما نعرفه.. ذلك الرجل الصلب الذى يحمل كبرياء العراق والعرب.. لا ينحنى ولا يهاب.. بعد أسبوعين من بدء القتال فوجئنا به وقد نزل إلى الشارع فى مدينة المنصور.. وبقدر الهلع الذى أصابنا.. احتفظ هو بهدوئه واتزانه.. وشخصيته التى يعرفها العراقيون.. لقد أراد توجيه رسالة إلى كافة أعدائه.. فصدام يتجول بكل حرية بين أبناء شعبه.. والمقاومة لن تتوقف.. كان يعلن فخره بالصمود البطولى لمدينة أم القصر وحاميتها.. وبمدن الجنوب التى ظن الأعداء أنها ستستقبلهم بالورود.. فاستقبلتهم بالرصاص..

ونفى السلطانى اختراق الحلقة المحيطة بالرئيس من قبل الاستخبارات المعادية، وأكد أن الرئيس لم ينم ليلتين متتاليتين فى مكان واحد.. وكانت الاستخبارات العراقية توفر له العديد من البيوت العادية فى أحياء بغداد، ولم يكن دخوله أو خروجه يثير أى اهتمام للجيران.. وتوقف عن استخدام الهاتف نهائيًا خشية تحديد مكانه.

وعندما تناقلت أجهزة الإعلام خبرًا كاذبًا عن هروب طارق عزيز إلى كردستان.. وفى نفس اليوم اجتمع الرئيس بطارق وطه ياسين رمضان.. واتفق على عدم نفى الخبر.. وأشار الرئيس على طارق أن يشارك وزير الإعلام محمد سعيد الصحاف فى مؤتمر صحفى عن الصمود العراقى وتطورات المعارك.. وكان الرئيس راضيًا عن الأداء الإعلامى للصحاف، وكثيرًا ما كان يرسل إليه بملاحظاته على خطة الإعلام.. أو برسائل يبثها الصحاف عبر التليفزيون..

ويقول السلطانى: إن أكثر الذين تواجدوا مع الرئيس بالإضافة إلى سكرتيره عبد حمود هم ولده قصى، والفريق سلطان هاشم وزير الدفاع، وطاهر جليل الحبوش

مدير المخابرات العامة وقادة الأسلحة.. وأحيانًا الفريق أول الركن عبدالجبار شنشل أحد أهم القادة التاريخيين للجيش العراقى للاستشارة، وكان أكثر المترددين على المقار البديلة للرئيس طه ياسين رمضان وطارق عزيز، أما عزت الدورى فلم يلتق بالرئيس طيلة أيام المعركة بسبب وجوده فى مدينة الموصل قائدًا عسكريًا للمنطقة الشمالية.

وكما أعدت المخابرات العراقية المقار التبادلية للرئيس أعدت أيضًا عددًا كافيًا من السيارات لتحرك الرئيس ومعاونيه توزعت بين التاكسى، والبيك آب وسيارات الصالون العمودية من موديلات قديمة كالتى يستعملها أكثر العراقيين لحرمان العدو من رصد تحركاته.. ويقول السلطانى: لقد تركنا مرات عديدة فى سيارا ت التاكسى وكان الرئيس يضع الكوفية الحمراء على رأسه للتمويه، مع الحرص على سلاحه الشخصى: المسدس والكلاشنكوف.. وفى مرات تحركنا فى سيارة بيك آب، وسيارات أخرى قديمة.. وسيارات تحمل لوحات حكومية مثل الزراعة والتربية وغيرهما.. وفى إحدى المرات ركبنا باصًا من النقل العام.. ودائمًا لم ينتبه أحد.

ويؤكد السلطانى أن الرئيس قاد بنفسه دبابة عراقية ضمن رتل من الدبابات كان متجهًا للمشاركة فى معركة المطار يوم ٥ ابريل، وقد طلب وقتها من قيادة الطيران تأمين بعض المروحيات المقاتلة لحماية الدبابات.. لكن تلك الأوامر لم يتم تنفيذها لسبب لا أعرفه حتى الآن.. وكانت العناية الإلهية وراء سلامة الرئيس وصحبه، حيث هبت عاصفة ترابية هائلة حجبت الرؤية.. وعطلت حركة الطائرات المعادية.. ووصل الرئيس بدبابته ضمن رتل الدبابات إلى المطار.. وخاضوا معركة من طراز رفيع لم يكشف النقاب بعد عن تفاصيلها كاملة.. لأن القوات الأمريكية تكتمت على خسائرها الفادحة والرواية العراقية الدقيقة حول هذه المعركة البطولية لم تكتب بعد.

❖❖❖

ويبقى السؤال الثانى الأكثر أهمية الذى حير المراقبين.. وكان بمثابة الصدمة للعرب والمسلمين وكافة المتابعين.. ويتعلق بالأسباب الكامنة وراء الانهيار المفاجئ لبغداد، واجتياح القوات الأمريكية لعاصمة العراق.. التى صمدت لأيام اعتمادًا على مقاومة المواطنين وأبناء العشائر.. وفلول من فدائيى صدام والحرس الجمهورى

والمقاتلين العرب؟.. ونفتش فى المعلومات المتاحة، المبعثرة فى الصحف وأجهزة الإعلام والشبكات حتى نتمكن من رسم صورة أقرب إلى الواقع.. وتصور ما حدث.. أو ما يمكن أن يكون قد حدث.. وإن كانت الشواهد كلها تلقى بوزر ما حدث على الخيانة.. بوضوح لا يحتمل التأويل..

فقد كشفت صحيفة «صباح» التركية يوم ١٤ مارس ٢٠٠٣ أى قبل بدء الحرب بأسبوع تقريبًا أن السفير الأمريكى فى أنقرة روبرت بيروسن أكد لعدد من النواب الأتراك أن القوات الأمريكية تخطط للبقاء فى العراق خمسة وعشرين عامًا.. وأذاعت «سى.إن.إن» أن مفاوضات سرية تجرى بين مسئولين أمريكيين مع بعض كبار ضباط الجيش العراقى لاقناعهم بعدم القتال عند اندلاع الحرب..

وقبل بدء العمليات بيومين صرح ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان أن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية تهدف إلى اقناع العراقيين بحتمية الهزيمة من خلال إحداث صدمة قوية عن طريق القصف المكثف والقوى والمستمر، حيث يمكن دخول بغداد دون قتال..

وفى السيلية أعلن متحدث رسمى بريطانى ٢٣ مارس أن القوات البريطانية أجرت مفاوضات حول استسلام سلمى للقوات العراقية. وفى نفس اليوم أعلن رامسفيلد أن مفاوضات سرية تدور مع قيادات عراقية لترتيب استسلامها دون قتال..

وفى ٢٧ مارس أعلن أن الميليشيات الكردية قد استولت على موقع عراقى رئيسى يقع على الطريق إلى كركوك..

وقد تمت إقالة الفريق مزاحم صعب قائد الدفاع الجوى وابن عم الرئيس صدام بسبب عدم كفاءته فى مواجهة القوات الغازية.. كما تم اعفاء مسئول محافظة المثنى لوجود خلل فى قيادة قاطع محافظة المثنى «سيف الدين المشهدانى» وتعيين نورى إسماعيل مكانه.

وصرحت مصادر أمريكية يوم ٤ ابريل بأن القوات الأمريكية بدأت الهجوم لاحتلال مطار صدام قرب بغداد، وأن قوات الغزو دخلت أحد قصور الرئاسة بالقرب من المطار واستولت على وثائق قبل مغادرته دون أن تواجه أى مقاومة..

وفى نفس اليوم أكد متحدث باسم القوات البريطانية أنه تم إمهال عناصر اللواء العراقى ٥١ بعض الوقت للتفكير فى الاستسلام ولكنه مازال متمركزًا وسط البصرة..

وفى ٦ ابريل أعلن الجنرال فيكتور ريجوارت أن القوات الأمريكية فى اندفاعها إلى وسط بغداد استولت على مقر قيادة فرقة «المدينة» التابعة للحرس الجمهورى وقاعدتها على بعد ٥٠ كيلومترا جنوب شرقى العاصمة فى بلدة «السويرة » دون مقاومة..

وبعد بدء العمليات بيوم واحد صرح دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى لتليفزيون بلاده بأن هناك مفاوضات سرية مع قيادات فى الحرس الجمهورى العراقى لن نكشف عنها فى الوقت الراهن.. وانتظروا الأيام القادمة.. وهو ما اعتبر نوعًا من الحرب النفسية والدعاية الأمريكية، وبعد ثلاثة أيام من التصريح بثت وسائل الإعلام الأمريكية شريطًا مسجلاً يتحدث باللغة العربية ويرشد القوات الأمريكية إلى مواقع القصف الهامة، وأماكن تمركز القوات العراقية لتبادر قيادة القوات الأمريكية بإصدار الأوامر لضرب تلك الأهداف..

وقالت مصادر صحفية إن تصريحات رامسفيلد لم تأت من فراغ، فقد جرت اتصالات سرية مع قيادات بالحرس الجمهورى وفدائيى صدام.. خاصة بعد المعركة الضارية التى دارت فى ضواحى بغداد بين الحرس الجمهورى والقوات الغازية.. واكتشف الأمريكيون أنهم فى مواجهة قوات مجهزة تجهيزًا عسكريًا فائقًا ومدربة تدريبًا عاليًا.. ويمكنها أن تلحق خسائر فادحة بالأمريكيين عند محاولة دخول بغداد..

وكان المقابل الذى وافق عليه رامسفيلد أن يتم نقل القيادات «الخائنة» إلى خارج العراق فورًا، ومنحهم «حسب رغبتهم» الجنسية الأمريكية مع عائلاتهم والإقامة فى الولايات المتحدة، أو منحهم أوضاعًا مسئولة فى إدارة العراق «المحرر».. مع منح الجميع مبالغ مالية ضخمة تؤمن حياة ممتازة لهم ولعائلاتهم.. وكانت مهام القيادات تتحدد فى إصدار الأوامر المستديمة للقيادات الأدنى بعدم مواجهة القوات الأمريكية، تنفيذًا لخطة سرية أعدتها القيادة لإطالة أمد الحرب وايقاع القوات الأمريكية فى فخ نصب لها.. حتى تمنى بخسائر فادحة..

وقد نقلت وكالات الأنباء ٢٥ مايو ٢٠٠٣ عن الجنرال تومى فرانكس قائد القوات الأمريكية الغازية أن القوات الأمريكية الخاصة قدمت رشاوى لكبار القادة العسكريين العراقيين لضمان تحقيق نصر سريع وحاسم بأقل الخسائر.. وقالت صحيفة «الاندبندنت» البريطانية إن فرانكس لم يكشف عن أسماء القادة «الخونة» أو قيمة الرشوة التى حصلوا عليها.. ورجحت أن يكونوا من قوات الحرس الجمهورى المكلفة بالدفاع عن بغداد.. وصرح مسئول بوزارة الدفاع بأن أمريكا تجنبت إراقة الدماء بثمن صاروخ كروز واحد «١ - ٢,٥ مليون دولار».

وقال بعض المحللين إن المخابرات المركزية الأمريكية لعبت دورًا أساسيًا باستغلالها لنشطاء السلام فى أمريكا.. فقد أرسلت عددًا من أمهر عملائها إلى بغداد ليعملوا كدروع بشرية لحماية المواقع التى تحددها لهم القيادة العراقية.. وانطلت الحيلة على العراقيين وتم توزيعهم على المصانع والمعامل التى تقام تحتها فى باطن الأرض مخازن ضخمة للأسلحة بكافة أنواعها، والتى تكفى للمقاومة على مدى سنوات.. وأكثرها كانت تخص الحرس الجمهورى وفدائيى صدام.. وكان فخًا نصب بعناية.. حيث تم تزويد تلك الدروع بأجهزة اتصال دقيقة يصعب اكتشافها، وقد لعبت هذه الأجهزة دورًا هامًا فى تحديد مخازن الأسلحة وأماكن تمركز القوات الهامة.. ومختلف المواقع.. ومحطات توليد الكهرباء وغيرها حتى يتم قصفها من قبل القوات الأمريكية..

ويدلل المحللون على صحة وقائع الخيانة بما حدث فى مطار صدام.. والقصر الرئاسى القريب منه.. فعندما نجحت القوات الأمريكية فى احتلال أجزاء من المطار.. صرح الصحاف بأن هناك مفاجأة فى المساء لن تترك فرصة لأى من القوات الأمريكية للخروج من المطار حيًا.. وكان يقصد الأنفاق المموهة التى تمتد تحت الأرض من القصر الرئاسى إلى داخل المطار والتى تقرر أن تستخدمها القوات العراقية لمفاجأة القوات الأمريكية فى المساء.. ولم يكن الصحاف يعلم أن بعض قيادات الحرس الجمهورى التى تعرف وحدها أسرار تلك الأنفاق التى أعدت لاستخدامها فى وقت الخطر، قد زودت القوات الأمريكية بكافة المعلومات المتعلقة بها، حتى تكون فى انتظار القوات القليلة

التى سمح لها باستخدام الأنفاق.. ومن ثم تم استيلاء القوات الأمريكية على المطار.. والسيطرة على القصر الرئاسى.. وتأكدت من صدقية الاتفاق مع القيادات «الخائنة» وأصبح الطريق مفتوحًا إلى بغداد دون مقاومة من القوتين الرئيستين.. الحرس الجمهورى وفدائيى صدام.. ومن ثم بدأت الدبابات فى التوغل داخل المدينة.. وإجراء المناورات.. وتدمير البنى التحتية للعاصمة التى غرقت فى الظلام.. وحرمت من المياه وكل أنواع الاتصال.. وإسكات وسائل الإعلام.. والتعامل مع المقاومة المحدودة، وتجاوز شجاعتها بآلة الحرب الجهنمية.. وفى حشود القوات وغطائها الجوى.. وفتحت المعلومات الدقيقة الطريق أمام القوات الغازية للاستيلاء والتحفظ على المستودعات الضخمة للأسلحة.. ومخازن صواريخ «الصمود» ومستودعات الأسلحة الثقيلة والخفيفة.. فى هذه الأثناء كانت الطائرات الأمريكية تنقل «الخونة» إلى خارج العراق.. بعضهم إلى الولايات المتحدة عن طريق ألمانيا.. والبعض الآخر إلى الكويت.

وصية الشهيد

«رغم كل الصعوبات والعواصف التي مرت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة لم يشأ الله سبحانه أن يميت صدام حسين.. فإذا أرادها في هذه المرة، فهي زرعه.. وهو الذي أنشأها، وحماها حتى الآن.. وبذلك يعز باستشهاد نفس مؤمنة».

هل يمكن تخيل تلك اللحظات.. لحظات الوقوف عند الحافة الفاصلة بين الحياة والموت.. لحظات مواجهة المصير.. التى تزداد وطأتها وحدتها عندما يرتهن المصير بإرادات غير أمينة.. وعقول طمسها الحقد، والتعصب. والغرائز الدنيا للانتقام.. واذلال الخصوم.. والتشفى؟..

هل يمكن تخيل تلك اللحظات.. التى يستباح فيها كل شىء تعلق به الإنسان.. حرص عليه ورعاه.. بل استباح حياة الإنسان نفسها؟..

لحظات لا يعرفها إلا من عاشها.. أو اقترب منها.. لحظات يعرض الإنسان خلالها مجردًا من كل شىء.. حيث تظهر معادن الرجال.

وعندما أصدرت هيئة التمييز قرارها بالمصادقة على حكم المحكمة الجنائية العراقية بإعدام رئيس العراق.. تم ابلاغه فى محبسه.. وطلب منه تحديد رغباته أو طلباته.. فطلب أن يحاط فريق الدفاع بذلك.. وأعلن عن رغبته فى لقاءأحد أعضائه.. وتمت مراجعته مرات.. فلم يزد.. لم يطلب شيئًا لنفسه، أو لأسرته.. لم يطلب العفو.. أو يلتمس تخفيف العقوبة.. وكان له ما أراد..

كان فريق الدفاع يتكون من ٢٢ محاميًا.. تم اختيارهم من بين ١٥٠٠ محام عربى وأجنبى تطوعوا للدفاع عن الرئيس الأسير.. بينهم عائشة القذافى كريمة الزعيم الليبى.. ومحامون من الولايات المتحدة وفرنسا وسويسرا والمملكة المتحدة..

ولأن قوانين العدل العراقية لا تجيز لمحام غير عراقى الدفاع عن متهم يحمل

الجنسية العراقية، وتجيز فقط الاستعانة بمحامين غير عراقيين كمستشارين للمحامى عن الرئيس العراقى.. فقد اختار فريق الدفاع المحامى العراقى خليل الدليمى محاميًا رئيسيًا..

وبالطبع كان الدليمى هو المحامى الذى سمح له بلقاء الرئيس الأسير حسب رغبته.. وحاول الدليمى جاهدًا أن يخفى ما يتعرض له فريق الدفاع من مخاطر بعد قيام جيش المهدى باغتيال ستة من بينهم والتمثيل بجثثهم.. وانذارات التهديد التى يتعرض لها الباقون كل لحظة.. وكان الرئيس الأسير من يبث الطمأنينة فى قلب الدليمى.. ويطالبه بإبلاغ تحياته إلى فريق الدفاع الذى أدى واجبه بشرف.. ثم سأله عن أخبار العراق.. وسوريا.. وفلسطين.. وما يجرى فى لبنان.. وأية أخبار تهم الناس.. لأنه انقطع عن العالم منذ أسره أواخر عام ٢٠٠٣.. وقبل انتهاء المقابلة سلمه الرئيس عدة أوراق تحمل وصيته الأخيرة..

ومن المعروف أن الرئيس الراحل قضى سنوات أسره الثلاث يقرأ القرآن، ويكتب مذكراته.. وآراءه.. وخواطره.. وتأملاته.. وقد اتضح أثر ذلك كله فى وصيته الأخيرة التى تنم عن تأملات عميقة، ورؤى ذات طابع فلسفى.. وأسلوب رصين مقتحم.. وأفكار تتابع فى شكل منطقى لا يعتريها أى تشوش.. أو ارتباك.. رغم الظروف التى كان يكتب فى ظلها.. والنهاية المحتومة التى توقعها..

تبدأ الوصية بتسليم إيمانى بأن المصائر فى يد الله.. ورضائه الكامل بما كتب له مهما كان.. ثم نداء إلى أبناء العراق.. وتذكيره بالمحنة التى ابتلى بها العراق.. وكيف يراها درسًا واختبارًا قاسيًا يحدد هوية الإنسان وموقفه.. وعنوانًا عليه أمام الله والناس والتاريخ.. ثم يتعرض بكلمات حاسمة لإحدى القضايا الهامة التى تؤرق مجتمعاتنا العربية.. وتمثل خطرًا على الأمن القومى العربى،. وعارًا على بعض الفئات التى تلجأ للاستقواء بقوى أجنبية، وتهدد بذلك، كلما لاح لها ما لا يروق لمصالحها وأطماعها.. وما يتبع ذلك بالضرورة من ارتباط المصالح والمصير بين هذه الفئات والقوى الأجنبية التى تستخدمها كطابور خامس..

بعد أن يرصد لب القضية وتداعياتها فى ايجاز.. يذكر أبناء العراق بما كان منه

ومنهم كأهل.. وكيف أنه لم يفرق بين أهله يومًا.. ولم يميز أحدًا إلا بصدق الجهد المبذول.. والكفاءة.. والوطنية.. وأن مواقفه كلها كانت ترجمة لمشاعرهم فإن قائد العراق - كما تريدون - لا يمكن أن يحنى هامته للعتاة الظالمين.. بل يظل سيفًا وعلمًا..

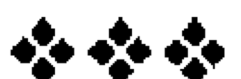
ثم يوصى شعبه بأن يكون نموذجًا يحتذى فى المحبة والعفو والتسامح.. والتعايش الأخوى، من أجل التفرغ للبناء والتعمير ويؤكد دعوته للتآلف والتوحد تحت راية العراق ومبادئه المستمدة من تاريخه ومسيرته الثورية.. وعدم الاستجابة لدواعى الفرقة التى تهب على العراق من الخارج..

ثم يؤكد دعوته إلى نبذ الحقد.. لأنه لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل.. ولأنه يعمى البصر والبصيرة، ويغلق منافذ التفكير.. وعلى أساس من ذلك يدعو بكل قوة إلى عدم كراهية شعوب الدول التى اعتدت على العراق.. والتفريق بين أصحاب القرار والشعوب.. وتتصاعد روح التسامح لديه فيقول: حتى أصحاب القرارات وفاعلو الشر لا يجب كراهيتهم كبشر.. بل كراهية الشر كفعل منكر.. وأن من يرعوى ويصلح سواء فى داخل العراق أو خارجه فهو يستحق العفو.. وأن تفتح أمامه صفحة جديدة.

علما بأن بين شعوب الدول المعتدية أناسًا يؤيدون نضال العراق ضد الغزاة.. وبعضهم تطوع للدفاع عن أسرى الاحتلال الأمريكى.. وغيرهم كشف فضائح الغزاة..

ثم يختم وصيته بكلام موقع.. أقرب إلى الشعر.. يحمل أكثر المعانى المتقدمة.. فى تركيز وايجاز.. متصاعدًا من البداية حتى النهاية التى يعلن فيها أنه يستودع نفسه عند الرب الرحيم الذى لا تضيع عنده وديعة.

ولنقرأ معا نص وصية الشهيد صدام حسين الأخيرة.. كما سلمها لمحاميه خليل الدليمى.. وقبل أن يلقى ربه بساعات قليلة.



«قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»

أيها الشعب العراقى العظيم.. أيها النشامى فى قواتنا المسلحة المجاهدة.. ايتها العراقيات الماجدات.. يا أبناء أمتنا المجيدة.. أيها الشجعان المؤمنون، فى المقاومة الباسلة.

كنت كما تعرفونى فى الأيام السالفات، وأراد الله سبحانه أن أكون مرة أخرى فى

ساحة الجهاد والنضال على لون وروح مما كنا به قبل الثورة مع محنة أشد وأقسى.

أيها الأحبة ان هذا الحال القاسي الذى نحن جميعًا فيه وابتلى به العراق العظيم، درس جديد وبلوى جديدة ليعرف به الناس كل على وصف مسعاه فيصير له عنوانًا أمام الله وأمام الناس فى الحاضر وعندما يغدو الحال الذى نحن فيه تاريخًا مجيدًا، وهو قبل غيره أساس ما يبنى النجاح عليه لمراحل تاريخية قادمة، والموقف فيه وليس غيره الأمين الأصيل حيثما يصح، وغيره زائف - حيثما كان - نقيض.. وكل عمل ومسعاة فيه وفى غيره، لا يضيع المرء الله وسط ضميره وبين عيونه معيوب وزائف، وإن استقواء التافهين بالأجنبى على أبناء جلدتهم تافه وحقير مثل أهله، وليس يصح فى نتيجة ما هو فى بلادنا إلا الصحيح، «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» صدق الله العظيم.

أيها الشعب العظيم.. أيها الناس فى أمتنا والانسانية.. لقد عرف كثر منكم صاحب هذا الخطاب فى الصدق والنزاهة ونظافة اليد والحرص على الشعب والحكمة والروية والعدالة والحزم فى معالجة الأمور، والحرص على أموال الناس وأموال الدولة، وأن يعيش كل شىء فى ضميره وعقله وأن يتوجع قلبه ولا يهدأ له بال حتى يرفع من شأن الفقراء ويلبى حاجة المعوزين وأن يتسع قلبه لكل شعبه وأمته وأن يكون مؤمنًا أمينًا من غير أن يفرق بين أبناء شعبه إلا بصدق الجهد المبذول والكفاءة والوطنية...

وها أنا أقول اليوم باسمكم ومن أجل عيونكم وعيون أمتنا وعيون المنصفين أهل الحق حيث رعت رايته:

أيها العراقيون.... يا شعبنا وأهلنا، وأهل كل شريف ماجد وماجدة فى أمتنا... لقد عرفتم أخاكم وقائدكم مثلما يعرفه أهله، لم يحن هامته للعتاة الظالمين، وبقى سيفًا وعلمًا على ما يحب الخلص ويغيظ الظالمين...

أليس هكذا تريدون موقف أخيكم وابنكم وقائدكم....؟! بلى هكذا.... يجب أن يكون صدام حسين وعلى هكذا وصف ينبغى أن تكون مواقفه، ولولم تكن مواقفه على هذا الوصف لا سمح الله، لرفضته نفسه وعلى هذا ينبغى أن تكون مواقف من يتولى قيادتكم ومن يكون علمًا فى الأمة، ومثلها بعد الله العزيز القدير... ها أنا أقدم نفسى

فداءً فإذا أراد الرحمن هذا صعد بها إلى حيث يأمر سبحانه مع الصديقين والشهداء. وإن أجّل قراره على وفق ما يرى فهو الرحمن الرحيم وهو الذى أنشأنا ونحن إليه راجعون، فصبرًا جميلاً وبه المستعان على القوم الظالمين.

أيها الإخوة.... أيها الشعب العظيم... أدعوكم أن تحافظوا على المعانى التى جعلتكم تحملون الايمان بجدارة وأن تكونوا القنديل المشع فى الحضارة، وأن تكون أرضكم مهد أبى الأنبياء إبراهيم الخليل وأنبياء آخرين، على المعانى التى جعلتكم تحملون معانى صفة العظمة بصورة موثقة ورسمية، فداءً للوطن والشعب بل رهن كل حياته وحياة عائلته صغارًا وكبارًا منذ خط البداية للأمة والشعب العظيم الوفى الكريم واستمر عليها ولم ينثن.. ورغم كل الصعوبات والعواصف التى مرت بنا وبالعراق قبل الثورة وبعد الثورة لم يشأ الله سبحانه أن يميت صدام حسين، فإذا أرادها فى هذه المرة فهى زرعه.. وهو الذى أنشأها وحماها حتى الآن.. وبذلك يعز باستشهادها نفس مؤمنة إذ ذهبت على هذا الدرب بنفس راضية مطمئنة من هو أصغر عمرًا من صدام حسين. فان ارادها شهيدة فإننا نحمده ونشكره قبلاً وبعدًا.. فصبرًا جميلاً، وبه نستعين على القوم الظالمين... فى ظل عظمة البارى سبحانه ورعايته لكم.... ومنها أن تتذكروا أن الله يسر لكم ألوان خصوصياتكم لتكونوا فيها نموذجًا يحتذى بالمحبة والعفو والتسامح والتعايش الأخوى فيما بينكم... والبناء الشامخ العظيم فى ظل ما أتاحه الرحمن من قدرة وإمكانات، ولم يشأ أن يجعل سبحانه هذه الألوان عبئًا عليكم، وأرادها اختبارًا لصقل النفوس فصار من هو من بين صفوفكم ومن هو من حلف الأطلسى ومن هم الفرس الحاقدون بفعل حكامهم الذين ورثوا ارث كسرى بديلاً للشيطان، فوسوس فى صدور من طاوعه على أبناء جلدته أو على جاره أو سدل لأطماعه وأحقاد الصهيونية أن تحرك ممثلها فى البيت الأبيض الأمريكى ليرتكبوا العدوان ويخلقوا ضغائن ليست من الانسانية والايمان فى شىء.. وعلى أساس معانى الايمان والمحبة والسلام الذى يعز ما هو عزيز وليس الضغينة بنيتم وأعليتم البناء من غير تناحر وضغينة وعلى هذا الأساس كنتم ترفلون بالعز والأمن فى ألوانكم الزاهية فى ظل راية الوطن فى الماضى القريب، وبخاصة بعد ثورتكم الغراء ـ ثورة السابع عشر

الثلاثين من تموز المجيد عام ١٩٦٨، وانتصرتم، وانتم تحملونها بلون العراق العظيم الواحد... إخوة متحابين، إن فى خنادق القتال أو فى سوح البناء.... وقد وجد أعداء بلدكم من غزاة وفرس، ان وشائج وموجبات صفات وحدتكم تقف حائلا بينهم وبين أن يستعبدوكم... فزرعوا ودقوا اسفينهم الكريه، القديم الجديد بينكم فاستجاب له الغرباء من حاملى الجنسية العراقية وقلوبهم هواء أو ملأها الحاقدون فى ايران بحقد، وفى ظنهم خسئوا، أن ينالوا منكم بالفرقة مع الأصلاء فى شعبنا بما يضعف الهمة ويوغر صدور أبناء الوطن الواحد على بعضهم بدل أن توغر صدورهم، على أعدائه الحقيقيين بما يستنفر الهمم باتجاه واحد وإن تلونت بيارقها وتحت راية الله أكبر، الراية العظيمة للشعب والوطن...

أيها الاخوة ايها المجاهدون والمناضلون إلى هذا أدعوكم الآن وأدعوكم إلى عدم الحقد، ذلك لأن الحقد لا يترك فرصة لصاحبه لينصف ويعدل، ولأنه يعمى البصر والبصيرة، ويغلق منافذ التفكير فيبعد صاحبه عن التفكير المتوازن واختيار الأصح وتجنب المنحرف ويسد أمامه رؤية المتغيرات فى ذهن من يتصور عدوًا، بمن فى ذلك الشخوص المنحرفة عندما تعود من انحرافها إلى الطريق الصحيح، طريق الشعب الأصيل والأمة المجيدة... وكذلك أدعوكم أيها الاخوة والاخوات يا أبنائى وأبناء العراق.. وأيها الرفاق المجاهدون.... أدعوكم... ألا تكرهوا شعوب الدول التى اعتدت علينا، وفرقوا بين أهل القرار والشعوب، واكرهوا العمل فحسب، بل وحتى الذى يستحق عمله أن تحاربوه وتجالدوه لا تكرهوه كإنسان... وشخوص فاعلى الشر، بل اكرهوا فعل الشر بذاته وادفعوا شره باستحقاقه.. ومن يرعو ويصلح ان فى داخل العراق أو خارجه فاعفوا عنه، وافتحوا له صفحة جديدة فى التعامل، لأن الله عفو ويحب من يعفو عن اقتدار، وإن الحزم واجب حيثما اقتضاه الحال، وإنه لكى يقبل من الشعب والأمة ينبغى أن يكون على اساس القانون وأن يكون عادلاً ومنصفًا وليس عدوانيًا على أساس ضغائن أو أطماع غير مشروعة... واعلموا أيها الإخوة أن بين شعوب الدول المعتدية أناسا يؤيدون نضالكم ضد الغزاة، وبعضهم قد تطوع محاميًا للدفاع عن المعتقلين ومنهم صدام حسين، وآخرون كشفوا فضائح الغزاة أو شجبوها،

وبعضهم كان يبكى بحرقة وصدق نبيل، وهو يفارقنا عندما ينتهى واجبه... إلى هذا أدعوكم شعبًا واحدًا أمينًا ودودًا لنفسه وأمته والانسانية... صادقًا مع غيره ومع نفسه..

كادونا بباطل ونكيدهمُ بحق ينتصر حقُنا ويخزى الباطلُ

لنا منازلٌ لا تنطفى مواقدها ولأعدائنا النارُ تشوى منازلُ

وفى الأخرى تستقبلنا حورها يُعز منْ يقدمُ فيها لايذالُ

عرفنا الدرب ولقد سلكناها مناضلاً يتبعه مناضل

ما كنا أبدًا فيها تواليا فى الصول والعزم نحنُ الأوائلُ

أيها الشعب الوفى الكريم: استودعكم ونفسى عند الرب الرحيم الذى لا تضيع عنده وديعة.

ولا يخيب ظن مؤمن صادق أمين.. الله أكبر.. الله أكبر.

وعاشت أمتنا.. وعاشت الإنسانية بأمن وسلام حيثما أنصفت وأعدلت..

الله أكبر وعاش شعبنا المجاهد العظيم.. عاش العراق.. عاش العراق.. وعاشت فلسطين وعاش الجهاد والمجاهدون..

الله أكبر.. وليخسأ الخاسئون.

صدام حسين

رئيس الجمهورية والقائد العام

للقوات المسلحة المجاهدة

ولكن.. من الذى يشنق بوش؟

«من الذى سيقوم بملاحقة بوش وأركان حكمه كمجرمى حرب بعد ارتكابهم لكافة الجرائم ضد الإنسانية فى العراق.. وكلها جرائم لا تسقط بالتقادم ؟»

لقد تم احتلال العراق، واغتيال الرئيس الشرعى للبلاد ومساعديه بحجة ضلوعهم فى المسئولية عن إعدام ١٤٣ من مواطنى الدجيل العراقية بعد محاولة فاشلة لاغتيال الرئيس العراقى ومعاونيه عام ١٩٨٢ .. فمن الذى سيقوم بشنق بوش المسئول عن مقتل أكثر من مليون مواطن عراقى، وآلاف الجنود الأمريكيين، وإغراق العراق فى حمام دم ربما يمتد إلى الدول المجاورة، ويتجاوز كافة الحدود إلى صراع دولى لا تعرف له نهاية؟

ومن الذى سيقوم بملاحقة بوش وأركان حكمه كمجرمى حرب.. بعد ارتكابهم لكافة الجرائم ضد الإنسانية فى العراق.. وهى الجرائم التى حصرها النظام الأساسى للمحكمة الجنائية الدولية فى جريمة ابادة الجنس.. والجرائم ضد الإنسانية.. وجرائم الحرب.. وجريمة العدوان.. وكلها جرائم لا تسقط بالتقادم؟..

ومن الذى سوف يحاسب بوش على رعونته.. ويضع حدًا لنزواته.. ومهاتراته.. وأساليبه المراوغة.. وادعاءاته الكاذبة.. والاستهانة بالعقول؟.. فقد أدعى فى نوبة هذيان أنه شن الحرب على العراق استجابة لوحى إلهى، تنزل عليه فألهمة إلهامًا رسوليا بشن حرب الأخيار ضد الأشرار، أعداء الرب.. ثم كذب على شعبه، وبث الرعب فى نفوس مواطنيه مدعيًا امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، وأنه مع القاعدة والمتطرفين الإسلاميين المدعومين من سوريا وإيران يهددون أمن واستقرار الولايات المتحدة.. وأن ما حدث فى ١١ سبتمبر هو مجرد مشهد عابر لما ينوى الإرهابيون أن

يفعلوه بالولايات المتحدة لو لم يتم ردعهم.. وأن من مصلحة بلاده نقل المعركة ضد الإرهابيين خارج أراضيها.. خاصة أنها ستلقى الدعم من حلفائها فى المنطقة وعلى رأسهم مصر والأردن ودول الخليج..

ثم مارس نفس الشىء مع دول الخليج والدول الحليفة فى المنطقة، فزعم أن الولايات المتحدة تسعى من خلال احتلال العراق إلى الوقوف فى وجه نوايا التوسع الإيرانى عبر العراق.. وتوفير الحماية لدول المنطقة من خلال نشر صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ.. والاستعانة بحاملات طائرات كافية.. وقطع بحرية لتأمين الملاحة.. وهى مزاعم لا تدعو للطمأنينة بقدر ما تثير من شكوك.. وخوف من اقتراب الخطر..

ثم عاد فى نوبة مراوغة إلى القول إن هدف الولايات المتحدة هو إقامة عراق ديمقراطى، يلتزم بالقانون، ويحترم حقوق شعبه.. ويكون حليفًا فى الحرب ضد الإرهاب.. ولم يقترب من الحقيقة التى أدركها العالم فيما بعد، حيث اتضح أن الحرب كانت تهدف إلى اسقاط صدام حسين ونظامه، ونهب ثروات العراق.. واحتكار النفط العراقى تمهيدًا لاحتكارنفط الخليج.. ثم اشعال الصراع بين دول المنطقة.. كذريعة لبقائها لأطول فترة ممكنة..

وبعد فشل استراتيجية بوش وصقور البنتاجون.. والاصرار على علاج الفشل بالفشل.. والخطأ بالخطأ.. والتورط بالتورط.. تضاءلت أهداف بوش ومزاعمه.. وتبددت صيحاته عشية غزو بغداد.. بأن عصرًا أمريكيًا جديدًا قد بدأ فى الشرق الأوسط.. وبدأ هو نفسه يتحدث عما أسماه بالمصالحة العراقية، وتعيين حكومة مركزية قوية تضع حدًا للنزعات الانفصالية فى جنوب العراق الشيعى، وشماله الكردى.. وإعادة الاحساس بالأمن للسُّنة.. وعودة أكثر من مليونى عراقى سُّنى هربوا من جحيم التطهير المذهبى.. وأكثر من مليون آخرين أجبروا على التهجير.. ووقف الحملات بين الشيعة والسُّنة.. والعرب والأكراد..

ونتساءل: ومعنا كل من له عقل يفكر..

وماذا كان يفعل صدام حسين؟.. وما الذى حققه للعراق على مدى يقترب من

الأربعين عامًا؟.. وهل كان غير المصالحة بين الطوائف.. والاستقرار.. والتنمية.. وبناء الدولة.. وجيشها القوى.. وتحجيم القوى الإقليمية.. وتحقيق التوازن الإقليمى.. قبل أن تتآمر عليه الولايات المتحدة .. بوش وعملاؤه.. ويتم اغتياله غدرًا وغيلة.. تحت دعاوى فاسدة وملفقة؟.

وهاهو بوش.. ومن خلفه المالكى وبقية العملاء فى الحكومة المصنوعة.. يهددون بالأهوال والويلات.. التى ستطال كافة أصحاب النزعات الطائفية والعرقية التى انطلقت.. من عقالها عقب احتلال العراق واغتيال رئيسه الشرعى..

وعند هذا الحد.. يطرح السؤال التلقائى نفسه.. من الذى كان يستحق الشنق: صدام حسين.. أم بوش وعملاؤه من الخونة؟

ويتأكد ذلك.. عندما تنهار أهداف بوش.. وأحلامه.. فيتخلى عن كل ما صرح به على مدى أربع سنوات.. ويقف متسولاً من دول الجوار الحليفة.. ومنذرًا الحكومة المصنوعة.. من أجل السيطرة على بغداد فقط «٣٠ كيلومترًا مربعًا» لأنها تضم ربع سكان العراق.. كما تضم كافة الجماعات العرقية والدينية..

وإزاء فشل بوش المتلاحق، وفقدانه لأية مصداقية.. وتورطه فى مستنقع العراق.. وضياع الشعور بالقوة الذاتية التى لا تحتاج إلى شهادة أحد.. انتابته إحدى نوبات الهذيان.. فانبرى - وكأنه اكتشف سر الأسرار - يطالب الدول العربية الحليفة، والدوائر القريبة والصديقة، والمنظمات العالمية، والعالم أجمع.. بالتعاون من أجل تجريد الميليشيات العراقية من أسلحتها.. بالإضافة إلى ضغوطه المستمرة لنزع سلاح حزب الله.. وتعليقه للتسوية الفلسطينية الإسرائيلية إلى ما بعد نزع سلاح المنظمات الفلسطينية فى الداخل والخارج.. هكذا بكل بساطة.. إلى الحد الذى يتوقع منه أن يتقدم خطوة.. فيطالب بنزع سلاح الدول العربية نفسها.. حتى تظل إسرائيل وحدها فى المنطقة المدججة بكافة أنواع الأسلحة حتى أسنانها.. وفوقها السلاح النووى.. وهى حالة مستعصية لرجل يريد أن يحقق بالفشل والتردى ما عجز عن تحقيقه بغطرسة القوة..



المهم أن بوش عاد من جديد.. يرقص رقصته الأخيرة.. بعد فشله المهين فى العراق.. وعدم تحقيقه لأى شىء مما توهمه وحلم به.. اللهم إلا جريمة اغتيال صدام حسين.. ثم فشله السياسى الذى جر معه الحزب الجمهورى ليقع فى شر أعمال بوش. وتدنى شعبيته داخل الولايات المتحدة إلى الحضيض.. ودمغه بأنه الرئيس الأسوأ فى تاريخ الولايات المتحدة ..

عاد من جديد باستراتيجيته الجديدة فى العراق.. بعد أن مهد لها بإقالة معاونيه فى التخطيط لـ«استراتيجيته الأولى» وتنفيذها .. من أول وزير الدفاع.. ورئيس جهاز الاستخبارات الوطنية، وسفير أمريكا فى العراق حتى رئيس القيادة المركزية الأمريكية التى تدير الحرب فى أفغانستان والعراق، وقائد القوات الأمريكية فى العراق..

وأمام الكونجرس وقف بوش يمهد لاستراتيجيته التى تحمل فى ذاتها بذور فسادها وعدم جدواها.. ويكفى اعترافه أنها لن تمنع العنف تمامًا.. و«علينا بالصبر، وتحمل المزيد من الخسائر.

وفى محاولة للتواضع - على غير العادة - يعترف بوش بالعديد من الأخطاء، التى يتحمل مسئوليتها.. لأنه لم يستمع إلى كولين باول رئيس هيئة الأركان الأمريكية ووزير الخارجية السابق الذى حبذ الاستخدام الكثيف للقوة العسكرية بحيث لا يقل حجم القوات عن نصف مليون جندى، وعمل بمشورة رامسفيلد وزير الدفاع السابق التى تعتمد على قوات عسكرية محدودة لغزو العراق.. وبعدها يمكن إعادة تشكيل الشرق الأوسط.. وكانت أضغاث أحلام..

وحتى لا يتم التمادى فى الخطأ - قال بوش - فقد تقرر إرسال ٢١ ألفًا و٥٠٠ جندى إضافى إلى العراق - فى إطار استراتيجيته الثانية للعراق - لدعم حكومته، ومنع انهيارها، محذرًا من أن انسحاب القوات الأمريكية سيؤدى إلى تمزيق البلاد، واندلاع مذابح لا يمكن تخيلها.. وتهديد أمن أمريكا والشرق الأوسط..

ثم طالب الدول المجاورة للعراق بدعم خطته.. وأن على مصر والسعودية والأردن ودول الخليج أن تدرك أن هزيمة أمريكا فى العراق، يعنى بؤرة إرهابية، وتهديدًا استراتيجيًا لتلك الدول.. وحذر القادة العراقيين من أنهم سوف يخسرون الدعم

الأمريكى إذا فشلوا فى تطويق العنف.. وأضاف روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكى أن المالكى قد يفقد منصبه إذا فشل فى ايقاف العنف..

وتعهد بوش بوقف ما زعمه من دعم سوريا وإيران «للمتمردين» فى العراق.. كما تعهد بتوفير الحماية لحلفاء واشنطن فى الشرقين الأوسط والأدنى..

ورفض دعوة لجنة بيكر - هاملتون للحوار مع سوريا وإيران.. وأصدر تهديداته للدولتين..

وقال بوش: إن بلاده حققت مع حلفائها نجاحات لم يعلن عنها.. منها أنه تم احباط مؤامرة لمهاجمة أعلى مبنى على الساحل الغربى بأمريكا عبر طائرة مختطفة.. كما تم تفكيك خلية إرهابية فى جنوب شرق آسيا كانت تخطط لشن هجمات داخل الأراضى الأمريكية.. وتم أيضًا الكشف عن خلية للقاعدة كانت تطور بكتيريا الجمرة الخبيثة لاستخدامها فى هجمات ضد الولايات المتحدة.

وعلى الرغم مما بذله بوش من محاولات.. لم تترك سبيلاً إلا سلكته.. أو أسلوبًا إلا اتبعته.. من أول التواضع المؤقت، حتى الزهو المتهوس، والاعتراف بالخطأ وإعلانه تحمل المسئولية كاملة حتى ادعاء الحكمة ونفاذ الرأى.. والترغيب والترهيب.. والتحذير والتهديد.. إلى آخر المراوغات والألاعيب التى تدرب عليها جيدًا.. فإن أحدًا لم يقتنع بكلمة مما قال.. وأثبتت استطلاعات الرأى العام أن ٨٤٪ ممن شملهم الاستطلاع لا يعتقدون أن استراتيجية بوش الثانية ستغير من واقع الأمر شيئًا.. واتهمته نانسى بيلوسى رئيسة مجلس النواب الأمريكى بالمتاجرة.. والتضحية بأرواح الجنود الأمريكيين لتحقيق أغراضه السياسية. وأجمع الديمقراطيون أصحاب الأغلبية فى مجلس النواب والشيوخ على اتهام بوش بالتهور، واقحام الولايات المتحدة فى حرب العراق. ودعت لسحب القوات الأمريكية من هناك.. وقالوا إن بوش يقدم جيش الولايات المتحدة كأهداف سهلة للمسلحين.

وصرح مصدر مسئول فى وزارة الخارجية بأنه قد تم تقديم النصيحة لبوش بعدم الارتماء فى أحضان الشيعة بشكل مبالغ فيه. وليتذكر دائمًا أن العراق يضم السُّنّة والشيعة، والأكراد.. ولكنه تعود أن يعالج الفشل بالفشل.. وشنت الصحف البريطانية

هجومًا عنيفًا على استراتيجية بوش الجديدة، ووصفتها بالفاشلة..

وصرح محللون أمريكيون بأن أمريكا مسئولة عما يحدث فى العراق معنويًا وأخلاقيًا وقانونيًا.. وأنها قامت نيابة عن إيران باغتيال صدام حسين.. وتدمير العراق.. وقالوا لقد قاتلنا فى العراق.. ولكن إيران هى التى انتصرت..

وأعلن آخرون أن عبارات مثل «مجتمع دولى يحكمه القانون» و«احترام حقوق الإنسان» و«الحريات» أصبحت مدخلاً لفرض سياسات معينة من الدول القوية على الدول المستضعفة.. فقد تحول شعار «الحرب على الإرهاب» إلى مبرر لانتهاك القانون الدولى، ومبادئ حقوق الإنسان من قبل الولايات المتحدة بالتحديد..

وبث أيمن الظواهرى الرجل الثانى فى القاعدة شريطًا يتهكم فيه من بوش، واستراتيجيته الثانية فى العراق..

وطالب سيرجى لافروف وزير الخارجية الروسى بايضاحات حول تعزيز الحشود الأمريكية فى الشرق الأوسط.. وأعلن رجب طيب أردوغان رئيس وزراء تركيا.. «إن النار التى تحرق جارنا - العراق - تلسعنا أيضًا»..

وصرح على فارس الدليمى الأمين العام لمجلس القبائل العراقية بأن الولايات المتحدة وحكومة ا المالكى تتحملان مسئولية العنف الطائفى فى البلاد.. مؤكدًا أن السياسة الأمريكية تسعى إلى تقليص السيادة العراقية بشكل منهجى..

وفى المدن الأمريكية، تم تنظيم حملات شعبية تضم مسيرات حاشدة للمطالبة بسحب القوات الأمريكية من العراق..

وهكذا أجمعت الأطراف كلها على فشل بوش، وسياسته الخرقاء.. ومسئوليته عن الضحايا الذين يقترب عددهم بسرعة ويوميًا من المليون.. خلال حمامات دم لا تتوقف..

ألم يكن هو من يستحق الإعدام شنقًا؟



ولأن غزو العراق كان دافعه الأساسى الانتقام من صدام حسين وسياسته.. وحزبه.. فقد أسرع بول بريمر «المندوب السامى» لبوش، والحاكم الأمريكى للعراق

عقب الغزو.. بتسريح الجيش العراقى، والأجهزة الأمنية العراقية.. فى حملة اجتثاث حزب البعث والبعثيين.. وبالطبع كان ذلك تفريغًا للمؤسسات العسكرية والأمنية من عشرات الآلاف.. من الضباط المحترفين الذين كان بوسعهم الحفاظ على أمن العراق.. وشكل الدولة أيضًا.. ولكن بوش كان يريد غير ذلك.. كان يريد تفكيك الدولة.. وبعثرة أجهزتها متخيلاً أنه بذلك يلعب فى فراغ.. ولن ينافسه أحد..

وفتش بوش من حوله.. كان هناك ثلاث قوى رئيسية.. السُّنة بثقلها التاريخى - رغم قلة العدد - وقد اعتبرها حاضنة صدام حسين وحزب البعث.. والعصب الرئيسى فى جهاز الدولة البعثية.. ومن ثم تم استبعادها، ولم يكن لديها أية نية لقبول الاحتلال أو التغاضى عنه أصلاً.. أما القوة الثانية فكانت الأكراد.. وبعضهم علاقته قديمة بالولايات المتحدة وإسرائيل وإيران الشاهنشاه.. وقد بادروا بشن الحرب على القوات العراقية المتمركزة فى المناطق الشمالية.. حيث يتمتع الأكراد بحكم ذاتى منحه لهم صدام فى السبعينيات.. وذلك مع بدء الحرب.. وتعاونت البشمرجة «جيش الأكراد» مع قوات الغزو تعاونًا كاملاً و«غنمت» أسلحة الجيش العراقى «٦٠٠ دبابة، ١٥٠ طائرة هليكوبتر مع كمية هائلة من المدافع ذات العيارات الثقيلة.. وأطماع الأكراد معروفة ومحددة فى الانفصال كدولة مستقلة شمال العراق..

أما القوة الثالثة.. الأغلبية.. فهم الشيعة.. وقد أتى بعض المحسوبين على مذهبهم فوق الدبابات الأمريكية الغازية.. بعد علاقات واتفاقات كمعارضة فى الخارج.. وعلى الرغم من عدم اعتراف الشيعة بهم أو قبولهم لأمور تمس سمعتهم وأخلاقياتهم إلا أنهم كانوا - إلى جانب عوامل أخرى - السبب فى اقتراب محسوب لبعض التيارات الشيعية من قوات الغزو.. والعمل على فرض الوجود، والاستئثار بدور يتناسب وأغلبيتهم.. وكان لهم ما أرادوا رغم التحذيرات التى بذلت لبوش بالتعامل مع كافة القوى العراقية..

ومن خلال عمليات التباديل والتوافيق.. والانتخابات المبتسرة.. وجدت الشيعة نفسها على قمة السلطة تحت الرعاية الأمريكية.. ورأس الوزارة نورى المالكى الذى يوصف بأنه من أشد صقور حزب الدعوة تطرفًا.. وتركت بعض فصائل الشيعة - فى

ظله ـ تمارس ثاراتها القديمة مع السُّنة.. فى محاولة لإعادة ترتيب الأوضاع من خلال التطهير المذهبى.. وتعددت الميليشيات الشيعية بتوجهاتها.. وكان أبرزها جيش المهدى (٦٠ ألف مقاتل) التابع لمقتدى الصدر وفيلق بدر (أكثر من ١٢٠ ألف مقاتل)..

وكان لابد أن تفشل الحكومة فى خدمة الأهداف الأمريكية أو العراقية.. نظرًا لطبيعتها الطائفية ومدى التغلغل الإيرانى فى العراق، والذى سمحت به وساهمت فيه أمريكا ربما باتفاقيات سرية فى مرحلة اسقاط صدام..

ومن المفروغ منه أن الحكومة عندما اتفقت على البدء فى إنشاء قوات مسلحة وأجهزة أمنية جديدة.. كان انتماؤها الطائفى دليلها وهاجسها.. وتسللت الميليشيات الشيعية إلى الجيش والأجهزة الأمنية وأدمجت فيها.. وأصبحت ترتدى زى الجيش والشرطة وتسعى لإحكام السيطرة على الدولة.. حتى يحين الحين لوقفة مع المحتل الأجنبى.. الذى لا يمكن القبول به تحت أى ظرف..

وعندما تجمعت لدى سلطات الاحتلال بعض الملاحظات على سلوكيات بعض فصائل الشيعة وأهمها المهزلة التى صاحبت اغتيال الرئيس الشرعى للبلاد.. بدأت عوامل الشك تتسرب إلى بوش وجماعته خاصة مع ارتفاع حرارة التحدى الإيرانى.. وظهر الوجه الآخر لأمريكا وامتثل نورى المالكى المهدد دائمًا بضعفه، وفقدان منصبه.. وصرح مسئول عسكرى أمريكى بأن الحكومة العراقية وافقت على استهداف قادة السُّنة والشيعة المتطرفين.. وكانوا قبل ذلك فى منأى عن الاستهداف لقيمتهم وتأثيرهم الشعبى.. ثم أعلن المسئول العسكرى الأمريكى عن رفع القيود على العمليات الأمريكية فى مدينة الصدر معقل الشيعة من أتباع مقتدى الصدر.. كل ذلك والمالكى يحاول أن يعطى بيد ويأخذ بالأخرى.. فقد تعرض لانتقاد شديد عندما اختار عبود قنبر لقيادة القوات العراقية فى بغداد، وهو شيعى من التيار الصدرى.

وفى ذات الوقت رضخ المالكى أمام قرار جواد البولاتى وزير الداخلية العراقية بتطهير وزارة الداخلية من (٧٧٠٠) عنصر فاسد، وإحالة (٦٦٥) إلى المحاكمة لعدم العمل وفق المتطلبات الوطنية..

وبدأ الحديث عن مشاريع مطروحة لتقسيم العراق إلى دويلات ثلاث، وأحيانًا

تحت عنوان غير مباشر وهو الفيدرالية.. فالشيعة تطالب بالحكم الذاتى فى ٩ محافظات بالوسط والجنوب.. والسُّنة تتحصن فى أربع محافظات فى الغرب، بالإضافة إلى بغداد.. والأكراد يمارسون استقلالهم الفعلى فى ثلاث محافظات فى الشمال منذ التسعينيات..

أما بغداد فلم تعد عاصمة للجميع.. فقد أحالها التطهير المذهبى إلى قسمين: أحدهما شرق دجلة فيما يعرف بالرصافة وقد أصبح شيعيًا، وثانيهما غرب دجلة فيما يعرف بالكرخ وأصبح سُنيًا.. وتحولت بغداد إلى جهنم تحت رعاية أمريكا وتحريض إسرائيل..

ومازال عبدالعزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية يؤكد أن الفيدرالية هى الحل الوحيد أمام من يريدون التهدئة..

وفى مجال التصعيد ضد إيران صرح أحد كبار محللى الشرق الأوسط فى مكتب المخابرات والأبحاث بوزارة الخارجية الأمريكية بأن بوش قال: إنه لا يمكن التساهل مع التصرفات الإيرانية التى تهدد الجنود الأمريكيين فى العراق.. وإن هناك خطة حرب ضد إيران.. لا تتحدث عن ضربة سطحية.. وإنما حرب قد تزعزع استقرار الشرق الأوسط لسنوات.. ولا تشمل مجرد ضربات دقيقة ضد مجموعة أهداف داخل إيران.. وإنما تشمل إخلاء الطريق إلى الأهداف بتدمير القوات الجوية الإيرانية.. وغواصات الكيلو، والصواريخ المضادة للسفن.. وقدرات إيران فى مجال الصواريخ ذاتية الدفع «البالستيُة»..

وفى مجال محاولات الموازنة بين الأخذ والعطاء.. قام المالكى بالتفريط فى النفط العراقى.. الذى قام صدام حسين بتأميمه كأولوية فى التخطيط للتنمية.. من خلال اتفاقية بين الحكومة العراقية وشركات البترول الأمريكية العملاقة.. تقضى بحصول شركات البترول على ما يقارب ٧٠٪ من أرباح إنتاج البترول العراقى ولمدة ٣٠ سنة.. وهو ما يستند إليه عندما يقول إن فشل الاستراتيجية الجديدة سيهدد ليس فقط مصادر النفط العراقى، بل أيضًا السعودى.. وسيطرة أمريكا على نفط الشرق الأوسط تعنى الهيمنة على المنطقة والتحكم فى أية قوة تفكر فى المساس بالنفوذ

الأمريكى..

والاتفاقية - قبل ذلك - وبعده تعد الأولى من نوعها التى تفرض على دولة بترولية فى المنطقة بعد أن تم اكتشاف كل آبار البترول الموجودة بها سواء العاملة أو غير العاملة.. وكذلك خريطة الاحتياطى النفطى لديها..

فاتفاقية المشاركة بالإنتاج بمثل هذه الشروط المجحفة لا يمكن لأى دولة القبول بها.. إلا إذا كانت خريطة حقول البترول لديها غير معروفة، لكن الحال مختلف تمامًا فى العراق فشبكة البترول العراقية معروفة، ومتاحة للجميع كما هو الحال مع مخزونها الذى يصل إلى ١١٥ مليار برميل، وهو ثالث احتياطى نفطى فى العالم..

وتكلفة استخراج برميل البترول وإنتاجه فى العراق تصل بالكاد إلى ٢ دولار للبرميل.. وهو يعنى أن باقى سعر البترول، وقد بلغ خلال تلك الفترة أكثر من ٦٠ دولارًا للبرميل سيذهب لشركات البترول الأمريكية.. وليس لصاحب الأرض والنفط..

والمعروف أن من قام بوضع بنود الاتفاقية شركات استشارية أمريكية.. يعمل معظم موظفيها بالسفارة الأمريكية فى بغداد.. ولا علم للبرلمان العراقى بذلك..

ومن المفارقة: أن صندوق النقد الدولى أوقف إسقاط ما تبقى لديه من ديون العراق إلى أن يتم توقيع الاتفاقية حسب الشروط الأمريكية.. وبالمخالفة للدستور العراقى..

ومن المعروف أنه قد فرض على العراق منذ احتلاله البدء فى تسديد ديونه المتراكمة بفعل العقوبات الدولية التى فرضت عليه، والتعويضات الخاصة بالكويت، ثم إعادة إعمار العراق.. كله من دخل البترول.. وإعادة إعمار العراق تعنى تشكيل أجهزة الجيش والشرطة، وليس إعادة المؤسسات المدنية لاستيعاب ٧٠٪ من العراقيين العاطلين.

وفى ذلك الصدد فقد صرح كبير سلاح المهندسين الأمريكى بأن جزءًا كبيرًا من ميزانية إعادة إعمار العراق يذهب كرشاوى لرؤساء القبائل التى تمر بقربهم خطوط أنابيب البترول.. لحماية الشبكة من هجمات المقاومة، حيث لم يعد الجيش الأمريكى قادرًا على حمايتها..

● **ملاحظة ربما يكون لها معنى:** صرح بوش فى ٢٠٠٧/١/٢٧ بإمكانية تسوية النزاع حول برنامج إيران النووى..

أما الأكراد الطرف الثانى ذو الطموحات الاستقلالية فمازالت لهم علاقات مميزة مع إيران وخوفهم الأساسى من تركيا.. ولذلك يتمسكون بوجود أمريكا.. وينسقون مع إيران.. وسوف يلعبون على التناقض بين إيران وتركيا.. خاصة بعد المطالبات المتكررة من أردوغان رئيس وزراء تركيا للجانب الأمريكى باتخاذ خطوات عملية ضد الانفصاليين فى شمال العراق..

وكان الأكراد أسرع الفئات مطالبة بالاستقلال عقب غزو بغداد فى أبريل ٢٠٠٣.. ولأن كركوك غنية بالنفط فقد كانت دائمًا محط طمع الأكراد.. ونشبت نزاعات عديدة حول هويتها العربية أو الكردية.. وقد شهدت المدينة ـ مؤخرًا ـ عملية تهجير قسرى لسكانها من العرب السُّنة، كتطهير عرقى.. ويتمسك الأكراد بها كمدينة كردية ضمن إقليم كردستان العراق الذى منحه صدام حكمًا ذاتيًا منذ السبعينيات.. ويستميت الأكراد فى أن تكون لهم دولة مستقلة شمال العراق.. وقد تجلت هذه النزعة فى مظاهر عديدة منها:

تشكيل هيئة رئاسية، وبرلمان، وحكومة، وتقسيمات إدارية لمحافظات، وعلم خاص، واعتماد اللغة الكردية لغة رسمية أولى فى الإقليم.

وتضمن دستور العراق تحت الاحتلال أغرب سابقة فى دساتير العالم وهى إجراء استفتاء على وضع كركوك لتقرير مصيرها آخر عام ٢٠٠٧ بعد إخلائها من سكانها العرب، وهو ما تسبب فى قلق تركيا، خاصة أن لديها نسبة سكان كردية (١٨ مليونًا) يعيشون فى المناطق المتاخمة لكردستان العراق.. وسوف تلعب بهم النزعات الانفصالية بعد خمودها منذ القبض على عبدا لله أوجلان ١٩٩٩/٢/١٦، فيما تتعاطف الولايات المتحدة وإسرائيل مع الطموحات القومية الكردية.

لقد أصبح الموقف فى جملته ملتبسًا، شديد التعقيد.. فأمريكا بدأت تشعر بخطر التدخل الإيرانى فى العراق.. عبر حدود تمتد بطول ١١٥٠ كيلومترًا، وزعماء شيعيين تعيش أسرهم فى إيران.. وميليشيات قوية.. جيدة التدريب والتسليح.. لها

أجنداتها الخاصة بعيدًا عن الحسابات الأمريكية.. الأمر الذى دعا بوش لمنح القوات الأمريكية ترخيصًا بحماية نفسها من هجمات الإيرانيين وعناصرهم النشطة داخل العراق.. والتصدى لهم بالقتل أو الاعتقال.. مؤكدًا أنها جزء من استراتيجيته الجديدة لإضعاف الدور الإيرانى فى العراق والمنطقة، خاصة بعد أن قامت منظمة مجاهدى خلق الإيرانية المعارضة بتسليم قوات الاحتلال لائحة تضم ٣١ ألف عراقى من عملاء إيران..

وهو ما جعل بوش يضرب فى كل اتجاه.. ويسعى لإنشاء هلال سُنى فى مواجهة المد الشيعى.

وبعد..

لقد شنت السيناتور الديمقراطية هيلارى كلينتون هجومًا مروعًا على بوش، وطالبته بتخليص الولايات المتحدة من وحل الأخطاء فى العراق قبل رحيله عن البيت الأبيض فى يناير ٢٠٠٩ ... وقالت: إن ترك الملف العراقى للرئيس القادم سيكون قمة عدم المسئولية. واتهمت بوش بشن حرب غير واضحة المعالم.. مع غياب الكفاءة.. ورغم عشرات الآلاف الذين يجوبون الشوارع احتجاجًا على الحرب ورفضًا لبوش وسياساته.. إلا أنه واصل الاندفاع إلى المجهول

ابن تكريت.. الذى شغل العالم

«امتلك مسدساً فى العاشرة من عمره.. واستوعب دروس خاله خير الله.. وخصوصاً الدرس الذى أكد أنه لا يجب أن يستسلم لأعدائه مهما كانت كثرتهم وقوتهم».

لا أحد يستطيع أن ينكر أن صدام حسين قد شغل العالم أثناء حياته، كما شغله بعد رحيله.. وأن عددًا لا يستهان به من المفكرين والمحللين والكتاب والصحفيين قد تسابقوا فى تتبع سيرته والبحث عن تفاصيل نشأته.. وصباه.. وشبابه.. وكل مراحل حياته.. والظروف والملابسات التى أحاطت بكل ذلك.. وقد تبحر بعضهم فغاص فى تاريخ العراق والمنطقة كلها.. وتتبع حركة الاستعمار.. ونظام الحكم الهاشمى.. والتأثيرات الفكرية والسياسية التى سادت فى المنطقة.. وتاريخ حزب البعث فى سوريا والعراق.. وعلاقاته مع التيارات الاشتراكية التى هبت على المنطقة.. والبعض الآخر قد أراح نفسه مثل كاتب افتتاحية الأوبزيرفر غداة الرحيل عندما كتب يقول: لقد أراد صدام حسين أن يكون جمال عبدالناصر آخر.. وتمسك آخرون بتصريحه لكتاب سيرته بأنه «كان يتخذ من جمال عبدالناصر مثلاً أعلى له يحاول تقليده».. وغيرهم كثير ممن تناولوا سيرة الرجل فى حياته وبعد رحيله.. بين مادح وقادح.. وكل يغنى على ليلاه.

ولعل مما يلفت النظر أن صدام حسين «ربما» يكون المدنى الوحيد بين الحكام العرب الذى وصل إلى السطة، بعد إزاحة السلطة العسكرية القائمة.. وإن كان قد استخدم بعض الوحدات العسكرية - وهو غير عسكرى - وأنه قد وصل إلى السلطة من خلال سيرة نضالية طويلة داخل حزب سياسى تمثل مبادئه جيدًا.. وناضل وسجن من أجلها.. وظل أمينًا على تلك المبادئ حتى آخر يوم فى حياته..

ومن اللافت للانتباه أن ميلاد صدام جاء متوافقًا مع ميلاد حزب البعث الذى عاش مرتبطًا به وبمبادئه.. ففى اليوم الثامن والعشرين من ابريل/ نيسان عام ١٩٣٧م وضعت السيدة صبحة طلفاح مولودها فى بيت أخيها خير الله وكان عمه حسن المجيد هو الذى أطلق عليه اسم «صدام»

يقول د. أمير إسكندر فى كتابه عن صدام: «لم يعش صدام حسين طفولة مريحة سهلة، لقد تنقل فى السنوات العشر الأولى من حياته ما بين البيت الذى ولد فيه، بيت خاله، وبيت عمه إبراهيم الذى تزوج من أمه بعد وفاة أبيه، كما تجرى الأعراف عادة فى مثل هذه الظروف هناك فى تلك المناطق. وكان عليه من البداية، منذ طفولته الباكرة أن يواجه قدره بنفسه. ولقد كان على مشاعر اليتم الدفينة فى نفسه، إما أن تدفعه إلى الانطواء النفسى والانكفاء الحزين على الذات، وإما أن تدفعه إلى خارج نفسه، نحو الآخرين. ليجد فى اتحاده معهم، عزاءً وتعويضًا عن وحدته الذاتية، ولحسن الحظ - ولا شك أن عوامل البيئة الاجتماعية والجغرافية قد ساعدت على ذلك - فإن صدام حسين رفض الانغلاق والتقوقع الفردى، وواجه الحياة الشاقة العسيرة وهو فى سنوات الطفولة الغضة كرجل... وقد علمته صعوبات الحياة فى بيئته الأولى التى أحاطت به معانى أساسية سوف تلازمه طيلة حياته: الصبر، الجلد على تحمل الصعاب، شدة المراس، الاعتماد على النفس، الشجاعة، القدرة على اقتحام المخاطر، الصرامة القاسية، الدقة فى الحساب النفسى للمشاعر، الانضباط فى السلوك الأخلاقى، وقبل ذلك وبعده: حب الفقراء، والالتصاق ببسطاء الناس».

وفى مقابلة مع شبكة «آى بى سى» التليفزيونية عندما سألوه عن حياته الأولى كان صريحًا وقال: «الحياة كانت صعبة للغاية فى العراق، قلة قليلة كانت تستخدم الأحذية، وأحيانًا كانوا يستعملونها فى المناسبات الخاصة، وبعض الفلاحين لم يكونوا يلبسون أحذيتهم إلا عند وصولهم إلى مقصدهم حتى تظل نظيفة».

كانت النقلة الأساسية فى حياة صدام عندما جلس إلى ابن خاله «عدنان خير الله» الذى كان يكبره بعام تقريبًا.. وعلم منه أنه يتعلم فى المدارس.. وأنه يجيد القراءة والكتابة واختمرت الفكرة فى ذهن الصبى ابن العاشرة.. وقرر أن يتعلم.. ولكن

كيف السبيل إلى ذلك وليس فى قريته الفقيرة مدرسة.. ولن يجد من أهله من يساعده على تحقيق طموحه؟!

وعندها قرر الصبى صدام أن يهرب من قريته «العوجة» إلى تكريت.. حيث كان خاله خير الله والد عدنان يعمل مدرسًا فى إحدى مدارسها.. وتسلل فى الفجر هاربًا.. قاصدًا منطقة «الفتحة» لعلمه أن بعض أقاربه يعملون حراسًا فى إحدى الشركات هناك.. ويبدو أن تصرف الصبى اليتيم قد راق لهم.. فشجعوه وأوصلوه إلى موقف السيارات وأوصوا السائق به.. ولم يغب عنهم أن يزودوه بأول هدية يتلقاها فى حياته.. مسدس صغير، يعينه على ظروفه وما يمكن أن يتعرض له.

وعندما التقى بخاله الذى أصابته الدهشة.. رحب بابن اخته الصبى اليتيم ابن العاشرة، وهدأ من روعه.. وأثنى على تصرفه. شعر أن الدنيا بدأت تبتسم له.. وقد لعب خاله دورًا أساسيًا فى حياته.. بل الدور الأساسى.. لأنه كان بالنسبة له شيئًا كبيرًا.. يسمع به من أمه وأقاربه.. وتحكى عنه القصص والعجائب.

كان خير الله - خاله - عكس كل أقاربه، متعلمًا، تخرج معلمًا ثم التحق بالكلية العسكرية وتخرج ضابطًا.. ولكنه لم يستمر فى عمله طويلاً.. فقد اعتقل ضمن المشاركين فى ثورة رشيد عالى الكيلانى، وفصل من الجيش، وقضى فى السجن خمسة أعوام.. وعندما كان يسأل أمه أو أقاربه عن خاله.. ولم لا يزورهم.. كان يسمع ما يثير اهتمامه وإعجابه.. وحماسه.. وعندما أضيف إلى عمره عام جديد، كانت الصهيونية قد أتمت اغتصابها لفلسطين.. وبدأ يسمع عن مآس جديدة.. تشعل حماسه.. وتضاعف كراهيته للاستعمار.. والظلم.

تابع صدام دراسته الابتدائية فى مدرسة تكريت.. ثم انتقل مع خاله وأسرته إلى بغداد.. حيث التحق بمدرسة الكرخ الثانوية.. وكانت نقلة مهمة فى حياته.. فبغداد كانت تعيش وقتها جوًا من النشاط والتنافس السياسيين.. وتنامى الشعور القومى الذى توج بالانسحاب البريطانى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.. وفى القاهرة كان صوت جمال عبدالناصر يدوى، فتتردد أصداؤه فى جنبات الوطن العربى.. والعالم الثالث.. مناديًا بالتحرر والاستقلال ونبذ الأحلاف والتبعية والتصدى لحلف بغداد

الاستعمارى الذى يروج له نورى السعيد رئيس وزراء العراق وعميل الاستعمار.

وبدأت حركات التحرر الوطنى استجابة لنداءات جمال عبدالناصر، واتسعت ساحة المواجهة مع الاستعمار وأعوانه.. على الناحية الأخرى يتجمع أصحاب المصالح من أعداء التحرر ينسجون المؤامرات، ويمارسون الضغوط.. وترفض أمريكا إمداد مصر بحاجتها من السلاح.. وتسحب عرضها بتمويل السد العالى.. فيرد عبدالناصر بعقد صفقة السلاح الشهيرة مع الاتحاد السوفيتى.. ثم يعلن تأميم قناة السويس.. ويكون العدوان الثلاثى على مصر الذى خرج منه عبدالناصر منتصرًا وزعيمًا وبطلاً قوميًا لا ينازع..

فى تلك الأيام المتوهجة بالمد القومى.. ودعاوى التحرر الوطنى، التحق صدام حسين بحزب البعث.. ولم يزل طالبًا بثانوية الكرخ.. ليواصل على أرض الواقع ما يعتمل فى نفسه من أفكار غرسها خاله خير الله.. ووقتها أيضًا تفتح وعيه على رغبة الأحزاب السياسية العراقية فى الائتلاف داخل جبهة موحدة.. وكانت أحزاب العراق خمسة: حزب البعث العربى الاشتراكى، الحزب الشيوعى العراقى، حزب الاستقلال، الحزب الوطنى الديمقراطى، الحزب الديمقراطى الكردستانى.. وكان برنامج الجبهة أقرب إلى المبادئ الستة التى قامت عليها ثورة عبدالناصر فى مصر.. والتى تتلخص فى: التحرر من الاستعمار وأعوانه، تصفية الإقطاع والرأسمالية، بناء اقتصاد وطنى حر.. بناء جيش قوى، اعتماد صيغة ديمقراطية ملائمة للظروف الوطنية..الإسهام فى النضال العربى ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية، والسعى لتحقيق صيغة وحدوية بين العرب.

عاش صدام ذلك المناخ العربى المتوهج بالطموحات والانتصارات.. فقد انزوت بريطانيا بعد هزيمتها فى حرب السويس ومعها فرنسا وإسرائيل.. وسقط حلف بغداد.. وتعالت الأصوات فى شوارع بغداد تطالب بإسقاط النظام العميل نفسه.. وبدأت الأحزاب العراقية ـ من خلال الجبهة وكأنها تدبر لقلب نظام الحكم الملكى ثم كانت المفاجأة الكبرى.. التى اهتزت لها المشاعر العربية.. وهى إعلان الوحدة بين مصر وسوريا فبراير ١٩٥٨.. والتى أججت مكامن الثورة فى نفوس القوى العربية

القومية.. ولم يمض عليها أكثر من خمسة شهور حتى كانت المفاجأة الثانية.. وهى قيام الثورة فى العراق وسقوط النظام الملكى العميل يوليو ١٩٥٨.. وإعلان عبدالناصر الفورى أن «أى اعتداء على الجمهورية العراقية هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة»..

عاش صدام حسين الشاب ابن العشرين وقائع ثورة يوليو/تموز ١٩٥٨، والإرهاصات التى سبقتها، عضوًا نشطًا فى حزب البعث العربى.. مسلحًا بإمكاناته الشخصية، ونزوعه للقوة والتحدى.. وهو الذى امتلك مسدسًا فى العاشرة من عمره.. واستوعب دروس خاله خير الله.. وخصوصًا الدرس الذى أكد أنه لا يجب أن يستسلم لأعدائه مهما كانت كثرتهم وقوتهم.. وشاهد بعينيه اسقاط الملكية فى العراق.. والتى وصفت بأنها من أكثر الأحداث دموية فى التاريخ الحديث للشرق الأوسط؛ حيث تم إعدام الملك فيصل الثانى وأسرته، وخاله الوصى على العرش وأسرته وجميع أفراد العائلة رجالاً وسيدات وأطفالاً فى ساحة القصر الملكى.. والتمثيل بجثة الوصى.. وجثة نورى السعيد الذى قبض عليه متخفيًا بملابس نسائية.. وتم سحله فى شوارع بغداد.. وغرقت البلاد فى حمام دم.. ما أن بدأ يهدأ.. حتى انطلق من جديد أكثر بشاعة وعنفًا.. وكانت هذه المرة بين الأحزاب العراقية.. وبترتيب من قيادة الثورة.. وبالتحديد عبدالكريم قاسم..

يقول كتاب «سيرة صدام حسين»: إن القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى اعتبرت الثورة تحقيقًا للطموح القومى العربى للقطر العراقى.. وفى مقدمته حينذاك تكثيف العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة.. والوصول بها إلى درجة الوحدة، لأن الانكفاء القطرى للثورة يعنى ضمورها وذبولها وفى النهاية موتها.. لأنها فى هذه اللحظة ستكون فريسة سهلة لقوى الرجعية المحلية.. بنفس القدر الذى تكون به عرضة للمحاصرة والاحتواء والخنق من جانب الإمبريالية وعملائها.. وقال أحد بياناتها صراحة: «إن التحرر من الاستعمار والرجعية يرشح القطر العراقى للانضمام إلى دولة الوحدة».

ويقول د. أمير إسكندر ـ أحد كتاب سيرة صدام ـ : من البداية رفض الحزب

الشيوعى العراقى شعار الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، الذى كان طاغيًا ومهيمنًا على المسرح السياسى داخل العراق كله، ورفع بدلاً منه شعارًا ضامرًا هو الاتحاد الفيدرالى.. ولم ينس أن يضيف إليه والصداقة السوفيتية»، ثم عاد مرة أخرى وخفض الاتحاد الفيدرالى إلى شعار آخر أكثر ضمورًا، قد لا ترفضه حتى الدول العربية الرجعية، وهو شعار التضامن العربى.. وفى المقابل رفع شعارًا داخليًا براقًا فى ظاهره هو: واجبنا صيانة الجمهورية والاستقلال الوطنى.. وكأن الوحدة العربية تمثل تهديدًا للجمهورية أو تبديدًا للاستقلال الوطنى..

كان الحزب الشيوعى العراقى يتصور، برفضه للوحدة، ودعمه للنزعات الفردية المطلقة لدى عبدالكريم قاسم، أنه يمكن أن يقترب من السلطة ويصبح شريكًا فعليًا فيها، ثم يغدو بعد ذلك متفردًا بها.. وكانت المحصلة المباشرة للصراعات بين الأحزاب هى تصدع الجبهة الوطنية ـ التى تشكلت قبل الثورة ـ ثم انفراطها عمليًا..

وانطلقت حمامات الدم من جديد بين جنود الخندق الواحد، وأبناء الحلم الواحد.. بين الشيوعيين والقوى القومية.. عبر عنها المعاصرون بأنها كانت مأساة، أشبه بكابوس مرعب فى ليلة مظلمة.. تصرفات همجية.. ومذابح جماعية.. فاقت كل الحدود..

فى هذه الأثناء قتل سعدون التكريتى مسئول الحزب الشيوعى العراقى فى تكريت.. وكان قبل مصرعه قد أبلغ السلطات عن ماضى خير الله، ومعاداته للنظام.. فتم فصله من عمله.. وألقى القبض على صدام وخاله وأودعا السجن لمدة ستة أشهر قبل أن يطلق سراحهما لعدم توفر الأدلة.

وعاود صدام نشاطه داخل الحزب بتفان كامل وسط أزمة سياسية طاحنة يدفع ثمن تهورها الحزب وشبابه.. وكان أن استقر رأى الحزب على ضرورة التخلص من عبدالكريم قاسم.. وكلف صدام وبعض رفاقه بالمهمة.. وقد أبدى ترحيبًا كبيرًا بذلك.. ولكن محاولة اغتيال قاسم فى شارع الرشيد فشلت.. وخرج منها صدام مصابًا بطلق نارى فى ساقه.. وتمكن من الهرب إلى سوريا ليظل بها ثلاثة أشهر، وفى الحادى والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٦٠ غادرها إلى القاهرة.

لم يكن صدام قد أتم دراسته الثانوية فى العراق.. وهو ابن الثالثة والعشرين فالتحق بمدرسة قصر النيل الخاصة بالدقى.. وسكن نفس الحى مع بعض رفاقه الهاربين مثله من حكم الإعدام.. ورغم انخراطه فى العمل الحزبى فقد حصل على شهادة الثانوية العامة «التوجيهية» وكان قد ارتقى حزبيًا فأصبح عضوًا فى اللجنة القيادية للحزب.. مسئولاً عن فروع الحزب داخل مصر وشمال أفريقيا، وقطاع غزة والسودان والجزيرة العربية، ثم التحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة.. وفى ذات الوقت أرسل إلى أهله يخبرهم برغبته فى الزواج من ساجدة ابنة خاله خير الله.. فأرسلوا له بالموافقة.. ودعوات بجمع الشمل قريبًا، وكان صدام خلال إقامته بالقاهرة معروفًا بالحزم والصرامة والإحساس بهموم المسئولية.. فلم يرتد ملهى.. أو يسهر لاهيًا حتى الصباح.. ولم يستجب للغواية أيًا كان نوعها..

ولابد أن حزب البعث كان يدبر للأمر جيدًا.. وربما ساعدته أطراف إقليمية أيضًا.. فقد تحرك الجيش ضد قاسم فى ٨ فبراير ١٩٦٣، ولم يجد معه مناصرًا سوى الحزب الشيوعى كعدو للبعث.. وقد أصدر الحزب الشيوعى أكثر من بيان يدعو الشعب لحمل السلاح، والقضاء على «الخونة»، عملاء الاستعمار..

وحدثت مجابهات.. وسال دم كثير من جديد.. ولكن الأمر كان قد انتهى وأعدم قاسم وأعوانه.. وعين عبدالسلام عارف رئيسًا للجمهورية.. كما عين أحمد حسن البكر رئيسًا للوزراء، وهو الذى أصدر بيانًا يقول فيه: لقد كنا أمام أحد أمرين إما أن نقف بقوة ضد الردة، وإما أن نتراجع عن كل قيمنا ومبادئنا ونترك الثورة لأن الشيوعيين قاوموها.. وقد اخترنا الحل الأول..

وكان أحمد حسن البكر يحمل رتبة اللواء فى الجيش العراقى، ويعرف خير الله خال صدام.. ويتعاطف معه بعد استبعاده من الجيش.. وعن هذا الطريق عرفه صدام.. ووطد علاقته به.. خاصة أنه كان بعثيًا.. ومن أهل تكريت.

وكان لابد لصدام من العودة إلى العراق تحت حكم البعث منفردًا.. وتم تعيينه على الفور فى مكتب الفلاحين المركزى للحزب.. وظل يعمل فيه.. حتى قام عبدالسلام بانقلابه على حكومة البعث مستأثرًا وحده بالحكم.. وكانت ضربة عارف

للحزب موجعة لمعرفته السابقة بالكادر الحزبى.. فسجن من سجن تحت وطأة التعذيب.. وتمت تصفية كثيرين.. وكان عارف وقتها يقول لزواره: إن الحزب قد انتهى إلى غير رجعة..

وسافر صدام سرًا إلى دمشق للقاء ميشيل عفلق والتباحث حول استخدام البقية الباقية من الحزب.. لبناء هيكل يحفظ للحزب وجوده.. وتكررت الزيارات السرية وبدأت الإمكانات الخاصة بالطباعة مع بعض الأسلحة تصل إلى صدام ورفاقه.. وبدأ التحضير للإطاحة بعارف بعد الاتفاق مع بعض الحرس الرئاسى.. وطلب شحنة كبيرة من السلاح حدد موعدًا لوصولها من دمشق.. ولكن الأمر كله اكتشف وصودرت شحنة السلاح، وتمت تصفية عدد كبير من بقايا القيادات الحزبية، وسجن صدام حسين وعدد كبير من رفاقه فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٤، ولم تحصل سلطة عبدالسلام على أية معلومات رغم عمليات التعذيب التى مورست ضدهم، واستطاع صدام وعدد من رفاقه الهرب فى ٢٣ يوليو ١٩٦٦.. وانهمكوا فى إعادة بناء الحزب من جديد..

وتولى البكر أمانة سر الحزب، بينما أصبح صدام نائبًا له ومسئولاً عن فرع الحزب ببغداد، والتنظيم النسائى، والفلاحى.. وكذلك مسئولية الجهاز الخاص بعد إعادة تشكيله وتحديد مهامه كجهاز فاعل يتكون من مدنيين لهم من القدرات ما يؤهلهم للقيام بدور فى تنفيذ الثورة مساند لدور التنظيم العسكرى المكون من البكر، وصالح مهدى عماش، وطه يس رمضان.

لم يكن شىء قد تغير فى العراق بعد وفاة عبدالسلام عارف فى حادث طائرة غامض فى ١٣ أبريل، حيث حل محله فى الرئاسة شقيقه عبدالرحمن عارف فى ١٧ أبريل عام ١٩٦٦.. وأصبح الحزب يسابق الزمن للقيام بالثورة معتمدًا على قواه الذاتية وتحالفاته المدروسة بعناية وتغلغله فى التنظيمات والمؤسسات الجماهيرية.. وعلى رأسها المؤسسة العسكرية..

وفى صباح ١٧ يوليو ١٩٦٨.. تمت مهاجمة القصر الجمهورى.. كان صدام يرتدى زى ملازم أول ومعه برزان بنفس الرتبة «المزيفة».. والعديد من رفاق الحزب

بالملابس العسكرية، وتم استسلام عبدالرحمن عارف.. ودخل البكر إلى مكتب القصر رئيسًا للجمهورية وقائدًا أعلى للقوات المسلحة.

وخلال الأيام الأولى للثورة استطاع صدام بما له من قدرة على التدبير والتنفيذ أن يخلص الثورة من العناصر التى فرضت نفسها عليها مثل عبدالرزاق النايف رئيس مخابرات نظام عارف، والذى عين رئيسًا للوزراء عقب اكتشافه لتفاصيل التدبير البعثى ليلة الثورة واتصاله بالبكر.. وتمت مساومته.. وكذلك العناصر الانتهازية والمتشككة.. وأصبح صدام حسين بمثابة النائب الفعلى لرئيس مجلس قيادة الثورة ابتداء من ٣٠ يوليو ١٩٦٨، حتى عين رسميًا فى هذا المنصب فى ٩ نوفمبر ١٩٦٩، إضافة إلى منصبه كمسئول عن الأمن الداخلى.. وكان وقتها فى الثانية والثلاثين من عمره.. واستمر فى هذه المناصب عشر سنوات.. استطاع خلالها أن يبنى جهاز أمن قويًا امتدت عيونه إلى كل مكان.. وأن يحمى الثورة من العواصف التى كانت تهب بين وقت وآخر.. كما استطاع بالطبع أن يدعم نفوذه الشخصى.. وشغل العديد من أبناء عشيرته الكثير من المناصب الحساسة.. كما شغل من هم محل ثقته العديد من المواقع.. وكان جهاز الأمن يراقب الجميع بدقة وإحكام.. كما كان شغله الشاغل ضمان وحدة حزب البعث ودعمه حتى يلعب دورًا أساسيًا فى معالجة مشاكل العراق الاقتصادية الأساسية. إلى جانب حرصه على توسيع قاعدة منتسبى الحزب.. وتحديث أجهزة الشرطة.. وأجنحتها السرية خاصة، وسرعان ما أصبح صدام رجل العراق القوى..

كان هاجسه الأساسى تطوير العراق وتحديث اقتصاده.. وكان النفط فى مركز اهتمامه.. فقام فى أول يونية ١٩٧٢ بقيادة تأميم النفط.. وتصفية الشركات الغربية التى كانت تحتكر نفط العراق.. بعدها بعام ارتفعت أسعار النفط بشكل متزايد نتيجة لأزمة البترول العالمية جراء حرب أكتوبر.. واستطاع صدام أن يحقق بعض طموحاته بفضل عائدات النفط الكبيرة.. وخلال سنوات قليلة قدمت الدولة الكثير من الخدمات الاجتماعية للعراقيين.. وهو الأمر غير المسبوق فى دول الشرق الأوسط.. وقاد صدام «الحملة الوطنية لاستئصال الأمية» و«حملة التعليم الإلزامى المجانى» ثم

مجانية التعليم فى جميع مراحله.. كما دعمت الحكومة عائلات الجنود، ووفرت الرعاية الصحية المجانية للجميع.. ووفرت الدعم المجزى للمزارعين.. وأنشأ العراق واحد من أفضل أنظمة الصحة العامة فى الشرق الأوسط.. وبسببه حصل صدام على جائزة منظمة الأمم المتحدة.

وعلى مستوى السياسة الخارجية.. وفى سعى صدام لأن يلعب العراق دورًا رياديًا فى الشرق الأوسط تم توقيع اتفاقية تعاون مع الاتحاد السوفيتى عام ١٩٧٢، وحصل بمقتضاها العراق على صفقات كبيرة من الأسلحة التى يحتاجها.. واستقبل عدة آلاف من الخبراء السوفيت.

وقام صدام بزيارة فرنسا عام ١٩٧٦ مؤسسًا لعلاقات اقتصادية وسياسية مهمة مع فرنسا.. والدوائر السياسية هناك.. كما قاد المعارضة العربية لتفاهمات كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل.. واستطاع من خلال اتفاقية مع الجانب الإيرانى حول الحقوق المتساوية للدولتين فى شط العرب أن يوقف دعم إيران للمعارضة الكردية فى العراق.. وكان صدام من خلال التفاوض قد وافق على حكم ذاتى للأكراد عام ١٩٧٠.. ولكن الاتفاق انهار بعد فترة.. وتفجر شلال دم جديد بين الحكومة والجماعات الكردية المدعومة من إيران.

وأطلق صدام مشروع التقدم النووى العراقى ذلك بدعم فرنسى، واطلق على أول مفاعل نووى عراقى اسم «أوسيراك» إله الموت المصرى القديم.. وتم تدمير المفاعل بضربة جوية إسرائيلية لخوف إسرائيل من امتلاك العراق للأسلحة النووية.

وفى ١٦يولية ١٩٧٩ قدم أحمد حسن البكر استقالته بسبب التقدم فى السن والمرض كما أعلن وقتها.. وأصبح صدام حسين الرئيس الجديد للجمهورية العراقية.. ليتابع برنامجه الذى كان السبب - من وجهة نظر بعض المراجع العراقية - فى غزو العراق واحتلاله.. وهو أمر متوقع منذ تأميم شركة نفط العراق لتحقيق السيادة الوطنية العراقية الكاملة على أرضه، والسيطرة الفعلية على موارده النفطية.. حيث ابتدأت قوى الشر العالمية المتمثلة فى شركات النفط الكبرى فى العالم تسعى وتدعم استهداف تغيير النظام فى العراق، الذى أعلن من جانبه فى الثامن من ديسمبر ١٩٧٥

نهاية احتكار تلك الشركات، وأمم كل حصصها المتبقية فى شركة نفط البصرة فتحقق له مبدأ السيادة الكاملة على موارد العراق الطبيعية ومنها النفط والغاز.. ووضعت تلك الموارد فى خدمة التنمية القومية الاجتماعية والاقتصادية، فأقام صروح الصناعات البتروكيماوية، وأنشأ أسطولاً لنقل النفط العراقى الخام، وأسطولاً لنقل المنتجات النفطية إلى أرجاء بلاد العالم.. وتحقق للعراق بناء صروح الصناعات المختلفة.. العلمية، والمدنية، والعسكرية.. إضافة إلى مصانع الأدوية، والمنتجات الطبية، والمختبرات العلمية للأمراض البشرية والحيوانية.. إضافة إلى بناء المدارس والجامعات.. ومحو الأمية.. وغير ذلك من البنى التحتية فى مختلف المجالات الصناعية المعروفة.. ومنها صناعة الثلاجات والتليفزيونات، والفيديو.. وصناعة السيارات وإطاراتها بمختلف أحجامها، إضافة إلى الثورة الزراعية واحتياجاتها من جرارات ولوازمها..

ومن أهم تلك الانجازات:

١- التعجيل فى الوصول إلى مستوى اقتصادى متقدم، وزيادة دخل الفرد، ورفع مستوى معيشه بما يحقق الرفاهية والعدالة الاجتماعية.

٢- نهضة زراعية استهدفت زيادة وتنويع الإنتاج الزراعى، واستخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة فى الزراعة، إلى جانب تطبيق العلاقات الإنتاجية الاشتراكية المتقدمة.

٣- زيادة الإنتاج الصناعى بما غطى حاجة الاستهلاك المحلى.. مع فائض للتصدير، وإحداث ثورة تنموية شاملة فى القطاع الصناعى وفى مختلف المجالات الصناعية.

٤- السيطرة الكاملة على التجارة الداخلية والخارجية، وتوسيع قاعدة التصدير. وربط الاستيراد بتوفير احتياجات المتطلبات من السلع والمواد الاستهلاكية بمتطلبات الإنتاج المحلى تحقيقاً للوصول إلى الاكتفاء الذاتى.

٥- عزز دور القطاع العام فى جميع فروع الاقتصاد فى الصناعة والتنمية، ودعم القطاع الخاص، حيث وفر له الإمكانيات ليؤدى دوره فى عملية التنمية الاقتصادية

والصناعية.

٦- ركز على تأمين العمل الكامل لجميع القادرين عليه فى كافة المجالات الإنتاجية الوطنية.

٧- بدأ العمل على تنسيق مشاريع العراق التنموية والقومية.. مع مشاريع التكامل الاقتصادى العربى، بإقامة المشاريع المشتركة.. العراقية العربية.. وقد تم ذلك فى الأردن واليمن ومصر، وفى عدد آخر من الأقطار العربية.. وقد توج ذلك بإقامة مجلس التعاون العربى فى ١٩٨٩/٢/١٦.

٨- وفر كافة الخدمات الثقافية والعلمية المجانية فى كافة مراحلها، وإلزامية التعليم.. فازدهر العلم، وازداد عدد العلماء، وحملة الدرجات العلمية، والتخصص فى المجالات الصحية والاجتماعية.. بين كافة أبناء العراق دون استثناء، حيث وصل العراق بنهاية حقبة الثمانينيات إلى مصاف الدول المتقدمة فى كافة المجالات العلمية.

وكان من المقرر أن يصدر أول سيارة عراقية - عربية الصنع كاملة نهاية عام ١٩٧٩.. ولكن قوى الشر الأمريكية الصهيونية حالت دون ذلك بكافة السبل، حيث تم تدمير المفاعل النووى العراقى «أوسيراك» ومفاعلى «تموز ١» و«تموز ٢» فى ميناء تولوز الفرنسى قبل أن يتم شحنهما إلى العراق.

ولعل ما كتبه مؤرخ عسكرى أمريكى مؤخرًا يوضح بعض جوانب الصورة.. قال: «فى كانون الثانى - يناير ١٩٨٠ كشف صدام عن أهدافه فى الساحة العالمية: «نريد لبلدنا أن يحصل على وزنه المناسب بناء على تقديرنا بأن العراق لا يقل عظمة عن الصين، ولا عن الاتحاد السوفيتى، ولا عن الولايات المتحدة».. كان هذا تصريحًا غير عادى، فحتى مع مخزونات البترول فإن العراق لا يملك الثروة ولا الكثافة السكانية، فتعداد السكان يكاد يبلغ ٢٠ مليون نسمة، ليلعب دورًا فى السيطرة على العالم. رغم ذلك فسوف تؤكد أعمال صدام على مدى العقد القادم كم كان جادًا عندما صرح بذلك.

وعند هذا الحد فإنه أصبح لازمًا أن نبحث فى العلاقة بين صدام والولايات المتحدة.. خاصة أن هذه العلاقة قد شغلت الكثيرين.. واتخذت ألوانًا وأشكالاً عدة،

وخضعت لتأويلات لا حصر لها.. وكلها صادرة عن خصوم صدام.. أو من محللين أمريكيين يدّعون الحيدة.. وهى ما سوف نلتفت إليها أكثر.. لأن بواعث الانتقام وفجاجة التحليل التى يقدمها خصوم صدام لا تحتمل ولا يمكن أخذها مأخذ الجد.

وعمومًا فالثابت أنه لم تكن هناك علاقة حقيقية بين العراق والولايات المتحدة قبل عام ١٩٨٠، كانت بريطانيا هى اللاعب الأساسى فى السياسة العراقية ابان العهد الملكى الهاشمى، وظل عدم الاكتراث الأمريكى بالعراق مستمرًا حتى بعد استيلاء عبدالكريم قاسم على السلطة.. وعندما تفاقمت الأمور.. وبدأ مسلسل الانقلابات «٥٨ ـ ١٩٦٨» قدمت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية بعض الدعم للبعثيين فى صراعهم ضد الشيوعيين.. وكان من الممكن أن تنمو هذه العلاقة.. لولا نكسة العرب فى ١٩٦٧، وسعى العرب لإلقاء اللوم على الولايات المتحدة التى بغير دعمها السياسى والعسكرى لإسرائيل ما كان يمكن أن تلحق الهزيمة بالعرب.. وكان ذلك سببًا مباشرًا فى انهيار العلاقة الوليدة بين العراق والولايات المتحدة، وفى عام ١٩٦٨ اتخذ العراق خطوة أبعد فقطع علاقاته مع الولايات المتحدة.

واستمرت لعبة القط والفار بين أمريكا والعراق.. ففى الفترة من ٧٣ ـ ١٩٧٥ دعمت الولايات المتحدة وإيران وإسرائيل تمردًا كرديًا واسعًا فى العراق. والوثائق التى فحصتها اللجنة المختارة من مجلس النواب الأمريكى حول الاستخبارات «تظهر بوضوح أن الرئيس الأمريكى والدكتور كيسنجر والشاه كانوا يتمنون ألا يتغلب عملاؤنا ـ الأكراد ـ لقد كانوا يفضلون بدلاً من ذلك أن يستمر المتمردون ببساطة فى القدرة على القيام بأعمال الحرب العدوانية بمستوى يكفى لاستنزاف مصادر الثروة العراقية، ولم تنقل هذه السياسة إلى عملائنا الذين تم تشجيعهم للاستمرار فى الحرب» عندئذ فى عام ١٩٧٥ وقع صدام حسين عن الجانب العراقى مع الشاه اتفاقية الجزائر التى تعطى لإيران حقًا مساويًا لحق العراق فى شط العرب فى مقابل إغلاق إيران لحدودها فى وجه الميليشيات الكردية.. وعلى الفور قطعت طهران وواشنطن المعونات التى كانتا تقدمانها للأكراد، ورفضت الولايات المتحدة منحهم حق اللجوء السياسى.

وإذ شهدت سبعينيات القرن العشرين انحسار النفوذ العسكرى والاقتصادى

لأمريكا فى العالم إلى حد بعيد، فقد وضعت أمريكا كل بيضها فى سلة شاه إيران.. واستمرت لوقت طويل فى تبديد الكثير من الدعم ومعظم أسلحتها الحديثة على هذا الحليف.. وكان كل ذلك سببًا أساسيًا فى الكراهية وعدم الاطمئنان للولايات المتحدة من قبل العراقيين الذين يرتابون فى نوايا إيران.. وبالتالى من يدعم نظام الشاه.

وهبت الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩.. وسقط الشاه ونظامه التابع لأمريكا.. ومنذ اللحظة الأولى ناصبت الجمهورية الإسلامية الجديدة أمريكا العداء، وتشددت فى معاداتها.. وكان احتجاز الرهائن فى سفارة الولايات المتحدة وما صاحبها من تداعيات سببًا فى انزعاج الأمريكيين.. وميلهم إلى العراق فى صراعها مع إيران بعد ذلك بعام.. وإن كان العداء المعلن والتاريخى ضد إسرائيل والموقف المضاد لأمريكا.. لم يحرك هذا الميل.. ليصبح تأييدًا.. ولم يتسبب فى تحسين العلاقات بين العراق وأمريكا.

وقد بدأ الشعور الأمريكى يتغير تدريجيًا.. عندما طالت الحرب.. وخشيت أمريكا من احتمالية التفوق الإيرانى.. اكتشفت أن العراق أهون الشرين.. وكان ذلك هو الشعور السائد لدى صناع القرار ومعهم أغلبية الشعب الأمريكى، وإن كان التأثير الإسرائيلى يقلل من هذا الشعور، ويعمل على تحجيمه.. أو استغلاله لإطالة أمد الحرب بين القوتين المعاديتين لإسرائيل.

كان المشهد مازال جارحًا لإسرائيل ومعها أمريكا.. مشهد إعدام أربعة عشر جاسوسًا شنقًا بينهم تسعة يهود عراقيين.. يناير ١٩٦٩ فى ميدان التحرير وسط بغداد.. وقام التليفزيون ببث تفاصيل عملية الشنق.. وهتف وزير الإعلام قائلا: «أيها الشعب العراقى العظيم.. إن عراق اليوم لن يتسامح مع أى خائن أو جاسوس أو عميل، وأنتم أيها الإسرائيليون اللقطاء، وأنتم أيها الأمريكيون الامبرياليون.. وأنتم أيها الصهاينة.. سنكشف كل حيلكم القذرة.. وسنعاقب عملاءكم، ونشنق كل جواسيسكم، حتى وإن كانوا بالآلاف.. أيها الشعب العراقى العظيم.. تلك هى البداية فقط.. فساحات العراق الخالد سوف تمتلئ بجثث الخونة والجواسيس.. انتظروا فقط.

ويبدو أن الولايات المتحدة قررت استخدام معاونتها بما يضمن استمرار الحرب

بين العراق وإيران.. لاستنزاف قوة الطرفين، كما أشارت إسرائيل التى انتهزت انشغال العراق فى الحرب ودمرت مفاعلها النووى فى ١٩٨١.

كان صدام يخشى من تصدير الثورة الإيرانية، خاصة أن العراق قد ابتليت بالأكراد فى الشمال.. وأعوان إيران فى الجنوب.. وقد عملا منفصلين وبدعم من إيران الشاه على إثارة المشاكل التى تفاقمت إلى حد الاقتتال مع الدولة الرسمية استمر لسنوات، إلى جانب احساس صدام بجرح كرامته وهو يوقع اتفاق الجزائر مع الشاه تحت ضغط دعمه للأكراد.. لذلك استغل صدام قيام بعض المناوشات الحدودية.. وقام بتصعيد الأمر الذى استحال غزوًا بريًا واسع النطاق لمحافظة خوزستان الحدودية الإيرانية الغنية بالنفط.. ثم قام العراق باستعادة نصف شط العرب.. وإلغاء اتفاقية الجزائر من طرف واحد.. كان ذلك فى سبتمبر ١٩٨٠.

وظهر ميل الولايات المتحدة ناحية العراق، فرفعت اسمه من قائمتها للدول الراعية للإرهاب عام ١٩٨٢، وأرسلت دونالد رامسفيلد إلى بغداد كمبعوث لريجان لمقابلة صدام حسين عامى ٨٣، ١٩٨٤ لمناقشة سبل التعاون الاقتصادى بين البلدين.. وأعادت العلاقات الدبلوماسية عام ١٩٨٤.. وأتاحت القروض والمعونات، وزودتها بالمعلومات الاستخباراتية، وشجعت حلفاءها على امداد العراق بالسلاح.. بل شاركت بأعمال عسكرية وشبه عسكرية ضد إيران.. فقد أرسلت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سفنها الحربية إلى الخليج لترافق عدة ناقلات نفط كويتية كانت تتعرض لهجمات إيرانية.. كما رفعت عليها أعلام أمريكا.

ومع تطور «حرب ناقلات البترول» دمرت الولايات المتحدة عددًا من منصات النفط الإيرانية، كما أسقطت طائرة ركاب إيرانية على متنها ٢٩٠ شخصًا فيما قالت واشنطن إنه حادث وقع نتيجة خطأ..

ولكن شهر العسل المزيف لم يستمر فقد اكتشف العراق الحقيقة، بعد الإعلان عن فضيحة إيران ـ كونترا، وقيام الولايات المتحدة بتزويد إيران بالأسلحة سرًا أملاً فى الحصول على مساعدتها فى إطلاق سراح رهائن لها فى لبنان.. ودب الخلاف من جديد بين العراق والولايات المتحدة.

وفى ١٨ يوليـة ١٩٨٨ وافـقت إيران على هدنة اقـتـرحـتـهـا الأمم المتـحـدة وبدأ سريان وقف اطلاق النار فى ٢٠ أغسطس ١٩٨٨.. بعد خسائر جسيمة بشرية ومادية للطرفين، وبعد أن تأكد الطرفان.. أنها تحولت إلى حرب كر وفر، حرب استنزاف للطرفين.. حيث لا غالب ولا مغلوب.. وبعد أن قام الحرس الجمهورى العراقى من خلال هجمات مخططة جيدًا.. باستعادة النقاط الحدودية التى استولت عليها إيران، ورفع التهديد للبصرة.. وبعد أن تأكد الجانب الإيرانى أن جيشه الذى تعلم القليل فى ميدان المعركة وخسر الكثير، بدأ يفقد مؤخرًا حرارته الدينية.

❖❖❖

كان انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بعد ثمانية أعوام من الاستنزاف للطرفين.. بمثابة وقفة مراجعة، وتأمل، وربما الاحساس بالخسارة دون مردود.. وعلى الرغم من تنامى قوة العراق من خلال الخبرات التى اكتسبتها القوات العراقية من حرب طويلة.. والدعم الكبير الذى تلقته من الأسلحة والعتاد الذى كلف العراق أكثر من ٤٢ مليار دولار.. رغم ذلك كان العراق يعانى ضائقة مالية، وديونًا تجاوزت ١٠٠ مليار دولار.

وفى ذات الوقت.. غداة وقف الحرب، قررت الكويت زيادة إنتاجها من النفط بالمخالفة لاتفاقيات الأوبك.. كما قررت أن تتكفل آبار الرميلة الواقعة فى المنطقة الحدودية المتنازع عليها بين العراق والكويت بهذه الزيادة.. مما اعتبره صدام حسين تحرشًا واستفزازًا وخيانة.. وقد ترتب على تلك الزيادة انخفاض أسعار النفط، وخسارة العراق حوالى ٧ مليارات دولار سنويًا.

وفكر صدام حسين فى ذلك التناقض الغريب بين بلدين عربيين جارين.. العراق والكويت.. فالعراق بمسئولياته يعانى حوالى ٢٠ مليونًا هم شعبه الحرمان ويرزح تحت وطأة الديون.. بينما الكويت يعيش وفرة لم يبذل فيها أى جهد.. ويتقاسم حوالى ١٠٠٠ شخص هم أفراد الأسرة الحاكمة ثروة وسلطة لا حدود لهما.. حيث تتجاوز الاستثمارات الكويتية فى الخارج ١٠٠ مليار دولار. تبلغ عائداتها ٦ مليارات دولار، أى أكثر من عائدات نفط الكويت.. ويتمتع بكل ذلك ٧٠٠ ألف ممن يحملون الجنسية الكويتية.. ولأن كثرة المال تعمى القلوب وتؤدى إلى فقدان البصيرة فقد مهد الكويت

الطريق إلى مأساة امتدت آثارها إلى المنطقة كلها ومازالت آثارها تتبدى كل يوم..

وتفاقمت الأمور بوقوع تقرير أمنى كويتى فى يد صدام.. يقول: «لقد اتفقنا مع الفريق الأمريكى على توفير الظروف للإفادة من تدهور الاقتصاد العراقى لكى نمارس عليها الضغوط بهدف تأزيم الأمور على الحدود المشتركة، وقد أكد لنا مسئولو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أهمية التنسيق ضمانًا لاستمرار هذه الضغوط».

عند ذلك.. على وجه التقريب.. فكر صدام فى الأمرمن مستوى آخر.. فالعراق تاريخيًا يعتبر الكويت جزءًا منه، لا يمكن أن يتجزأ.. منذ أيام الدولة العثمانية وهيمنتها على المنطقة، عندما كانت الكويت تابعة لولاية البصرة.. وقبل أن توقع بريطانيا اتفاقًا عام ١٩١٣ يجعل من الكويت ولاية مستقلة تحسبًا لقيام الحرب العالمية الأولى.. وعندما حارب الأتراك إلى جانب ألمانيا اعترفت بريطانيا بحدود الكويت وباستقلال إمارته التام عن الامبراطورية العثمانية.. واحتج العراق الذى كان واقعًا تحت الانتداب البريطانى متهمًا بريطانيا بأنها انتزعت منه منطقة لا تملك مقومات الوجود المستقل.. وظل لسنوات يعارض فى انضمامها لجامعة الدول العربية.. أو للأمم المتحدة.

كان صدام دون شك محملاً بكل هذه الأفكار إلى جانب الأزمة المالية، والشعور بأن ثمة مؤامرة تحاك ضده.. وقد تحدث فى «١٩٩٠/٢/٢٣» خلال انعقاد مؤتمر القمة العربية.. كانت لهجته تنم عن غيظ لا حد له.. قال: «إن العراق سيمارس نفوذًا حاسمًا على الخليج وبتروله.. ويعمل على تأسيس تفوقه كقوة عظمى فى المنطقة».. وكانت صدمة بالنسبة للسعودية والكويت.. وقررت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية - دعما لحلفائها - وضع العراق تحت الرقابة وجمع المعلومات عنه..

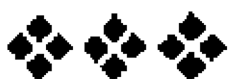
ورغم الجهود العربية والدولية التى بذلت للتخفيف من التوتر القائم.. فإن العراق وفى أواخر يولية ١٩٩٠ قام بنشر قواته على الحدود مع الكويت.. وفى محاولة لتدارك الأمر عقدت فى السعودية ٣١ يولية ١٩٩٠ محادثات بين ممثلى العراق والكويت لتسوية الموقف.. ولكنها فشلت. وبعدها بيومين قام العراق بغزو الكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠، ورغم قرارى مجلس الأمن ٦٦٠، ٦٦١ لسنة ١٩٩٠ بضرورة انسحاب

العراق دون قيد أو شرط والبدء فى إجراء مفاوضات لحل الخلافات، ثم فرض جزاءات إلزامية على الطرفين.. قام العراق فى ٨ أغسطس بالإعلان عن ضم الكويت الشامل والأبدى إلى العراق، واعتبارها إحدى محافظاتها وتعيين محافظ عراقى لها وطلبت حكومة الكويت - التى هربت مع الأسرة الحاكمة إلى السعودية فور الغزو - من الأمم المتحدة المساعدة العسكرية لتنفيذ قراراتها.. وتم تشكيل تحالف دولى بقيادة الولايات المتحدة وعضوية حوالى ٣٠ دولة أوربية وعربية لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالقوة العسكرية.. وحدد مجلس الأمن ١٥ يناير ١٩٩١ كمهلة لانسحاب العراق من الكويت. وعند انتهاء المهلة بدأت قوات التحالف فى القصف الجوى للعراق.. ثم بدأت العمليات البرية فى ١٩٩١/٢/٢٤. وأرسل العراق إلى مجلس الأمن عدة رسائل تفيد امتثاله الكامل لقرارات المجلس وأن القوات العراقية قد انسحبت بالكامل من الكويت فى ١٩٩١/٢/٢٧.. وتعلن قوات التحالف تحرير الكويت كاملاً.. وتعود حكومة الكويت لممارسة أعمالها فى مدينة الكويت ٤ مارس ١٩٩١. ويعلن مجلس قيادة الثورة العراقية فى ٨ مارس ١٩٩١ أن جميع القرارات التى اتخذها فيما يتعلق بالكويت منذ ٢ أغسطس ١٩٩٠ باطلة ولاغية.

وفى ٣ ابريل ١٩٩١.. اتخذ مجلس الأمن قراره رقم ٦٨٧ حدد فيه أحكام وقف اطلاق النار بما فى ذلك وحدة مراقبة تابعة للأمم المتحدة لرصد المنطقة المجردة من السلاح وممر خور عبدالله المائى ورسم الحدود العراقية الكويتية، وتدمير أسلحة الدمار الشامل.. والقذائف البالستية البعيدة المدى للعراق تحت اشراف اللجنة الخاصة والوكالة الدولية للطاقة الذرية، وإقامة نظام للرصد والتحقق المستمرين فى المستقبل لامتثال العراق للحظر المفروض على هذه الأسلحة والقذائف وعودة الممتلكات الكويتية، وإنشاء صندوق للتعويضات يموله العراق للوفاء بمسئوليته عن أى خسائر أو أضرار أو اصابات تتصل باحتلاله غير المشروع للكويت، وعودة جميع الكويتيين ورعايا الدول الأخرى إلى أوطانهم..

وكان هذا القرار بمثابة البداية لسلسلة متصلة من القرارات التى مثلت تدخلاً صارخًا فى شئون العراق، وكبلته بالقيود والعقوبات والحصار، والضربات الجوية بين

وقت وآخر.. والتى لم تتوقف بغرض خنق العراق، وشل كافة قدراته.. وتهيئته للغزو والاحتلال أوائل عام ٢٠٠٣.



وقد تكون ثمة عدة ملاحظات.. بعد ذلك العرض السريع لسيرة صدام حسين وبصمته على الأحداث والتطورات التى جرت فى العراق، والمنطقة.. وإلى حد ما.. العالم..

ولنبدأ بما أثير عن صدام حسين شخصيًا، وما قيل عنه من قبل معارضيه ومؤيديه على السواء.. والذى يمكن تلخيصه أو التلميح له بكلمات د. أمير إسكندر أحد كتاب سيرته وأحد مؤيديه.. الذى قال إن صدام قد اكتسب من بيئته صفات لعل أبرزها: الجلد على تحمل الصعاب، شدة المراس، الشجاعة، القدرة على اقتحام المخاطر.. والصرامة القاسية.. والكلام حمال أوجه.. والأفعال أيضًا.. ولكن مما لا شك فيه أن حياة صدام القاسية، والبيئة التى نشأ فيها ومناخ النزوع إلى القوة، وعدم الاطمئنان للآخرين.. والتحسب للظروف.. الأمر الذى دعا أقاربه لتزويده وهو ابن العاشرة بمسدس عند مغادرته قريته إلى تكريت حتى يلتحق بمدرستها.. ناهيك عن التوترات التى كانت سائدة فى مجتمع العراق وقتها.. والصراعات الدامية التى لازمت بداية وعيه واهتمامه بالعمل السياسى، وتعرضه شخصيًا للسجن، ومحاولات الاغتيال، والحكم عليه بالإعدام وهو ابن العشرين.. وفراره إلى القاهرة ليكمل تعليمه الثانوى.

لقد تم الدفع به وهو المبتدئ فى العمل السياسى إلى مخاطر تجسدت فى الانقلابات الدموية التى صاحبت اسقاط الأسرة المالكة، وحكم عبدالكريم قاسم.. واغتياله.. وتولى عبدالسلام عارف، ومصرعه فى حادث غامض، ثم تولى عبدالرحمن عارف، والإطاحة به من قبل حزب البعث تحت قيادة أحمد حسن البكر.. وما صاحب ذلك من حمامات دم تلاحقت خلال فترة وجيزة من ٥٨ ـ ١٩٦٨.

ويجب ألا نغفل أن العراق نفسه يمثل مفارقة ربما لا تتوفر لأى دولة أخرى.. حيث تم رسم حدوده وخريطته فى اتفاقية سايكس بيكو من عدة مناطق كانت تابعة

للامبراطورية العثمانية.. ويقول البعض إن العراق هو حصيلة نوبة جنون كانت تصيب ـ تشرشل السياسى البريطانى المعروف ـ بين وقت وآخر.. فجمع بين السنة والشيعة والأكراد والتركمان والآشوريين والمجوس.. وغيرهم فى مكان واحد.. وأشعل فتيل التفاعل الذى لن يهدأ أبدًا..

ويقول البعض ان صرامة صدام القاسية التى أشار إليها د. أمير اسكندر كانت السبب فى الحفاظ على وفرض وحدة الدولة العراقية واستقرارها منذ ١٩٦٨ حتى رحيل صدام حوالى ٣٥ عاما دون انقلابات ويقول البعض الآخر إن صرامة صدام القاسية تجاوزت الحدود..

ونفس الشئ بالنسبة للحرب العراقية الإيرانية .. ثم احتلال الكويت .. وفى الأولى يقال إن صدام الذى كان يعيش فوق بركان من الصراع الإثنى والعرقى خشى من امتداد لهيب الثورة الخومينية إلى العراق القابل للاشتعال .. فأراد ان يصعد من التوتر بين الجانبين .. والتوتر يورث الحيطة والحذر والترقب.. وضمان استمرار الأمور على ماهى عليه .. أما بالنسبة لاحتلال الكويت فهو ترجمة لقناعة عراقية تاريخية بأحقيته فى ضم الكويت بثرواته .. وأنه جزء من العراق تم فصله من قبل بريطانيا المستعمرة إلى جانب التناقض الحاد بين الدولتين والذى سبقت الاشارة إليه .. ثم اكتشاف الاتفاق بين مسئولى الكويت ومسئولى وكالة المخابرات الامريكية لممارسة الضغط على العراق.. انتهازًا لظروفه الاقتصادية.. ويقول آخرون إنها كانت مغامرة خاسرة أساسها التقرير الامريكى.. فقد كانت الولايات المتحدة تسعى لضرب الجمهورية الإسلامية شديدة العداء لها.. وتريد ان تنتقم للرهائن.. وتمارس ضغطًا مستمرًا على إيران الخومينى وإنها قدمت مساعداتها للعراق الذى اكتشف بعد فوات الوقت انها كانت تبيع السلاح لإيران فى نفس الوقت لإطالة أمد الحرب وتدمير البلدين. أما احتلال الكويت فلم يتم إلا بعد مشاورات سرية جرت بين صدام وسفيرة الولايات المتحدة فى العراق آنذاك «ابريل جلاسبى» التى ذكرت له إن الولايات المتحدة لا تهتم ولا يعنيها الخلافات الحدودية بين العراق والكويت.

وعندما أعلن العراق ضم الكويت واعتبارها إحدى المحافظات التابعة له وعين

لها محافظًا عراقيًا.. وضرب بالتهديدات الأمريكية وقرارات مجلس الامن عرض الحائط.. انحاز له الكثير من أهل الرأى فى كافة البلدان العربية.. وكانوا يرون فيه قوة عربية تناطح الدول الكبرى.. وراهنوا على انتصاره إذا فكرت أمريكا فى محاولة طرده من الكويت.. ولم يكن ذلك الشعور مقصورًا على العرب وحدهم.. فإن العديد من الدول الكبرى.. ومنهم أمريكا ـ كانوا يعتقدون ذلك.

كتب محلل أمريكى يقول: إنه عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت فى انقلاب غير دموى تقريبًا.. رد الأمريكيون بطريقة بدت أنها تفضل المواجهة السياسية.. ولكن صدام حسين استنتج أن الولايات المتحدة لا تملك القوة العسكرية ولا القوة المعنوية لتحمل مخاطر الحرب..

ويضيف: أن العراق يمتلك نظام دفاع جوى حديثًا يضم تقنيات فرنسية وسوفيتية متطورة.. فاعتقد صدام أن الحرب إذا وقعت فإن جيشه الذى قاتل إيران لمدة ثمانى سنوات قادر على ايقاع خسائر بشرية فى الجيش الأمريكى لا يستطيع تحملها.. وكما صرح فى إحدى المقابلات أن الأمريكيين فى فيتنام لم يكونوا قادرين على مواجهة الخسائر الفادحة دون أن يفقدوا إرادتهم.. إن تصرفات صدام طوال الأزمة التى قادت إلى عاصفة الصحراء توحى بأنه لم يكن معتقدًا أن بوش (الأب) سوف يخاطر بدخول الحرب.

وللسخرية ـ يضيف ـ فإن عددًا من خبراء الولايات المتحدة وكثيرين ممن هم مع القوات نفسها كانوا يشاركون صدام تصوره.. وظنوا أن العراق يمتلك قوات مقاتلة ضخمة، وبشكل خاص جيشه المجرب فى المعارك، وأن الاصابات الأمريكية سوف تتجاوز العشرة آلاف (١٠,٠٠٠) فى الحرب البرية.. وعندما هبت عاصفة الصحراء اتضح لهم الوهم الذى كانوا يعيشونه.

ومما يجدر ذكره أيضًا، أن قمة القاهرة التى انعقدت فى أغسطس ١٩٩٠ فور احتلال العراق للكويت قد أدانت العدوان العراقى، وطالبوا العراق بالانسحاب والالتزام بقرار مجلس الأمن ٦٦٠.. ثم ذكرت بالتزام الدول العربية باتفاقية الدفاع المشترك التى تسمح لها بالتصرف عسكريًا لرد العدوان عن الكويت.. ولكنها اكتفت

بالتذكير.. ولم تفكر فى تفعيل الاتفاقية.. ربما تحسبًا لقوة العراق.. أو نبذ الاقتتال العربى العربى.. وبدلاً من ذلك سلمت الولايات المتحدة ملف القضية برمته.. فشكلت حلفًا منهم ومن غيرهم فى سابقة كانت الأولى من نوعها فى المنطقة.. ومن ثم انفتح أمامها الطريق لتكريس وجودها العسكرى فى المنطقة فى شكل قواعد، ومناطق نفوذ، وتسهيلات، واتفاقيات تعاون عسكرى، الأمر الذى سهل عليها غزو العراق واحتلاله.

صدام حسين .. رؤية من قريب

«كان ذا خلق عال ، شاءت الظروف أن أجتمع معه وآخرين على مائدة االطعام أكثر من مرة .. كان يصر على أن يملأ طبقي بكل ما هو موجود على المائدة» .

بعد عقدين من عمله فى القصور والمواقع الرئاسية فى العراق، والتصاقه بالرئيس صدام حسين فى اجتماعاته ولقاءاته مع ضيوف العراق الاجانب، تحدث مترجم صدام حسين الخاص فى غرفته فى احد فنادق الدوحة. وفى الحوار الذى أدلى به، يتحدث سامان عبد المجيد عن ذكريات عمله كمترجم خاص، ويتحدث هنا بصفة حرفية، كمترجم حيث كان يقوم بدور الوسيط اللغوى بين صدام وزواره الاجانب. حيث يشير الى ما يقول عنه الجانب الانسانى، والصورة المختلفة عن صدام حسين فى الاعلام الغربى. ويقول انه كان يؤمن بتعدد الاراء، كما يتحدث عن ظروف سقوط بغداد، وكيف ان قادة صدام خانوه. وينفى سامان وهو الكردى ان يكون صدام حسين طائفيا. ويؤكد ان علاقته بصدام كانت رسمية، فلم يحدث ان حضر اجتماعات القيادة العراقية او اجتماعات صدام مع وفود عربية واسلامية الا نادرا، ولم يدر حديث خاص بينه وبين صدام. وكان الاخير يستقبل مترجمه دائما بدفء ويسأله عن حاله واحواله وعندما ينهى مهمة الترجمة كان يودعه بقوله شكرا لك لقد اتعبناك معنا كثيرا ويكررها اكثر من مرة.

● يروى سامان قصته مع الرئيس الشهيد بالقول:

●● بعد عودتى الى بغداد من فرنسا، عينت فى دار المأمون للترجمة والنشر التابعة لوزارة الاعلام، حيث اصبحت رئيسا لقسم الترجمة وكان ابرز انجاز حققه

القسم هو الاستغناء عن الاستعانة بمترجمين فوريين من خارج العراق لتغطية المؤتمرات المختلفة التى كانت تعقد فى بغداد والمدن العراقية الاخرى. هذا بالاضافة الى قيامى بالتنسيق مع أساتذتى فى فرنسا للاستعانة بقسمنا فى المؤتمرات الدولية ونجحت مساعىّ تلك واصبحت ومترجمون آخرون نغطى عند الطلب مؤتمرات وكالة الطاقة الذرية فى العاصمة النمساوية فيينا والعديد من الفعاليات الدولية فى مختلف دول العالم. بعد السمعة الطيبة التى اصبحت للقسم، استدعانى فى احد الايام مدير دار المأمون للترجمة الاستاذ ناجى صبرى الحديثى الذى اصبح لاحقا وزيرا للخارجية وأخبرنى بأن ديوان رئاسة الجمهورية طلب منه ترشيح مترجم خاص للرئيس صدام حسين، وأنه رشحنى لهذه المهمة. قال لى ان ترشيح شخص لهذه المهمة الدقيقة لا يعتمد على اساس الكفاءة المهنية فقط وانما يجب ان يكون على اساس الخلق القويم والتهذيب العالى وحسن التصرف فى مجالس تضم قادة دول واشخاصا ذوى منزلة عالية، وانه توسم فىّ تلك الصفات. كان ذلك عام ١٩٨٦ ويبدو ان الاستفسارات الامنية عن شخص سيكون ملاصقا للرئيس لم تكن بالهينة، حيث انى لم اسمع شيئا عن الموضوع لسبعة أو ثمانية اشهر بعد ترشيحى للوظيفة، أى فى شتاء عام ١٩٨٧ والطريف فى الموضوع انى لم استلم تكليفى بالعمل فى رئاسة الجمهورية الا بطريق الصدفة، فقد كنت فى بغداد فى اجازة من الجيش الشعبى (وحدات شبه عسكرية مؤلفة من افراد تعدت اعمارهم سن التجنيد كان العراق يستخدمها بدل الوحدات العسكرية فى المناطق البعيدة عن جبهة الحرب مع ايران) وذهبت فى آخر يوم لألقى السلام على زملائى فى دار المأمون واذا بالمدير العام يخبرنى بأن ديوان رئاسة الجمهورية قد طلبنى بالفعل. تسرحت من الجيش الشعبى وعدت للعمل فى دار المأمون بانتظار التكليف الرسمى ولكن لم يصلنى شىء لشهور أخرى، الى ان تم الاتصال بى لأول مهمة لى للترجمة للرئيس صدام حسين، حيث كان باستقبال الرئيس الصومالى محمد سياد برى الذى كان يتكلم الفرنسية.. شعرت برهبة من الموقف، ولكن استقبال الرئيس لى بالتحية بطريقة بسيطة بدون تكلف ووجود مترجم اللغة الانكليزية المرحوم مازن الزهاوى ومساعدته لى فى توضيح الموقف والبروتوكول المتبع سهّل على الامور

كثيرا وما أن مرت اللحظات الاولى حتى اندمجت بالعمل وسار كل شىء على ما يرام، بقيت حتى عام ١٩٩٠ مترجم الرئيس عند الطلب، ولكن بعد دخول الجيش العراقى الى الكويت وتقاطر الوفود من كافة المستويات والانواع على بغداد صدر امر بنقلى نهائيا من وزارة الاعلام الى مكتب السكرتير الصحافى لرئيس جمهورية العراق. كان السبب وراء نقلى هو عمل خلاصة يومية حول ما تكتبه الصحف الفرنسية حول موضوع دخول العراق الى الكويت وتقديمها الى الرئيس صدام حسين الذى كان حريصا اشد الحرص على الاطلاع على كل ما تكتبه الصحف الغربية حول العراق، وقد نقل بعدى بيومين احد زملائى للقيام بنفس المهمة ولكن مع الصحف الناطقة بالإنجليزية.

وحول مدى تأثير عمله عليه بوصفه كرديًا فيقول: فمنذ دخولى الحياة العملية حتى اصبحت مترجما للرئيس، لم اشعر فى يوم من الايام بأن قوميتى الكردية هى نقطة ضعف بالنسبة لى. لا بل لم اشعر بذلك طوال حياتى، خصوصا وان اسمى كردى الا اننى لم اشعر فى أى يوم من الايام بأن ذلك قد أثر سلبا بأى شكل من الاشكال لا فى المدرسة ولا فى الحياة الاجتماعية ولا فى الجامعة. كنت اشعر وأُعامل على انى عراقى مثلى مثل اى عراقى آخر. طرأ على بالى فى وقت من الاوقات بأنه ربما لكونى كرديا، استغرقت الاجراءات الامنية ما بين ترشيحى لأصبح مترجما للرئيس واعتمادى للمهمة سبعة الى ثمانية اشهر. أقول ربما واشدد على كلمة ربما، ويعزز ذلك القول بأننى طوال خدمتى فى القصر الجمهورى لم يفتشنى أحد اثناء دخولى وخروجى على الرئيس صدام حسين. يظن الكثير من الناس بأن كل من يدخل على صدام حسين يخضع الى تفتيش دقيق، ولكن ذلك غير صحيح، كان بإمكانى فى كل مرة فيها أدخل قاعة يتواجد فيها صدام حسين وأنا أتأبط سلاحا، فى الحقيقة كان صدام حسين الانسان ـ وهذا شىء اطلعت عليه بنفسى ـ شخصًا فى منتهى الرقة معى ومع الآخرين. على مدى الخمس عشرة سنة التى عملت فيها معه، لم أره منزعجا ويوجه كلاما غاضبا لأحد، الا نادرا جدا جدا. مرة واحدة وبخ أمامى رئيس دائرة المراسم قائلا هل يجب على أن أعلمكم كل شىء؟ هل نحن فى مدرسة؟ كان هذا اقصى توبيخ اسمعه منه تجاه أحد. أما معى شخصيا فلم يوجه لى فى يوم من الايام حتى ولا لومًا، كان

يستقبلنى كما اسلفت بتحية طيبة ويودعنى بعبارات مهذبة مثل أرجو أن لا نكون قد أتعبناك أرجو أن لا نكون قد أطلنا عليك . كان ذا خلق عال، شاءت الظروف ان اجتمع معه وآخرين على مائدة الطعام اكثر من مرة، وقد كان يصر على ان يملأ صحنى بنفسه. كان ذلك يسبب لى حرجًا كبيرًا وكنت اتوسل اليه ان لا يفعل ذلك وأن مقامه عال عندى ويجب على أنا أن اخدمه، لكنه كان يصر على أن يملأ طبقى بكل ما هو موجود على المائدة، كان عماد عملى هو فى مكتب السكرتير الصحافى الذى يحضر مع الرئيس اجتماعاته اليومية مع المسؤولين. كان أحد واجبات السكرتير الصحفى هى تسجيل وقائع الاجتماعات على اشرطة وليصار الى اعداد تقارير حول فحوى كل اجتماع. كنت من بين الذين يستلمون تلك الاشرطة ويستمعون اليها ويعدون تقارير حول موضوعات الاجتماعات. من هنا استقيت معلوماتى وانطباعاتى حول طريقة تعامل الرئيس صدام مع المسؤولين والوزراء العراقيين. كان يبدأ الموضوع بتلاوة حيثياته ثم يقول للموجودين أسمع رأيكم فى هذا الموضوع . ينطبق ذلك على الموضوعات السياسية الحساسة مثل الموافقة على عودة المفتشين الدوليين الى العراق وقضية السماح لطائرات التجسس يو ٢ بالتحليق فوق العراق، لم يكن يضع الامر بصيغة قررنا الآتى أبدًا، كان دائما يقول هذا الموضوع مطروح للنقاش، وأود أن اسمع وجهة نظركم. حاول صدام حسين ان يكون ديمقراطيا ولكنى اقولها للحقيقة والتاريخ إن الآخرين لم يساعدوه.

وحول ما إذا كان صدام حسين طائفيًا يقول: تحليلى الشخصى بان صدام حسين كان يريد ان يكون قائدا عظيما لعراق عظيم. كان يريد ان يصنع كل ما يضمن أن تنظر له الاجيال القادمة كقائد عظيم كما ننظر فى يومنا هذا لقادة من أمثال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وخالد بن الوليد .. وصلاح الدين الأيوبى.. كان يريد بناء دولة عظيمة ليكون هو رئيسا لها، لأنك عمليا لا تستطيع ان تكون قائدا عظيما الا اذا بنيت دولة عظيمة، وبالتالى كان فكره وتطلعاته أوسع من أن تضيق عند مسألة الطائفية. كان المحك عند الرئيس صدام حسين هو الولاء ، هل هذا الشخص او ذاك يدين لنا بالولاء ام لا؟ قد يكون شخصا ما تكريتيا سنيا ولكنه لا يدين بالولاء لصدام حسين،

فلا يقرّب. وعلى العكس من ذلك قد يكون هناك شخص شيعى ولكنه يؤمن بالمسيرة ويدين بالولاء لها، فيُقرّبْ. ومثال على ذلك ان المرافقين له والمكلفين بحمايته فى بداية حياته كان بينهم غير عرب سنة، مثل صباح مرزة الذى كان كرديا شيعيا على ما اظن.. ان يكون المسؤول عن حمايته من الطائفة التى تكن له الكثير من عدم الارتياح يثبت بأنه لم يكن يهتم بمسألة الطائفية، هذا بالاضافة الى وزير خارجيته ثم اصبح وزيرا للإعلام محمد سعيد الصحاف فهو شيعى... سكرتيره الصحافى والذى كنت اعمل فى مكتبه هو شيعى، الاستاذ على عبد الله سلمان.

نعم ووزير الصحة كان تركمانيا، هذا بالاضافة الى ان الكثير من المسئولين الخمسة والخمسين الذين طاردتهم الولايات المتحدة هم من الشيعة.

ويضيف سامان: منذ بداية عملى معه عام ١٩٨٧ لمست فى كلامه وتصرفاته شيئاً من التقوى وكانت كلمة الله لا تنزل عن لسانه «هذا ما أراده الله.. و.. إن شاء الله» وعبارات مشابهة كان يرددها بشكل دائم. فى السنين الاخيرة ازداد التصاقه بالدين اكثر فأكثر، واصبح يقرن كلامه بآيات قرآنية بشكل دائم، وهذا واضح حتى فى خطاباته الرسمية. واذكر انه رد على الصحافى دان راذر من قناة سى بى أس الامريكية باننا قد فعلنا كل ما فى وسعنا لتجنب الحرب وافقنا على عودة المفتشين الى العراق ووافقنا على تحليق طائرات التجسس (يو ٢) ووافقنا على كل شىء، فإذا وقعت الحرب فستكون تلك مشيئة الله ولا راد لقضائه. من جهة اخرى نرى الطابع الدينى واضحا عليه فى بعض القرارات مثل اغلاق البارات والنوادى الليلية. وقبل الحرب بأشهر أصدر قرارا بأن كل مسؤول عراقى يشاهد وهو يلعب القمار يفصل من منصبه ويعاقب بالحبس. نستطيع ان نلمس من هذه التصرفات اتجاها دينيا، على حد علمى كان تناول الخمور عنده شيئاً ممقوتا وغير وارد اطلاقا ولم اشاهده فى حياتى يتناول خمرا.

● كان يقيم الصلاة فى مواعيدها؟

●● نعم وحتى فى وجود ضيوف اجانب كان يعتذر منهم عندما يحين وقت الصلاة ويذهب الى غرفة اخرى ويعود بعد عشر دقائق.

صدام حسين رجل يؤمن بشدة بمبدأ التكافل الاجتماعى، وقد طبق ذلك فى العراق ايضا فى سنين الحصار. كان يؤمن بشدة بان على كل دولة اسلامية غنية ان تساعد الدولة الافقر، وقد دعا فى قمة عمان الى انشاء صندوق رسمى لمساعدة الدول العربية والاسلامية الفقيرة، واقترح أن لا يكون دفع الاموال الى هذا الصندوق بشكل مزاجى، وأن يتم الاتفاق على المبلغ الواجب دفعه من كل دولة الى الصندوق.

فى الحقيقة كان صدام حسين يرى نفسه رجلا ذا مكانة كبيرة. كان يتصرف مثل رب اسرة عليه أن يوفر احتياجات ابنائه بأى شكل. أذكر فى احدى السنين تم الاتفاق على منح مساعدات لدول الطوق، وقال يومها ملك الأردن الراحل حسين بن طلال لصدام حسين انه لا يريد من العراق مساعدات فى الوقت الحاضر نظرا لانشغاله بالحرب مع ايران، فرد عليه صدام بعبارة كان يكررها باستمرار «العراق مركب كبير محمل بالخير لو اخذ منه المرء مكيالين او ثلاثة فإن ذلك لن يؤثر به» من هذا المنطلق كان يكرم كل من يطرق بابه.

وحول القناعة التي تولدت لدي الشهيد صدام قبل الغزو الأمريكي للعراق يقول سامان: كانت لديه قناعة بأنه مهما فعل العراق ومهما قدم العراق فهناك اصرار على ضربه، وان الولايات المتحدة تسعى لإيجاد مبررات لضرب العراق. لذلك كان يقول بانه حتى لو أتى المفتشون فلن يحمى ذلك العراق، لا بل كان يقول بأنه لا يستبعد ان يضع المفتشون عنصرا كيمياويا معينا ويدعون بانهم وجدوه فى العراق، ويتخذونه ذريعة لضرب العراق. لذلك كان جوابه الاساسى لعنان بأنه لا جدوى من الموافقة، ولو عرفنا بان الموافقة ستحل الامور لوافقنا. وقد تحدث الى كوفى عنان كثيرا محاولا اقناعه بالعمل على تغيير السياسة الامريكية تجاه العراق، واستشهد بالتاريخ كثيرا - كما هى عادته دائما - مذكرا ضيفه بأن العراق بلد عظيم ذو تاريخ مجيد لا يجوز ان يعامل بهذه الطريقة، وكان يصر على ان العراق هو من علم البشرية القراءة والكتابة وان حمورابى هو أول من وضع القانون فى العالم. كان يركز على ان الحضارة بدأت من العراق وانه ارض الانبياء نوح وابراهيم عليهما السلام وعليه يجب ان يعلم الجميع ان العراق بلد غير عادى لا يمكن أن يذل او يهان. ابدى عنان موافقته واعجابه بكل ما قاله الرئيس،

ثم طلب ان يكون الاجتماع سريا فانصرف الوزراء الحاضرون وبقيت انا والرئيس وعنان فقط. توقعت أن يكون لدى عنان شىء جديد يريد قوله على انفراد ولكنه لم يزد على موافقته على كل ما قاله الرئيس ثم عاد وأكد بأنه لا يريد سوى حقن الدماء. لكن ما ميز الجلسة السرية هو أن عنان بدأ يتحدث بصفة شخصية اكثر من كونه الامين العام للأمم المتحدة. قال للرئيس بأنه يحب الشعب العراقى ويريد ان يجنبه ويلات الحرب، وانه يلتمس من الرئيس الموافقة على مطالب المجتمع الدولى. لم يستخدم ابدا لغة القانون او ان هناك امرا على العراق تنفيذه وإلاا الا انه قال للرئيس اكثر من مرة يا سيادة الرئيس انت رجل قانون وتعلم بأنه عندما يصدر قرار للأمم المتحدة فهو واجب التنفيذ على اعتبار ان صدام حسين يحمل دبلوما فى القانون. لكن الرئيس رد عليه بشىء من التهكم. ارجو ان لا يتكرر موضوع رجل القانون فأنا لم امارس المحاماة قط.

لأنه لم يكن عميلاً

«يمثل قرار الحرب على العراق تجسيداً لاستراتيجيات قديمة تهدف إلى إعادة تعديل توازن القوى القائم اليوم في الشرق الأوسط.. وقبل ذلك وبعده.. تحقيق الحلم الأمريكي في الهيمنة على العالم»

قل فى صدام حسين - حقًا أو باطلاً - ما قال مالك فى الخمر.. إلا أن يكون عميلاً لأحد.

لقد جربت أمريكا - ومن خلفها إسرائيل - على مدى سنوات وعقود، أن تحتويه أو تروضه، عبر قنوات صفو متباعدة، لم تتواصل أبدًا.. رفعت اسم العراق من قائمتها للدول الراعية للإرهاب دون أن يطلب منها ذلك.. أعادت العلاقات الدبلوماسية، وكان العراق هو الذى قطعها.. تطوعت بوضع كافة الخدمات الاستخباراتية تحت تصرفه، وباعت له السلاح.. ودفعت حلفاءها لدعمه خلال الحرب العراقية الإيرانية.. وعندما اكتشف أنها تبيع السلاح سرًا لإيران بهدف إطالة أمد الحرب، واستنزاف قوة البلدين.. لم يتخذ موقفًا دبلوماسيًا معاتبًا.. أو مستفسرًا.. ولكنه أعلن ذلك على الملأ.. وشهر بأمريكا.. وسعى لإنهاء الحرب.. غضت الطرف عن ضم الكويت.. وسكتت على إحيائه للمطلب التاريخى للعراق الذى يعتبر الكويت جزءًا لا يتجزأ منه.. وأن الاستعمار وهو يتقاسم إرث الامبراطورية العثمانية قد سلخ الكويت من تبعيتها للبصرة، وجعل منها كيانًا منفصلاً لأسباب فى نفسه.

ولما لم تجد منه أى بادرة ليونة.. أو تفاهم ينتهى بالتبعية.. سعت لاستخدام القوة من خلال تحالف ضم ٣٠ دولة عربية وأجنبية.. واضطر صدام للانسحاب أمام القوة الدولية.. ولكنه لم يتغير.. أو يهادن.. أو يمتثل.. أو ينطو.

جربوا معه كل الأساليب.. والألعاب الأمريكية.. موّلوا حركات التمرد فى الشمال

والجنوب.. وهى ليست حركات معارضة بالكلمة والرأى كالتى يتم قمعها بوحشية من قبل كافة الأنظمة العربية.. ولكنها جيوش نظامية.. مدربة، ومسلحة بأحدث ما أنتجته أمريكا وحلفاؤها.. تتحرك دائمًا فى أوقات الأزمات الإقليمية.. والصراعات المسلحة مع دول الجوار أو غيرها - مما يشى بالخيانة، وعدم الانتماء، وتغليب المصالح الطائفية على كل شىء - لإرباك الدولة.. ووضعها بين المطرقة والسندان.. وعندما يتحرك العراق ضدها جيشًا لجيش.. يقيمون الدنيا ولا يقعدونها.. زاعمين أن صدام يحارب شعبه..

لقد تأكدت أمريكا أن وجود صدام حسين يجعل من العراق العقبة الأولى والأساسية أمام تنفيذ استراتيجيتها القديمة.. التى كشفت عنها عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وكأنها ردة فعل لما حدث.. بينما هى استراتيجية مركزية بالنسبة للولايات المتحدة، كشف عنها بوش وإدارته.. كما فضحتها الوثائق والدراسات التى تناولت فترة السبعينيات.. وملامح التفكير الأمريكى.. التى تتركز فى أن السيطرة على منطقة الخليج هى مفتاح أى قوة تريد الهيمنة على العالم.. وقد تبلورت هذه الفكرة فى أثناء أزمة الطاقة سنة ١٩٧٠، وكان وراءها فكر كيسنجر وزير خارجية أمريكا وقتها.. وظلت هذه الفكرة تتطور حتى وجدت فرصتها للتحقق على يد بوش الابن وأركان حكمه..

وتمحورت الفكرة على أساس أن دول الخليج كيانات مؤقتة.. غير مستقرة.. فيما عدا العراق الذى تبلغ احتياطاته من النفط ما يفوق احتياطات روسيا، وأمريكا، والصين، والمكسيك مجتمعة.. ومن ثم لا يمكن السيطرة على منطقة الخليج إلا بعد القضاء على العراق.. وتدمير قوته.. وهى مهمة لابديل عنها، حيث إن السيطرة على الخليج هى السبيل للهيمنة على العالم.. خاصة أن نفط أمريكا وبحر الشمال يوشك على النضوب.. بما يعنى أن الخليج سيكون المسئول عن تأمين ٦٧٪ من احتياجات العالم من النفط خلال السنوات القليلة القادمة.

وتأكيدًا، وإحياءً للاستراتيجية الأمريكية.. وفى ذكرى مرور عام على أحداث سبتمبر ٢٠٠١، صدر عن البيت الأبيض فى ١٧ سبتمبر ٢٠٠٢ استراتيجية الأمن

القومى للولايات المتحدة موقعة من بوش.. وتحتوى على معظم الأفكار التى طرحتها الاستراتيجية، التى وقف وراءها كيسنجر منذ أكثر من عقد من الزمان..

قالت استراتيجية بوش: إن الولايات المتحدة تتمتع فى الوقت الحاضر بقدرات لا توازيها قدرات أى دولة أخرى.. كما تتمتع بنفوذ اقتصادى وسياسى كبير، وسوف تستخدم قوتها ونفوذها لإرساء مبادئ سامية على رأسها حرية الإنسان.

وأضافت أن أمريكا سوف تدافع عن السلام بشن الحرب على الإرهابيين والطغاة.. والشبكات الظلامية التى يمكنها أن تحدث الفوضى والمعاناة عبر شواطئنا.. ومن أجل ذلك فسوف تستخدم أمريكا كل ما يتوافر فى ترسانتها من قوة عسكرية، وقدرات دفاعية، وأجهزة مخابراتية مع قطع التمويل عن الإرهابيين.. وسوف تكون الحرب على الإرهاب باتساع العالم كله.. كمشروع عالمى غير محدد بمدة..

وقالت الوثيقة التى وقعها بوش: إن الخطر الأكبر الذى تواجهه أمريكا هو التطرف والتكنولوجيا، فالإرهابيون كشفوا عن سعيهم لامتلاك أسلحة الدمار الشامل.. ولكن أمريكا لن تسمح لهم بذلك.. وسوف تقاوم هذه التهديدات حتى قبل أن تأخذ شكلها النهائى.. ولن تغفل أمريكا عن الدول الفقيرة التى تشكل تهديدًا كبيرًا.. لأن الفقر، والإدارة الضعيفة والفساد.. كل ذلك يعرض تلك الدول لسيطرة شبكات الإرهاب.. ونموها داخل حدودها..

وليكن واضحًا - هكذا تقول - إن قوة أمريكا الهائلة تلقى عليها أيضًا بمسئوليات هائلة.. ويجب استخدام هذه القوة فى تحقيق استراتيجية أمريكا للأمن القومى.. على أساس «الدولية الأمريكية» التى تعكس وحدة قيمها.. ومصالحها..

مع التأكيد أن الحرب ضد الإرهاب سوف تدور على جبهات متعددة، وضد عدو غير معروف.. وتستغرق وقتًا طويلاً.. لأن آلاف الإرهابيين المدربين مازالوا طلقاء.. وينتشرون فى كل مكان.. وسوف لن تتردد أمريكا فى العمل بمفردها - إذا تردد الآخرون - للدفاع عن النفس، كما أنها ستوجه ضربات استباقية للإرهاب.. حيث الهجوم هو خير وسيلة للدفاع.

كما تؤكد استراتيجية الأمن القومى للولايات المتحدة التى صدرت - كما سبقت

الإشارة ـ عن البيت الأبيض بتوقيع بوش على عدة نقاط مثيرة، حيث تتوعد بأن أمريكا يجب أن تكون مستعدة للتصدى بعنف إلى الدول الخبيثة، المجرمة ـ وعملائها من الإرهابيين، قبل أن يتمكنوا من استخدام أسلحة الدمار الشامل ضدها .. ولا تسمح لأعدائها بتوجيه الضربة الأولى.. وتأكيد السعى بكل الوسائل.. لفرض هيمنة أمريكا على العالم.. من خلال السيطرة على الخليج، وتحويله إلى محمية أمريكية.. بعد القضاء على قوة العراق، ثم العكوف على كيانات الخليج غير المستقرة «دوله» وإعادة صياغتها وإعدادها بحيث تخدم الاستراتيجية الأمريكية.. ولا تستثنى من ذلك الكويت، والسعودية، وقطر، والامارات.. ثم مصر.. وبعدها يمكن دعم إسرائيل حتى تمارس الوصاية على العالم العربى.. من خلال الهيمنة الأمريكية على العالم.. اعتمادًا على التحكم فى نفط الخليج..

وفى جامعة ساوث كارولينا .. وبدعوة منها .. ألقى بوش خطابًا .. طرح فيه تفاصيل أكثر حول رؤيته للإستراتيجية الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط.. حيث أكد أن ما يحدث فى الشرق الأوسط يشكل أهمية كبيرة بالنسبة لأمريكا .. فالمرارة التى تسود المنطقة تتسبب فى تصدير العنف والإرهاب لأمريكا .. التى يتوجب عليها أن تستخدم نفوذها، ومثاليتها ـ على حد قوله ـ لكى تستبدل الأحقاد القديمة بالآمال الجديدة.. وقد واتتها الفرصة التاريخية، وأزاحت «دكتاتور العراق».. الذى يمثل إنذارًا ووعيدًا للإرهابيين فى المنطقة بسوء المصير.

وقال:إن أمريكا وحلفاءها يشنون حربًا عالمية لا تهدأ ضد الإرهابيين.. وتحقق انتصارات.. ففى أفغانستان، تم تدمير نظام قمعى، ومعه الإرهابيون الذين يئويهم.. وفى العراق تمت مواجهة نظام يساعد الإرهابيين، ويمتلك أسلحة الدمار الشامل لتهديد السلام..

وأكد أن أمريكا القوية تسعى لدعم الحرية فى الشرق الأوسط.. لأن الأيديولوجية البغيضة للإرهاب تعيش فى كنف الأنظمة القمعية. وإن كان البعض يعتقد باستحالة تحقيق الحرية لشعوب الشرق الأوسط، فإن درس التاريخ يؤكد لنا العكس فى نماذج.. ألمانيا النازية.. واليابان ودول المعسكر الاشتراكى.

ثم يقول: إن الدخل القومى لكل الدول العربية يقل عن مثيله فى بلد واحد كإسبانيا، ولذلك فهو يقترح إقامة منطقة تجارة حرة بين أمريكا ودول الشرق الأوسط.. علمًا بأن النمو الاقتصادى يتطلب تعليمًا أوسع وأفضل.. ومن أجل ضمان ذلك فسوف نمول حركة ترجمة واسعة لكتبنا إلى اللغة العربية لتدريسها فى المدارس الابتدائية فى المنطقة.

ثم يبشر بأن النزاع فى الأرض المقدسة كان مشكلة عميقة فى المنطقة لأجيال متعاقبة.. ولكن الأمل فى السلام يتجدد الآن.. بعد «تحرير العراق»، وقيام قيادة فلسطينية جديدة.. بالإضافة إلى جهود زعماء مثل مبارك والملك عبدالله.. وإذا تمكن الفلسطينيون من اتخاذ خطوات جادة للقضاء على الإرهاب، والاستمرار فى طريق السلام فسوف نرى علم فلسطين يرفرف على دولة حرة..

من ناحية أخرى.. وتأكيدا على رغبة أمريكا فى السيطرة على الخليج.. نشرت نيويورك تايمز فى ٢٠ أبريل ٢٠٠٣ نقلاً عن مسئولين كبار فى إدارة بوش أن أمريكا تخطط لعلاقة عسكرية طويلة المدى مع حكومة العراق المرتقبة، يتحقق بواسطتها حصول أمريكا على قواعد عسكرية لدعم نفوذها فى المنطقة.. وهناك نية لإقامة أربع قواعد فى ضواحى بغداد بالقرب من المطار الدولى، والثانية قرب الناصرية، والثالثة فى المنطقة الصحراوية غرب العراق والرابعة فى مطار باشور فى المنطقة الكردية شمال العراق.. مع التأكيد أن القوات الأمريكية تستخدم هذه القواعد بالفعل سواء فى عمليات التمشيط، والإسناد العسكرى.. أو فى نقل المعونات الإنسانية.. وبالطبع - تضيف الجريدة - سيكون لها تأثيراتها على التغيرات التى ستأخذ طريقها من المتوسط إلى المنطقة إلى المحيط الهندى «منطقة الخليج» علمًا بأن الوجود العسكرى الأمريكى ستمتد تأثيراته عبر الحدود إلى سوريا .. كما يعززالوجود الأمريكى فى أفغانستان..

ومما تقدم.. تتضح لنا استراتيجية أمريكا بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط.. والعالم من بعد ذلك.. وأن هذه الاستراتيجية بحاجة إلى حكام محليين وأنظمة حكم من نوعية خاصة.. تساعد على تحقيقها.. وتفسح الطريق لنفاذها بيسر... وترى فيها دعمًا لها.. وحماية.. نوعية خاصة.. ليست مصابة بحساسية الهيمنة.. والسيطرة،

والتدخل فى الشئون الداخلية.. والإملاءات.. نوعية مطواعة.. داجنة.. تشعر بالدفء فى حضن السيد الأمريكى ورعايته.. ويخلو قاموسها من مفردات العمالة.. والتبعية.. ولم يكن صدام حسين من ذلك النوع.. ولم يكن العراق من نوعية تلك الدول.. ومن ثم كان لابد من احتلال العراق.. وإزاحة صدام.. تحت أى ظرف..

وبالطبع.. فإن أفكار بوش.. التى ألمحنا إليها فى العرض السابق.. ومجمل رؤيته بالنسبة للخليج ومنطقة الشرق الأوسط.. وأهداف الاستراتيجية التى بشر بها.. كل ذلك لا يحتاج إلى جدل كثير.. ولكن الذى يحتاج إلى تأمل عميق هو المحاضرة التى ألقاها الأكاديمى الأمريكى وليام بولوك فى جامعة أكسفورد نهاية عام ٢٠٠٢.. يناقش فيها مجمل الأفكار التى طرحها بوش فى استراتيجيته وصولاً إلى احتلال العراق.. مع حرص شديد على تتبع الأفكار التى امتلأت بها الوثيقة وإرجاعها إلى أصولها.. سواء كانت تلك الأصول حقائق تاريخية، أو أوهامًا صنعتها خيالات المحيطين بالرئيس الأمريكى.. أو خليطًا بين هذا وذاك تم «طبخه» تلبية لحاجات فى نفوسهم.. ودفعتهم فى حالات كثيرة لعدم الإفصاح تحديدًا عما يقصدونه.. فالإرهاب كما تقول الوثيقة يقع على مفترق الطرق بين التطرف والتكنولوجيا.. وقد أوضحت تصريحات وتلميحات تالية أن «التطرف» يعنى به الإسلام.. بينما «التكنولوجيا» تعنى أسلحة الدمار الشامل.. كما تتبع رؤية الفريق المحيط ببوش لماهية أعداء أمريكا من وجهة نظرهم.. وأساليب التعامل معهم.. مع تركيز على مجمل النقاط الخاصة بالهيمنة الأمريكية.. و«الحقوق» التى منحتها أمريكا لنفسها فى تحديد هويات الدول والبشر.. ونعت إيران والعراق وكوريا الشمالية بأنها محور الشر فى هذا العالم.. وأنها ـ أمريكا ـ سوف ترد على تهديدات تلك الدول.. قبل أن تأخذ هذه التهديدات شكلها.. فيما يسمى بالضربات الاستباقية.. الأمر الذى يتعارض مع القانون الدولى والقانون المحلى الأمريكى.. فالهجوم على أى بلد ـ باستثناء حالة الرد على هجوم سابق ـ تم التعامل معه كجريمة حرب فى محاكم نورومبورج.. كما جرمه ميثاق الأمم المتحدة.. وما يقولون عنه الهجوم الوقائى يعتبر جريمة.. والقائمون على تنفيذه يجب تقديمهم لمحاكم جرائم الحرب.. ولا شك أن إدارة بوش عارضت إنشاء محكمة جنايات دولية لهذا السبب،

ولأسباب أخرى..

ويحلل بولوك ما جاء فى الوثيقة خاصًا بتلك الجماعات المعادية لأمريكا.. سواء كانت دولاً أو جماعات.. وجذور العداء وأسبابه.. ثم كيفية التعامل معهم.. وهل هى القوة.. أم الدعوة للإصلاح.. والتعامل معهم بما يضمن دعم المعتدلين من مؤيديهم.. فالقوة الغشوم أثبتت فشلها الذريع.. ويكفى أن الصراع بين الروس والشيشان ممتد منذ عام ١٧٣٢.. ومازال.. وأن إسرائيل من خلال خمس حروب، وبشاعات على مدار الساعة ضد الفلسطينيين بما فيها اغتيال القادة، والاعتقال والتعذيب.. وهدم البيوت.. والجدران العازلة.. ونقاط التفتيش وزرع المستوطنات.. إلى آخر ما لا يمكن تصوره.. لم تتمكن من إسكات المقاومة الفلسطينية..

ويقترب من هدفه عندما يقول: إن أصواتًا عديدة.. فى الإدارة الأمريكية تؤكد أن الإرهابيين غير الرسميين.. لا يمثلون أعداء أمريكا الحقيقيين.. ولكنها الدول الكبرى.. التى ألمحت إليها الوثيقة عندما أكدت أن مهمة أمريكا الأساسية هى منع ظهور أى قوة عظمى منافسة فى أى مكان من العالم.. وأوردت الوثيقة قائمة عن قوى محتملة ذكر فيها اسم روسيا، والصين، واليابان، وألمانيا.. وهى الأفكار التى التقطها بوش الابن، وروج لها فى أثناء حملته الانتخابية.. واعتبر الصين منافسًا استراتيجيًا لأمريكا.. واتهمها بأنها تهديد جاسوسى لها.. ويمكن أن تصبح مصدرًا لتهديد كبير إذا تمكنت من إقامة نوع من الشراكة مع روسيا.

ويصل بولوك إلى هدفه.. مباشرة.. ويتساءل: إذا كنا نخشى على أمريكا من تهديد بعض الدول «الصاعدة» التى حددنا بعضها.. وإذا كانت هناك أسماك كبيرة فى مرمى أنظارنا.. الصين وروسيا.. وغيرهما.. فالسؤال المحير هنا: لماذا العراق؟! ومرة أخرى.. وثانية.. وثالثة.. وإلى آخر مدى: لماذا العراق؟!

إن مساحة العراق تقترب من مساحة ولاية تكساس الأمريكية.. وعدد سكان العراق يتراوح ما بين ٢٣ و٢٥ مليون نسمة، ومعظم مساحة البلاد صحراء، وثلث البلاد مستقل أو منفصل عن الحكومة المركزية، فى كردستان. وبنية الاقتصاد التى تم بناؤها عبر عقود من العمل والاستثمار تعرضت للدمار خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١.

ففى أثناء القصف الجوى الذى استمر ٤٣ يومًا، تم تدمير ٧٠٠ هدف تضم جسورًا، ومحطات توليد طاقة، وسككًا حديدية، ومحطات مياه، ومصافى بترول، ومحطات تكرير المياه العادمة، بالإضافة إلى أهداف عسكرية.. وبسبب الحصار فقد بقى ذلك الدمار.. دمارًا.

وشعب العراق الذى خسر حوالى ٤٠٠ ألف ضحية فى أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية التى توقفت عام ١٩٨٨، ومعظمهم من الشباب.. خسر ضحايا جدًا خلال الحرب التى شنتها أمريكا وقوات التحالف ٩٠ ـ ١٩٩١.. ومن خلال الحصار القاسى توفى نصف مليون طفل عراقى، وتضاعفت نسب الوفيات بين المواليد ثلاث مرات.. ويعيش ٩٠٪ من السكان على المعونات الغذائية.. وأثبتت التقارير الدولية تزايد معدلات الأمراض بسبب تدمير محطات تكرير المياه العادمة، وتحلية المياه.. كما شهد العراق الكثير من الأوبئة الفتاكة.. مثل أوبئة الكوليرا، والتيفود، والكثير من الأمراض المعوية.. خاصة مع القسوة اللاإنسانية وعدم السماح للعراق باستيراد المعدات الطبية والأدوية.. كما أثبتت التقارير الصحية العالمية تضاعف حالة الإصابة بالأمراض الخبيثة بسبب استخدام القوات الأمريكية والبريطانية اليورانيوم غير المخصب فى القصف الجوى.. وباختصار شديد فقد أصبح شعب العراق ضعيفًا.. مقسمًا.. ومعنوياته فى الحضيض..

فلماذا العراق؟!

والأدلة قاطعة بأنه لا يملك أسلحة دمار شامل.. وجيشه الذى دمرته أمريكا وقوات التحالف لم تتم إعادة بنائه، وقد هبطت أعداده إلى الخمس قبل ١٩٩٠.. كما أن تجهيزاته ومعداته العسكرية أصبحت شبه «خردة» خاصة سلاح الطيران.. وأكدت وحدات التفتيش الدولية التى ضمت ٥٠٠ مفتش، وتلقت مساعدة من ٣٥٠٠ خبير وفحصت ٣٤٠٠ موقع.. أن إمكانيات إنتاج أسلحة الدمار الشامل، قد تم تدميرها بالكامل.. ولا توجد لدى العراق أية إمكانية لاستيراد أسلحة كيماوية أو بيولوجية.. أو غيرها.

وأكثر من ذلك فالعراق بعيد عن أمريكا.. ومحاط بدول لا يستهان بقوتها.. دول

شبه مناوئة له.. وتتبادل معه نظرات الارتياب.. ففى الشرق يظل صدام حسين علمانيًا، غير محبوب من جيرانه الإيرانيين الذين قاتلهم فى حرب طويلة.. ويتعامل مع الشيعة فى بلاده باعتبارهم طابورًا خامسًا لإيران، وفى الشمال تركيا، عضو حلف الناتو، وجيشها المليونى مجهز بأحدث الأسلحة ويتبع المعايير العسكرية للحلف.. وهى لا تخفى قلقها من الأكراد.. ولا قناعتها بحقها فى نفط المناطق الشمالية التى تنازلت عنها أو باعتها قبل اكتشاف النفط.. وكل ذلك يجعلها متابعة وقريبة من الشأن العراقى.. وفى الغرب تقع سوريا التى تجسد مع العراق ظاهرة الإخوة الأعداء، والأردن الذى يتعامل مع النظام العراقى ببرود من خلال علاقة تجارية لا أكثر.. ثم إسرائيل - العدو الرئيسى - والتى تملك جيشًا حديثًا معززًا بأكثر من ٤٠٠ قنبلة نووية.. وفى الجنوب تقع الكويت التى تتمتع بالحماية الأمريكية.. وخلفها دول الخليج التى تعتبر نقاط انطلاق لأى عمل عسكرى ضد العراق.. أما السعودية التى لا ترتاح للتدخل الأجنبى، فهى تنظر إلى صدام كعلمانى معارض..

ومن المثير للإزعاج أن الإدارة الأمريكية بما تدعيه لنفسها من قدرات وإمكانات خارقة، لا تستطيع إدراك كل ذلك.. وتكتفى بتقارير الأجهزة المخادعة والمتضاربة.. والتى درجت على المبالغة فى قوة ونوايا صدام حسين.. لدرجة الزعم بأنه يمتلك أسطولاً مهولاً من الطائرات بدون طيار.. والتى يمكن أن تشكل تهديدًا مخيفًا للولايات المتحدة.. وردد بوش نفسه هذه المزاعم باندفاع وتهور.. بدون أن يدرى أنه يتحدث عن طائرات رش المحاصيل الزراعية..

وعلى ذلك.. فإن الزعم بأن العراق يمثل تهديدًا للولايات المتحدة.. أمر مضحك.. كشر البلية.. ويدفعنا إلى إعادة السؤال: لماذا العراق؟

ويرد الأكاديمى الأمريكى بولوك أنه من الصعوبة بمكان الإجابة عن هذا السؤال.. فى ظل التعتيم الذى يحيط ببوش والمجموعة الصغيرة التى تحيط به.. والاجتماعات التى تضمهم.. بوش، ونائبه ديك تشينى، ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ونائبه ورئيس مجلس سياسات الدفاع، ووزير العدل، ورئيس مجلس الأمن القومى «كونداليزا رايس» آنذاك.. ثم يعلن وعلى مسئوليته أن يتكهن بالإجابة عن سؤال لماذا

العراق؟.. والتى تدور حول:

- الانتقام الشخصى من صدام حسين الذى لم تحقق أمريكا شيئًا من وراء تقربها إليه.. والذى فشل بوش الأب فى إسقاطه عام ١٩٩١، وظل الفشل يطارده خلال حملة الانتخابات الرئاسية.. ثم حقد بوش الابن بسبب محاولة الاغتيال التى تدعى أمريكا أن صدام رتبها فى أثناء زيارة بوش الأب للكويت.

- توفير الحماية لديك تشينى نائب الرئيس، ورامسفيلد وزير الدفاع.. المتورطين فى القضايا التى تقوم وزارة التجارة الأمريكية بالتحقيق فيها.. والتى تشمل ٣٤ حالة تصدير تكنولوجيا متقدمة للعراق. ضمت أجهزة كمبيوتر، ومعدات اليكترونية، وأجهزة لتحليل المواد الكيماوية وإنتاجها.. وأجهزة لتشغيل الصواريخ.. وأيضًا عدة أنواع من البكتريا والفطريات. علمًا بأن تشينى كان رئيسًا لمجموعة هوليبيرتون التى كانت على رأس الشركات التى تعاونت مع العراق أما رامسفيلد فكان يعمل عرابًا للعلاقة بين العراق والشركات الأمريكية.

- التغطية على فشل بوش الابن وإدارته فى الأداء الاقتصادى، والفساد الواضح فى محاباة بعض أصحاب المصالح الخاصة، ومعارضة قضايا البيئة لصالح رجال الصناعة، وتقليص الحريات المدنية تحت ذريعة محاربة الإرهاب.

- السعى لدمغ العراق بالإرهاب ورعايته، ثم احتلاله والإطاحة بصدام حسين، حتى تجعل من ذلك نموذجًا وعبرة لأى نظام يفكر فى معارضة أمريكا.. من أول السعودية حتى كوريا الشمالية.. والصين بسبب منافستها الاقتصادية.. وبشكل تدريجى روسيا.. وهى المبادئ الواضحة لسياسة بوش والتى تقضى بعدم السماح لظهور أى قوة منافسة لأمريكا.

- تشير كل التوقعات إلى قرب نضوب النفط الأمريكى، وقيام أمريكا بتخفيض الإنفاق على أكثر المشروعات المحلية لإنتاج الطاقة البديلة «الشمسية» والهوائية.. الخ لعدم الجدوى.. والقرارات الدولية بالحد من استخدام الطاقة المولدة من الفحم لأسباب تتعلق بحماية البيئة.. وعلى ذلك فاعتماد أمريكا يكاد يكون كاملاً على النفط المستورد.. ومن ثم جاءت تصريحات أمريكا الدائمة عن مصالحها القومية فى منطقة

الخليج.. والحصول على النفط بشروط مرضية لأمريكا.. وقد تم تأمين ذلك.. إلا أن هاجس أمريكا كان دائمًا يدور حول صدام.. أو غيره من حكام الدول المنتجة للنفط فى الشرق الأوسط أو فى أفريقيا.. وإمكانية رفع السعر أو الخروج من السوق.. مما سوف يتسبب فى إرباك أمريكا ومشروعاتها.. كما يعطى روسيا ـ كدولة منتجة للنفط ـ قوة اقتصادية ضد أمريكا.. وعودتها كقوة اقتصادية بعد أن خسرت الحرب الباردة..

ـ مع أن العراق قد خرج من سوق النفط بعد الحرب التى شنتها عليه أمريكا وحلفاؤها فى عام ١٩٩١، فإنه كان لايزال يمتلك منطقتين متطورتين، ويمتلك تقنيات عالية لاستخراج النفط «حقل النفط حول كركوك، والحقول الصحراوية فى الجنوب قرب الكويت».. ثم الحقول الأقل تطورًا فى وسط البلاد.. وكلها تجعل العراق يكاد يكون أكبر منتج للنفط فى العالم.. أكثر من السعودية وروسيا..

وعليه كان القرار الأمريكى بضرورة السيطرة المباشرة على النفط العراقى وحقوله سواء فى ظل احتلال أمريكى سافر.. أو من خلال حكومة عميلة.. لتأمين مصدر مستقر ورخيص للنفط..

ـ لقد استطاعت إسرائيل السيطرة على، وتحييد، كل منافسيها القريبين، باستثناء الفلسطينيين.. إلا أن العراق يمثل لها النظام الذى لا يمكن أن تتقبل وجوده.. ومع أننى ـ يقول بولوك ـ لا أعرف كثيرًا عن الخطط الإسرائيلية، إلا أن الأدلة واضحة وكثيرة عن جهود حكومة إسرائيل وداعميها الأمريكيين، والتى تدفع باتجاه اقناع الإدارة الأمريكية للتركيز على الإطاحة بنظام الرئيس العراقى صدام حسين.. واحتلال العراق..

وكان الاتجاه العام يدفع ببوش إلى عدم التعجل.. فيما يختص بالفلسطينيين قبل الإطاحة بصدام واحتلال العراق.. لأن ذلك سوف يجبر الفلسطينيين على خيار السلام وفقًا للشروط الإسرائيلية.

من كل ما تقدم، وغيره، يتضح أن قرار الحرب على العراق لم يكن قرارًا جديدًا يتخذه بوش وإدارته، كرد فعل لواقعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١، والمحاولات المستميتة لإقامة علاقة ما بين القاعدة وصدام حسين.. فقرار الحرب على العراق يمثل تجسيدًا

لاستراتيجيات قديمة تهدف إلى إعادة تعديل توازن القوى الغالب اليوم فى الشرق الأوسط.. وقبل ذلك وبعده.. تحقيق الحلم الأمريكى فى الهيمنة على العالم..

ولعل الوثائق الأمريكية، والدراسات والتحليلات التى تناولها من قبل كتاب أمريكيين، تلقى بالضوء على جوانب القضية المتشعبة، وتشى بما تخفيه دهاليز البيت الأبيض من نوايا تتناول اليوم والغد.. وما بعد الغد.. وتفسر التغيرات والتحولات التى نراها اليوم.. وسوف نراها مستقبلاً..

فى تقرير سلم إلى رئيس وزراء إسرائيل نتنياهو عام ١٩٩٦، يتناول تحقيق مصالح إسرائيل من خلال تمزيق العراق وإضعاف سوريا.. جاء فيه أن الأردن فى رغبته للحد من الطموحات السورية طالب بإعادة الهاشميين إلى حكم العراق.. وبما أن مستقبل العراق سيؤثر فى التوازن الاستراتيجى فى الشرق الأوسط، سيصبح دعم إسرائيل لاسترجاع الهاشميين للعرش فى العراق أمرًا مفهومًا.. وعلى إسرائيل تقديم الدعم للملك حسين «أمن - استخبارات لمساعدته على محاربة السوريين.. وتشجيع الاستثمارات الخارجية فى الأردن عبر التأثير الإسرائيلى فى مجتمع الأعمال الأمريكية بهدف ابعاده عن التأثيرات العراقية.. وتحويل انتباه السوريين من استعمال عناصر من المعارضة اللبنانية(!!!) لزعزعة الوجود السورى فى لبنان(!!!).. ويمكن لإسرائيل أن تشكل محيطها الاستراتيجى بالتعاون مع تركيا والأردن من خلال إضعاف سوريا.. وقد يمر هذا العمل بخلع صدام حسين عن حكم العراق - وهو هدف استراتيجى يشكل بنفسه أهمية بالنسبة لإسرائيل - مما يؤدى فيما بعد إلى احباط طموحات دمشق.. من خلال إقامة تحالفات مع القبائل العربية التى تسكن طرفى الحدود بين العراق وسوريا..

والثابت أنه منذ إدارة كلينتون - وما قبلها - كانت بغداد تمثل هدفًا مميزًا لصقور الإدارة الأمريكية.. ففى عام ١٩٩٨، نشر «المشروع لقرن أمريكى جديد» رسالة مفتوحة للرئيس يطلب فيها شن حملة عسكرية على العراق دون المرور بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وكانت الرسالة التى وقعها رامسفيلد وجماعته تقول: «إن السياسة الأمريكية لا يمكن أن تبقى مشلولة ومضللة بسبب هذا التشدد للحصول على إجتماع

مجلس الأمن».

وبعدها بشهور طلبت لجنة «السلام والأمن فى الخليج» من بيل كلينتون أن يعترف بحكومة مؤقتة عراقية يديرها أعضاء المؤتمر الوطنى العراقى الذى يضم منشقين منفيين، وباعتبار أن هذا الاعتراف يمثل الخطوة الأولى لاستراتيجية سياسية وعسكرية تهدف إلى الإطاحة بصدام ونظامه..

من أعجب ما كشفت عنه مجموعة التحاليل والتوقعات الاستراتيجية أن ديك تشينى قد انهمك ولفترة فى دراسة خيارين بالنسبة للعراق، الأول: يتعلق بدمج العراق مع الأردن فى دولة هاشمية.. والثانى: يتعلق بتجزئة العراق إلى ثلاثة كيانات، أحدها يصبح دولة مستقلة، والكيان الثانى يتم دمجه فى الأردن، أما الكيان الثالث فيشمل المنطقة الشيعية فى الجنوب وتلحق بالكويت.. وهو منطق «أمريكى» بحت.. تصعب مناقشته.. لقد أقامت الولايات المتحدة العالم.. عندما غزا صدام حسين الكويت بحجة أن هذا البلد الصغير لطالما كان ملحقًا بالعراق.. ثم تأتى اليوم لتقسم العراق وتلحقه بجيرانه!!

إنه المنطق «الأمريكى» الذى أصبح سمة، لم يبرأ منها أحد.. حتى جناح من يسمون بالمعتدلين الذين لا يوافقون على سياسة الولايات المتحدة.. ولعل الحيرة تمسك بتلابيب المدقق فى آرائهم «المعارضة» فهم مثلا يقولون: إذا كانت الدوافع الحقيقية للحرب على العراق بعد ١١سبتمبر غير مفهومة تمامًا، يبقى أن التهديدات التى تخيم على سوريا كفيلة بتعقيد الأمور أكثر مما هى عليه الآن.. والواضح أن واشنطن تهاجم الأهداف الخاطئة. فتتعرض لأنظمة ربما لا تتسم باللطف لكنها مازالت بعيدة حتى الآن عن الهجمات التى ارتكبت فى ١١ سبتمبر.. مثل سوريا، ولربما - بعد أفغانستان - تكون الصومال واليمن والسودان تشكل أهدافًا أكثر ملاءمة(!!!).. وكان ذلك تعليقًا على ما نشرته هآرتس الإسرائيلية من أن أحد كبار المسئولين الأمريكيين صرح لمسئول إسرائيلى بأن الولايات المتحدة، وبعد أن تنتهى من العراق، ستتولى شأن سوريا وإيران وكوريا الشمالية.

ولعل ما تقدم يدحض الفرية التى يرددها البعض.. والمزاعم التى تقول: إن صدام

حسين جلب على بلده الدمار.. فالدمار يا سادة كان آتيًا آتيًا.. لأن الإرادة الأمريكية ـ وراءها إسرائيل ـ قد شاءت ذلك.. متوافقة مع إرادات إقليمية.. وهوان عربى، لم يعد يمكن ـ فى ظله ـ حتى مجرد الاعتراض..

والمشكلة الأساسية.. والسبب الحقيقى الكامن وراء ما جرى هو فشل الولايات المتحدة وحلفائها المحليين والدوليين أن يخضعوا العراق، أو يروضوا صدام حسين.. ورغم المحاولات الودية والعدائية، والضغوط التى استمرت لسنوات.. فقد استعصى عليهم أن يتغير صدام حسين أو يتحول.. فيصبح صديقًا.. أو حليفًا.. أو عميلاً.

حرية العراق.. أم حرية أمريكا وعملائها؟!

«من المثير للدهشة أن خصوم الشهيد صدام حسين اتهموه بقتل ١٥ ألف شخص منذ حكم البعث عام ١٩٦٨، فهل يقوم أعداؤه بإحصاء مئات الألوف ممن قتلوا منذ بداية الحرب العدائية على العراق»

فى عام ١٩٩٨، خلال رئاسة بيل كلينتون.. أقر الكونجرس الأمريكى مشروع «حرية العراق» الذى أتاح الإمكانيات المادية والمعنوية لعملية عسكرية واسعة النطاق فى العراق.. وعندها بدأ التحضير، وتم دعم القوى العراقية المعارضة فى الخارج بالأموال التى يتطلبها التدبير لتسليح وتحريك قوى - زعموا أنها ترتبط بهم - داخل العراق.

وعند وصول بوش الابن إلى الرئاسة، تغير كل شىء.. وبدأ عهد جديد تحولت فيه السياسة الأمريكية من المساعدة المادية، والدعم اللوجستى للقوى المعارضة العراقية إلى التدخل العسكرى المباشر، ضاربة عرض الحائط بمجلس الأمن، والأمم المتحدة، والإجماع الدولى.. وتحركت آلة الحرب الأمريكية البريطانية على رأس تحالف ملفق لغزو العراق فى ٢٠ مارس آذار عام ٢٠٠٣ .. وتصدى صدام حسين والقوى الوطنية العراقية الشريفة للدفاع عن العراق.. كانوا يحاربون على أكثر من جبهة: جبهة القوات الغازية.. وجبهة الطائفيين المنقولين من دولة الجوار.. وجبهة الانفصاليين فى الشمال.. وقد أمدت القوات الغازية بالخدمات الاستخباراتية.. والتجسس التمهيدى.. ثم خاضت معها الحرب كتفا بكتف ضد القوات العراقية فى الشمال.

وكانت جولات.. امتزجت فيها كل المتناقضات.. البطولات والمواقف الشريفة، والتضحية مع التخاذل، والعمالة .. والخيانة.. وحققت قوات الغزو هدفها بدخول بغداد فى ٩ ابريل ٢٠٠٣ .. واندلعت المقاومة العراقية.. وذاب صدام وسط شرفاء المقاومة .. وتتبعه العملاء.. وتعددت البلاغات عن مشاهداته فى أحياء بغداد المقاومة..

ومعاركها البطولية.. وبدأت رسائله للمقاومة.. والتى بلغت تسع رسائل.. وأعلنت قوات الاحتلال عن مكافآتها المليونية لمن يدلى بمعلومات تؤدى لاعتقال ٥٥ من قيادات الحكم فى العراق وعلى رأسهم بالطبع صدام حسين.

وظلت قوات الاحتلال وعملاؤها يتحرقون شوقا للقبض على صدام لأكثر من ثمانية أشهر .. قام بعدها الحاكم المدنى للعراق «بول بريمر» بالإعلان رسميًا عن القبض على الرجل فى الثامنة والنصف مساء بتوقيت بغداد بتاريخ ١٣ديسمبر ٢٠٠٣ فى مزرعة بمدينة الدور قرب تكريت.

قال صدام فيما بعد لمحاميه خالد الدليمى: كنت فى دار أحد الأصدقاء الذين أثق فيهم فى قضاء الدور محافظة صلاح الدين. وكان الوقت قبل غروب الشمس.. كنت أقرأ القرآن.. وعندما قمت لأداء صلاة المغرب.. فجأة وجدت الأمريكان من حولى.. لم تكن معى أية قوة للحماية فى هذا الوقت.. وكان سلاحى بعيدا .. فتم أسرى ثم اختطافى وتعرضت لأبشع أنواع التعذيب فى اليومين الأول والثانى.. ولو كنت أعلم بوجودهم لقاتلتهم حتى الشهادة.

وعلى الفور اعلن بوش عن ابتهاجه.. وخاطب الشعب العراقى قائلاً: «الآن جاء وقت العراقيين ليرفضوا الإرهاب» ثم فكر قليلا وقال: «إن اعتقال صدام حسين لا يمثل نهاية العنف - يقصد المقاومة - وعلينا ان نواجه العمليات الارهابية التى تقتل الابرياء فى الشرق الاوسط!!!».

وفى مؤتمر صحفى لقائد قوات التحالف البرية آنذاك فى العراق الجنرال ريكاردو سانشيز.. اكد فيه انه تم التوصل الى صدام حسين بناء على معلومات استخبارية.

وأعلنت قوات البشمرجة الكردية أن الفضل - إن كانت الخيانة من الفضائل - يعود إليها فى اعتقال صدام.. ورد اللواء راى اديرنو قائد الفرقة الرابعة مشاة انها التى قامت بالعملية كاملة.. دون إنكار لدور البشمرجة.

ومن ناحيته أعلن عدنان الباجه جى، عضو مجلس الحكم العراقى آنذاك، والذى شارك فى المؤتمر الصحفى مع بريمر وسانشيز: ان صدام سيلقى محاكمة عادلة.. وناقض نفسه.. ودلل على عمالته عندما طالب فى نفس الوقت باعتبار يوم القبض على صدام «عيدا قوميا» للعراقيين.

وأوضح أعضاء مجلس الحكم العراقى فى مؤتمر صحفى انهم التقوا صدام.. وأنه أكد قناعته بأنه حكم العراق بطريقة عادلة ولكن حاسمة.

وصرح عبد العزيز الحكيم الرئيس الدورى لمجلس الحكم الانتقالى العراقى فى هذا الوقت بأن تحليل الحمض النووى اثبت ان المعتقل هو صدام.

وفى لندن رحب رئيس الوزراء البريطانى «بلير» بالقبض على صدام حسين.

وبدأت واحدة من كبرى مهازل العصر.. مهزلة محاكمة رئيس العراق من قبل قوات الاحتلال، من خلال ما سُمِّى بالمحكمة الجنائية المختصة فى العراق.. بتهمة انتهاك حقوق الانسان الموجهة اليه فى اطار الاجراءات التى تعرضت لها بلدة الدجيل عام ١٩٨٢.. بعد تعرض موكب الرئيس اثناء مروره بتلك البلدة لمحاولة اغتيال فاشلة دبر لها حزب الدعوة الاسلامية الشيعى فى العراق .. والذى كان معارضا لنظام الحكم.

وفى ٣٠ يونيو ٢٠٠٤ تم تسليم الرئيس الاسير، مع ١١ مسئولا بارزا فى حزب البعث «بصورة قانونية وليس بصورة عملية» من قبل القوات الامريكية التى كانت تتحفظ عليه فى معسكر كروبر بالقرب من مطار بغداد الدولى الى الحكومة العراقية المؤقتة بغرض محاكمتهم فى قضايا «انتهاك لحقوق الانسان».

وكانت بلية أضحكت البعض .. وشر البلية ما يضحك.. امريكا التى استهلت وجودها بإبادة اهل البلاد فى مذابح لم تتكرر على مدى التاريخ.. ثم بنت وجودها على انتهاك حقوق الانسان وكرامته وحياته، من خلال التجسس، وتدبير المؤامرات.. والبلطجة العسكرية التى لم تفلت منها دولة بطول الدنيا وعرضها. . ومعها عملاؤها من الخونة الذين لم ينتهكوا حقوق الإنسان فقط.. بل انتهكوا حقوق الوطن.. يتقدمون اليوم ليقدموا رئيس العراق للمحاكمة بنفس التهمة التى يمارسونها ليل نهار.. ولا يستطيعون الحياة بدون ممارستها.

وفى خضم التكهنات.. والتوقعات نشرت صحيفة «الأسبوع» القاهرية .. أن وزير الدفاع الأمريكى آنذاك دونالد رامسفيلد قام فى بداية مايو ٢٠٠٥ باجراء مقابلة سرية مع صدام حسين، قدم خلالها عرضا بإطلاق سراح الرئيس الأسير مقابل حديث متلفز يطلب فيه الرئيس من فصائل المقاومة العراقية التهدئة، ووقف العمليات المسلحة ضد قوات التحالف.. ولكن الرئيس الأسير رفض العرض جملة وتفصيلا. ولم تجد معه مماحكات رامسفيلد..

وفى ذات الوقت نشرت صحيفة «ديلى تليجراف» البريطانية.. خبرا مفاده أنه وبالاستناد الى مصادر سرية نافذة، تم عرض «صفقة سرية» على «بعض» فصائل المقاومة العراقية بتوقف عملياتهم المسلحة مقابل «محاكمة شكلية وحكم مخفف» بحق الرئيس

صدام حسين.

وفى ١٨يوليو ٢٠٠٥ تم توجيه الاتهام رسميا من قبل المحكمة الجنائية المختصة فى العراق إلى الرئيس الاسير وسبعة آخرين من كبار رجال الدولة، وقيادات حزب البعث بضلوعهم فى عملية الدجيل، وقد حاول فريق الدفاع مرارا قبل بدأ الجلسات تأجيل المحاكمة حتى تتسنى له مراجعة ملفات القضية.. ولم تلتفت المحكمة - بالطبع - إلى طلباته.

وكانت طبيعة المحكمة، وظروف تشكيلها.. وما يمكن ان تنتهى اليه.. غير بعيد عن تشكك الجميع .. فأبدت منظمة مراقبة حقوق الانسان، ومنظمة العفو الدولية الكثير من الملاحظات حول معايير المحكمة الجنائية المختصة.. ووصفوها بأنها لا ترقى إلى مستوى المعايير الدولية».وأبعدت الامم المتحدة نفسها كليا عن إجراءات المحاكمة لنفس الأسباب.. وناشد رئيس وزراء ماليزيا السابق مهاتير محمد العالم من أجل تشكيل «لجنة الطوارئ للعراق» هدفها الرئيس ضمان محاكمة عادلة للرئيس صدام حسين.

كانت الحكومة العراقية الانتقالية، فى اندفاعها المجنون، لا تأبه لنداءات دولية.. ولا تهتم بملاحظات المنظمات القانونية العالمية.. كان السيد الامريكى المحتل هو المقصد والهدف.. صاحب اليد الطولى.. والاشارات النافذة.. وكان يوم ١٩ اكتوبر ٢٠٠٥ هو أول أيام المحاكمة، كما قررت الحكومة المؤقتة.. وفى اليوم التالى مباشرة ٢٠ اكتوبر ٢٠٠٥، بدأت تصفية فريق الدفاع .. حيث تم اختطاف وقتل المحامى سعدون الجنابى، وبعده قتل المحامى عادل الزبيدى، والمحامى عبد الكاظم رويد،والمحامى خميس العبيدى، وتعرض المحامى ثامر صمود الخزاعى لإصابات بالغة فى محاولة لاغتياله.. واضطرت المحكمة إلى تأجيل المحاكمة حتى يتسنى العثور على محامين بدلاء.

❖❖❖

كانت المحكمة الجنائية العراقية المختصة قد تشكلت فى ١٠ أكتوبر ٢٠٠٣ بقرار من مجلس الحكم فى العراق، واعتبرت المحكمة نفسها مختصة «بالجرائم ضد الانسانية» واعتبرت نفسها أيضًا «مستقلة» و«لا ترتبط بأى جهة كانت».. وإن كان القانونيون يعتبرونها هجينا بين قوانين العدل الدولية والقوانين العراقية.

وقد تم تعيين «رزكان محمد امين» رئيسا للقضاة، أو رئيسًا للمحكمة.. وهو كردى من مدينة السليمانية، وقد حرص أن يوضح أنه ليست له، ولم تكن له أى علاقة مع أى من الأحزاب السياسية الكردية.. ولم يستمر فى رئاسة المحكمة أكثر من سبع جلسات، قدم بعدها استقالته فى ١٥يناير ٢٠٠٦ بسبب «تدخل الحكومة فى عمل المحكمة».. وتعرضه

لانتقادات وصفته بالتساهل مع المتهمين.

وتم تعيين القاضى سعيد الهاشمى رئيسًا للمحكمة خلفًا لـ«رزكار أمين» إلا أنه قد تمت تنحيته فى ٢٣يناير ٢٠٠٦ بسبب مزاعم عن انتمائه الى حزب البعث فى فترة من حياته.

وفى نفس اليوم ٢٣يناير ٢٠٠٦ تم تعيين القاضى «رءوف رشيد عبد الرحمن» رئيسا للمحكمة، وقد ظهر من اول جلسة مستفزا، متحاملا .. غير حيادى.. فظًا.. عدوانيًا.. ولكنه فوجئ فى الجلسة التالية بقفص الاتهام خاليا، وكذلك المقاعد المخصصة لفريق الدفاع.. حيث اعترض الجميع على استمراره، وطالبوا بتغييره، أو نقل المحاكمة إلى خارج العراق.. وقال المتهمون إن القاضى من مدينة حلبجة التى تعرضت لقصف مركز فى نهاية الثمانينيات أثناء الحرب التى شنها الاكراد على النظام أثناء انشغاله بالحرب ضد إيران.. واتهم الأكراد الجيش العراقى بقصف حلبجة بالأسلحة الكيماوية.. ولم يستمع أحد إليهم.. وأجبر صدام ومساعدوه على حضور الجلسات بالقوة. وأعلن صدام أنه لا يعترف بشرعية المحاكمة.

وفى مناطق الأكراد فى الشمال، والشيعة فى الجنوب خرجت مظاهرات تؤيد المحكمة وتطالب بسرعة المحاكمة، وإعدام صدام .. وعلى العكس تماما اندلعت المظاهرات فى كل العراق مؤيدة لرئيس العراق الأسير، ومطالبة بإطلاق سراحه.. وعودته على رأس السلطة العراقية..

وفى مصر اعتبر المحامون المصريون صدام حسين أسير حرب، والمحكمة الجنائية المختصة محكمة غير قانونية لكونها معينة من قوة احتلال.. والتهب الشارع العربى.. واتهم المحاكمة بأنها مثيرة للسخرية.. واتهم أنظمة كثيرة بالضعف والتواطؤ.. إذ كيف يقوم الاحتلال بمحاكمة زعيم دولة يمثلها قانونيا ودستوريا.. بينما «لا أحد يتجرأ حتى ولو بكلمة احتجاج واحدة تجاه أمريكا وإسرائيل وكل منهما تسرح وتمرح فى العالم كيفما تشاء.. ويعطى لها الحق فى كل شىء تفعله».

وعالميًا أبدى العديد من منظمات حقوق الإنسان، ومنظمة العفو الدولية.. انتقادات للمحكمة والمحاكمة .. ونأت الأمم المتحدة بنفسها عن المهزلة القائمة فى العراق.. وشهد العديد من الدول مظاهرات تطالب بإطلاق سراح الرئيس الأسير.. وتقديم بوش وبلير للمحاكمة.

وانتقدت أطراف عربية ودولية أسلوب المحاكمة.. تلبية لسعى الاحتلال للحيلولة دون

نقلها إلى محكمة العدل الدولية فى لاهاى.. واعتبرت جهات قانونية عديدة المحكمة غير شرعية أساسًا، لأنها تشكلت بقرار من مجلس الحكم العراقى الذى كان تحت هيمنة سلطة الائتلاف الموحدة وحاكمها بول بريمر.. وكان العراق فى تلك الفترة الزمنية دولة محتلة حسب تعريف الامم المتحدة للحالة فى العراق، وقد صدر قانون تشكيل المحكمة حسب بند فى قانون إدارة الدولة للفترة الانتقالية الذى كان مجرد مسودة دستور ولم يكن دستورًا دائمًا.

ومن الانتقادات أيضًا تلك الفوضى التى تسود اجواء المحاكمة، حيث يبدو المتهمون فى بعض الأحيان مسيطرين على أجواء المحكمة والقضاة يبدون كمتهمين، ويرجع ذلك إلى هيكلية المحكمة الجنائية المختصة والتى هى هجين او خليط من القوانين العراقية والعالمية.. ولا تتوافر خبرة أو ممارسة كافية للقضاة فى مثل هذا الهجين القضائى.. إلى جانب السيطرة على البث التليفزيونى للمحاكمة حيث تشرف عليه شركة أمريكية، ولا يتم النقل حيًا على الهواء .. وعادة ما يتم قطع فقرات من دفاع المتهمين الأمر الذى لم يحدث أبدًا أثناء افادة الشهود.. الذين هم أصحاب الشكوى.

ولعل أهم ما طرح فى هذا الصدد.. هو ما كتبه أستاذ القانون الدولى العام والعلاقات الدولية فى جامعة مدريد «أوجوستو ثامورا» تحت عنوان: «صدام حسين.. محاكمة سياسية لا قانونية» ونشرته صحيفة «الموندو» الاسبانية.. وقدم لها بأن من يصفون بدء محاكمة الرئيس السابق للعراق صدام حسين بأنها تاريخية، يرون حتمية القضاء على الحصانة.. وعدم الممانعة فى مثول الرئيس العراقى وأمثاله أمام المحاكم.. ولا يوجد ما يمكن الاعتراض عليه فى ذلك.. ولكن الذى لا يقل أهمية عنه.. أن يتمتع تطبيق العدل بالاحترام الكامل والتام للقوانين، وإلاجراءات القانونية الوطنية والدولية، التى يعد الامتثال لها أمرًا اساسيا للتطبيق الصحيح للعدل.

وأستطيع أن أجزم بأن المحاكمة التى يواجهها الرئيس السابق، تعانى من الوجهة القانونية الدولية، من نقائص خطيرة تجرد المحكمة المعينة لمحاكمته من الشرعية.. وتعد كبرى هذه النقائص، وان لم تكن الوحيدة، الطريقة التى تم بها إسقاط صدام حسين، وإلقاء القبض عليه، نظرا لان ذلك قد تم من خلال ارتكاب كبرى الجرائم ضد سلام وأمن الإنسانية.. حيث تم من خلال حرب عدائية تنتهك أكثر قواعد النظام القانونى العالمى قدسية.

ولإدراك الخطورة القضائية لهذه الجريمة بشكل أفضل ينبغى التذكير بأن لائحة

المحكمة الجنائية الدولية تؤكد فى مقدمتها التزام الدول بعدم اللجوء الى التهديد أو استخدام القوة ضد وحدة أراضى دولة أخرى أو استقلالها السياسى.

كما يدرج البند الخامس فى اللائحة جريمة العدوان داخل اختصاص المحكمة الجنائية الدولية. وعليه فلا يمكن قبول ان يتم القبض على اشخاص متهمين بارتكاب جرائم يعاقب عليها القانون الدولى من خلال ارتكاب جرائم اكبر.

ان قبول مثل هذه الإمكانية يعد قبولا لإمكانية قيام حكومة بقتل شعوب بأسرها، من أجل القبض على متهم .. وقد يفتح هذا التجاوز الباب لارتكاب جرائم أكثر فظاعة، تماما مثل ما يجرى فى العراق منذ بداية العدوان والاحتلال.

ثم يضيف.. وننتقل إلى قضية أخرى.. وهى شرعية السلطات التى شكلت المحكمة، وبالتالى شرعية وأهلية تلك المحكمة.. ويشير البند ١٤ فى الميثاق الدولى للحقوق المدنية والسياسية إلى أنه من حق كل شخص ان يتم الاستماع له بشكل علنى فى ظل توافر الضمانات اللازمة من قبل محكمة كفء ومستقلة ونزيهة.

إن العراق بلد محتل من قبل أكثر من ٢٠٠ ألف جندى، ومرتزقة أجانب.. ويعتمد بقاء الحكومة الحالية على قوات الاحتلال.. ومن ثم فالعراق اليوم يفتقد لمؤسسات مستقلة، ودستور ونظام قانونى معترف به. وعليه فليس هناك نظام قضائى موثوق به.. يمكن أن يمنح الضمانات لمحاكمة نزيهة.

إن المحكمة تكاد تكون سرية، ولا يمكن أن يعتقد أحد، سوى الولايات المتحدة وحلفائها، أنها مستقلة، إنها محاكاة محكمة، أو محكمة سياسية تم تشكيلها لمنح الشرعية لانتقام أعداء داخليين وخارجيين من النظام البعثى.

ويستطرد «أوجوستو ثامورا» أستاذ القانون الدولى العام والعلاقات الدولية فى جامعة مدريد .. فيقول: وننتقل إلى نقطة ثالثة.. وهى الاتهامات التى سوف تتم محاكمة الرئيس السابق للعراق عليها .. واضعين فى الاعتبار أن لعمليات القمع الداخلى، خاصة فى حالة الثورات، أو الحركات الانفصالية المتمردة، قائمة طويلة تضم عشرات الدول، والنظم ، التى مارست ذلك القمع. ففى جواتيمالا عانى المواطنون من قمع وحشى خلّف ٢٠٠ ألف قتيل.. واغلقت قوانين العفو ذلك الفصل دون محاكمة أحد. ونجد أمثلة

مشابهة فى الأرجنتين، أو أورجواى، أو شيلى.

وفى العقد الأخير، كانت أفريقيا مسرحا لأكثر الحروب دموية فى العقود الاخيرة.. والتى خلفت ملايين الضحايا.. ولم تتم ملاحقة أو محاكمة أحد.. وباستثناء الإبادة الجماعية فى رواندا، وفى يوغسلافيا القديمة والتى تم إنشاء محاكم دولية خاصة من أجلها، ولم تحظ باقى الجرائم باعتبار أو اهتمام او قلق أحد.

وتحملنا هذه الحقيقة المؤلمة لاعتبار أن محاكمة صدام مجرد انتقام .. فنحن بصدد تطبيق انتقائى للعدالة، حيث إن ما تتم محاكمته فى الحقيقة ليس الجرائم وإنما التحدى الذى واجه به صدام الولايات المتحدة.

سوف يكون من الممتع ، والمثير للسخرية، رؤية قائمة الاتهامات الموجهة لصدام حسين، سيبدو الأمر كعرض تهكمى اذا اتهموه على سبيل المثال باستخدام الغازات السامة او ماشابه.. والمحرمة فى القانون الدولى الانسانى منذ عام ١٩٢٥، فقد ألقت الولايات المتحدة على فيتنام ٨٠ الف طن من الكيماويات، ومن بينها مبيد الديوكسين، والتى خلفت مئات الآلاف من الضحايا المدنيين بين أبناء الشعب الفيتنامى، وكانت سببا فى حدوث تشوهات مازالت تؤثر على ذلك الشعب حتى الآن.

ولا يخطط أحد لملاحقة أو محاكمة الحكام الامريكيين المسئولين عن هذا التوحش .والأدهى من ذلك.. أن الغرب هو مصدر السلاح بالنسبة لدولة مثل العراق، وغيرها من الدول التى تستورد سلاحها من الغرب.. الامر الذى يطرح دائما قضية الاشتراك فى المسئولية والتواطؤ.

ومن المثير للدهشة.. أن خصوم الرئيس العراقى صدام حسين يتهمونه بقتل ١٥ ألف شخص.. منذ حكم البعث عام ١٩٦٨ .. فهل يقوم أعداؤه باحصاء مئات الألوف من القتلى منذ بداية الحرب العدائية على العراق.. وإحصاء عشرات ومئات المدن والقرى التى تمت تسويتها بالأرض.. ومن الذى سوف يحاكم على تلك الجرائم؟

لقد تم اقتياد صدام حسين امام محكمة زائفة من أجل إرضاء سياسة استعمارية، وليس من أجل دعم القانون والعدل، كما حدث مع الرئيس البنمى «مانويل انطونيو نورييجا» فى التسعيينات.

ويختتم أستاذ القانون الدولى العام مقاله.. قائلاً: إذا كنا بصدد ملاحقة متهمين فان هناك اخرين، اقوياء واعلام، يقتلون باسم الله.. والحكومات الغربية تصمت، أو تقول آمين.

إن ما يجرى فى بغداد ليس محاكمة لنصرة العدل بل على النقيض، كان اجدر بحكومة الولايات المتحدة، المحركة لهذه المحاكمة، ان تعطى مثالا افضل وتحترم لائحة المحكمة الجنائية الدولية.. وتوافق على تشكيل محكمة دولية من أجل صدام حسين.. ثم.. لقد كان ينبغى طلب تشكيل محكمة أخرى لمحاكمة المسئولين عن الحرب العدوانية ضد العراق.

لقد نشرت صحيفة «الموندو» مقال الفقيه القانونى، واستاذ القانون الدولى العام والعلاقات الدولية فى جامعة مدريد «أوجوستو ثامورا» الذى ربما نعتقد أن بحثه القانونى .. وبحوث زملائه المشابهة.. التى تجاوبت أصداؤها فى أنحاء العالم.. مؤكدة عدم شرعية المحكمة والمحاكمة.. وأن المحكمة الحقيقية هى التى سوف تعقد لمحاكمة أمريكا وعملائها.. جراء العدوان الوحشى على العراق وشعبه.. ربما أعتقد ان المهزلة لن تستمر حتى نهايتها.. وتقوم محكمة الاحتلال الأمريكى بإصدار حكمها بالإعدام لرئيس العراق.. وان ينفذ الحكم بعد ١٤شهرا من نشر بحثه «٢٣ اكتوبر ٢٠٠٥» وليعرف العالم من هو المجرم الحقيقى.. الذى يختزن فى قلبه أحقاد الدنيا، وشرور العالم، وآثام البشر.

صدام وأسلمة «البعث»

«ليست صدفة أبداً أن يجد المتابع تحول الخطاب السياسي للرئيس صدام .. من خطاب قومي صرف، علماني محض، إلى خطاب إيماني يقيد العروبة بالإسلام».

قام فريق «مفكرة الإسلام» العامل فى العراق بمحاولة رصد مجموعة من الحقائق والتغيرات والتحسينات ـ بأمانة شرعية ـ عن حياة صدام حسين .. قالوا بعدها: نستطيع أن نقول ونحن فى غاية الاطمئنان: هذه شهادتنا، والله على ما نقول شهيد..ثم أضافوا:

وما سنذكره من حقائق لا يستطيع أى عراقى داخل العراق يتمتع بالانصاف والاطلاع أن ينفيها أو ينفى واحدا منها، اللهم إلا أن يقول عن بعضها: لا علم لى بها!

وما كان هذا البحث وليد يوم واحد ولا نتيجة جهد شخصى، فإن مما لا شك فيه أن من يجمع بنفسه، ويترصد ويستقصى بنفسه ومن غيره، ويدقق فى الوقائع والأحداث يختلف بحثه كثيرا عمن يتلقى من جهة واحدة كما يختلف عمن يتعامل مع هذه الأمور كبحث تفصيلى، ودراسة مسئولة.. يؤديها كشهادة يخشى سؤال الله له يوم القيامة، كما يخشى من تعلق أناس به، ربما تحمل وزر إضلالهم فيهلك من حيث لم يدر، ولم يكسب، ولم يحتسب..!

ولذلك فإنا لا نشك أبدا أن الناظر فى هذا الكتاب من العراقيين المستوطنين خارج بلادهم والمدمنين على لعن صدام وذمه – من الإسلاميين – سيكون له هذا البحث كالصدمة التى تفيقهم من وهم عميق عاشوه طويلا من غير أن يشعروا، ورددوه كثيرًا من غير أن يتبينوا، حين صدقوا كل وارد ذم – عن صدام – وقد كان الكثير منه – ولا نقول كله – وارد شيطان بل إنا لنعتقد جازمين بأن كل واحد من أهل

السنة والجماعة إذا قرأ هذا البحث، ورأى ما فيه، سوف يزيد على مجموع الايجابيات المجموعة هنا الكثير الكثير، إنها شهادة، فما عاد أمر صدام حكرًا على أحد أو وقفًا على أهل أو بلد، والشهادة لا يؤخذ عليها جُعلاً ولا خرجًا (فخراج ربك خير وهو خير الرازقين).

ومن باب الشهادة جاءت هذه الأعمال التى حدثت بأمر من صدام حسين نفسه فى العقد الأخير من حياته، فلم تكن خطابات جماهيرية، ولا أحاديث تحدث بها ليخادع مجموعة من المشايخ، ولم تستمر ليوم أو لشهر أو سنة، ثم رفعت.. بل هى قرارات طبقت على أرض الواقع، ولمدة تزيد على عقد من الزمان تقريبًا، ولم يتوقف العمل بها إلا بخلعه من ملكه.

نحن ننقلها كما هى فى الواقع، تاركين لطالب الحق، مستبقين أو معقبين على كل نقطة منها بتعقيب للإثبات والمقارنة.

١- خلال السنوات العشر الأخيرة من حكمه أصبحت حصة التربية الإسلامية فى المدارس العراقية إلزامية فى الاختبارات والدرجات، حيث يدرس الطالب فيها مادة متنوعة من قرآن وتفسير وتربية إسلامية فيأخذ طالب الابتدائى خلال الست سنوات حصة كل يوم وإذا ارتقى إلى المرحلة الاعدادية فيأخذ ثلاث حصص كل أسبوع، ومثلها أيضًا فى المرحلة الثانوية، وقد كانت قديمًا حصص الدين شبه معدومة، ولكن بدأت فى الارتقاء حتى وصلت لهذه المرحلة، وحسب معلوماتنا فقد كانت هناك نية أكيدة لدى حكومة صدام حسين لكى ترفع هذا المعدل لأكثر من المقرر على المراحل التعليمية وقد تقرر إضافة حصة القرآن الكريم على طلاب الكليات الجامعية بمختلف التخصصات، وأبلغ الطلاب بهذا ولم يتمكن من العمل به فى وقتها، ولكن ذهاب صدام وزوال حكمه أفسد هذا الأمل لدى كل عراقى.

- وعندما نقارن هذه المناهج بالمناهج المدرسية فى المدارس الحكومية للدول العربية فسوف نجد أن هذا العدد يساوى بالضبط العدد فى مصر ويتفوق على التعليم فى الكويت والامارات والبحرين وعمان والأردن وغيرها، ففى الكويت مثلاً يدرس الطالب خلال الأربع سنوات الأولى من الابتدائى وكذلك أول سنتين من المرحلة

المتوسطة أربع حصص دين (حصتين قرآن وحصتين تربية إسلامية)، وفى السنتين الأخيرتين من المتوسطة والسنتين الأوليين من المرحلة الثانوية يدرس الطالب ثلاث حصص (حصة قرآن وحصتين للتربية)، وفى السنتين الأخيرتين من المرحلة الثانوية يدرس الطالب حصتين فقط (قرآن وتربية إسلامية) . وفى الامارات يدرس الطالب من الصف الأول الابتدائى إلى الصف الثالث خمس حصص أسبوعيًا، ومن الصف الرابع الابتدائى حتى نهاية المرحلة المتوسطة يدرس الطالب أربع حصص دينية، وفى المرحلة الثانوية يدرس الطالب ثلاث حصص، وفى البحرين ليس لحصص الدين من مجموع عدد الحصص سوى حصتين أسبوعيًا فى المرحلة الابتدائية والمتوسطة بينما فى المرحلة الثانوية تكاد الحصص تنعدم حيث يأخذها الطالب فصلاً ويتركها فصلاً حتى تخرج فى هذه المرحلة، مع العلم أن كل هذه الحصص حسب معلوماتنا ستخفض فى جميع هذه الدول وغيرها من الدول العربية بناء على الطلب المقدم من أمريكا، حيث كانت أمريكا بعد أحداث سبتمبر قد أيقنت فى نفسها أن سبب تطرف المسلمين (المزعوم) هو المناهج المدرسية، فبدأت بالضغط على الحكومات الإسلامية لكى تقوم بمثل هذا التغيير، فوافقت جميع الدول صراحةً أو ضمنًا على مثل هذا الطلب، فحذفت الآيات التى تدرس فى مادة التفسير ولها علاقة باليهود، ومثلها الحروب الصليبية التى تم حذفها من مناهج التاريخ، وألغيت حقيقة كليات شرعية بحيث أضيف لها الذى يُذهب حقيقتها كادخال كليات الطب والهندسة والرياضيات وغيرها على الكليات الشرعية، ولكن يجب أن نعترف أن العراق كان على خلاف هذا التوجه بالكامل فهو كان منطلقًا على خلاف التوجهات الأمريكية ولهذا كان الخوف لدى أمريكا أن ينشأ جيل جديد يشعر بانتمائه وهويته، ويزداد خوفها عندما تعلم أن هذا الجيل سيظهر فى بلد له تاريخه العظيم فى حكم العالم وتسييره.. إنها أرض الخلافة الإسلامية.

٢- أصدر صدام حسين قرارًا بإسقاط الضريبة عن أى تاجر يبنى مسجدًا، بل إن التحفيز ظاهر فى بناء أكبر عدد من المساجد وأكبر مساحة للمسجد الواحد، حيث إن مقدار سقوط الضريبة عن أموال التاجر بمقدار تكلفة بناء المسجد أو عدد من

المساجد، ونحن نتساءل: هل يعقل أن هناك رجلاً يحارب الإسلام من جذوره ويسعى لخلعه ثم يسعى لتحفيز الناس لبناء مأوى الدعوة الحقيقى الذى تنطلق منه حقيقة الإسلام؟!

- وعلى خلاف هذا فقد شاهدنا دولة مسلمة قامت بأمر قد وقف الناس أمامه مذهولين... فهو ليس هدية لمن بنى مسجدًا، أو تكريمًا لمن عَمَر مساجد الله أو عمَّرها، وليس عقابًا لمن هجرها أو تعدى عليها، ولكن الحقيقة المُرة أن هذا البلد أغلق ستين مسجدًا فى عاصمته بدعوى أنها تخرج المتطرفين والإرهابيين، فأين هذا من ذاك؟!

٣- قام ببناء الكثير من المعاهد الإسلامية والكليات الشرعية للسُّنة، ومن هذه المعاهد نذكر منها: المعهد العالى للإمامة والخطابة بفروعه المتعددة، وجامعة صدام للعلوم الإسلامية، وكلية المعارف وهى كلية أهلية تدرس العلوم الشرعية فى الرمادى، والمشرف عليها هو الدكتور عبدالرزاق السعدى، بالإضافة إلى كلية العلوم الإسلامية بفرعيها: أصول الدين والشريعة، وغيرها كثير، ونحن تعلمنا من التاريخ قديمًا وحديثًا أن الظالم يسعى لحجب نور العلم والمعرفة عن الأتباع، لأن حقيقة المعرفة المستقبلية تؤدى فى الغالب إلى تربية النفوس على البذل والتضحية فى سبيل أى هدف نبيل، وهذا ما يخشاه كل ظالم، فلماذا يسعى مثل صدام إلى نشر مراكز العلوم هذه، وهى ليست ككل العلوم بل هى علوم شرعية تؤدى فى واقعها إلى مراقبة العمل ومحاسبة المسئول وهذا أخشى ما يخشاه كل إنسان مستبد؟

- ولو تتبعنا كثيرًا من البلدان لوجدناها تسير على غير نهج صدام، فالجامعات الشرعية محاربة حربًا شعواء، فهى المطلب الأمريكى القادم، ولهذا حاول الكثير من الحكومات إلغاء حقيقة هذه الجامعات مع بقاء اسمها، فأدخلت فيها أقسامًا ليست بشرعية كالطب والهندسة والرياضيات ونحوها، وقللت التوجهات الشرعية للجامعة مثل تخفيض المناهج أو إلغاء أقسام كانت موجودة من خلال ما يسمى بالتطوير التعليمى، بخلاف الكليات غير الشرعية فهذه لا يمكن أن يضاف لها أى قسم شرعى بأى حال من الأحوال.

٤- طبق نظام صدام فى قضية المرأة العراقية الحكم الشرعى فى مسألة السفر، فلم يجعل لها الحرية فى السفر بدون محرم لما يترتب على ذلك من مفاسد عظيمة، وهذا نص الحديث النبوى: «لا يحل لإمرأة أن تسافر ثلاثة أيام بلا محرم» وهذا من ضمن ما شنع به العلمانيون على صدام فى مجال حريات المرأة، وليس صدام وحده من يطبق هذا الحكم الشرعى بل سبقته إليه السعودية منذ نشأتها، وكذلك مازال هذا الحكم الشرعى مطبقًا إلى ساعة إصدار هذا التقرير فى دولتى الكويت واليمن فقط حسب علمنا، ونظن أن هذا ليس مما يذم به بل مما يمدح عليه، لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم، ولكنه شدد كثيرًا فى مسألة المتزوجة حيث يشترط أن يسافر معها زوجها، ونحن نتساءل: أين ذلك الخطيب الذى كنا نسمعه بعد أزمة الخليج الثانية وهو يقول: إن صدام قد سعى لنشر الزنى ومحلات الدعارة بين الشعب العراقى؟! وكأن الشعب العراقى شعب عهر وفجر ولكنها العجلة والتسرع فى إطلاق الأحكام وإصغاء الآذان لما يقال فى كثير من المصادر الإعلامية.

٥- ظهر حزب البعث فى عالمنا الإسلامى كغيره من الأحزاب القومية والعلمانية، ولكن عندما نتتبع عجلة حزب البعث نجد أنه على خلاف باقى الأحزاب العلمانية أو من تلتحف بلباس العروبة، فحزب البعث عند مراقبة تنظيماته ومناهجه نجد أنه فى حالة تقدم بل وتغيرت جلدته كثيرًا، ولا نقول إن هذا التغير هو تغير تنظيمى، لا علاقة له بشرع الله، بل شكلت لجنة بعد أزمة الخليج بإعادة صياغة المناهج التى تشكل العقلية الدينية لحزب البعث، وفعلاً خرجت تلك اللجنة بتوصيات مهمة وعرضت على المسئولين من أجل النظر فيها، وكم كان العجب كبيرًا فقد كتبت التوصيات كإبراء لذمة كاتبيها أمام الله وهم كانوا على يقين أنها سترفض، ولكن تمت الموافقة على أمور مهمة جدا، فقد عُمّم منهج شرعى علمى على جميع الحِلَق الحزبية مهما علت، وتم إنشاء معهد مدته سنتان، يتم فيه تدريس العلوم الشرعية لكوادر الحزب، وصدرت أوامر تحذيرية بمعاقبة المتخلفين عن حضور مثل هذه الدروس وغيرها فى المعهد، والذى وضع المنهج أحد الشيوخ الذين نثق فى دينه وعلمه، ومن الأمثلة على ما هو مقرر على الطبقة العليا من مستوى (عضو فرقة)

حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، وتم اختيار كتاب «فقه السُنة» للسيد سابق و«منهاج المسلم» لأبى بكر الجزائرى، ومازلنا نذكر كلمة حق من الشيخ عائض القرنى قالها فى لقاء إذاعى مع إذاعة إم بى سى أثناء ضرب العراق فى حربه الأخيرة حيث قال: إن حزب البعث قد تغير كثير من المفاهيم لديه.

٦- قام صدام بإلزام أعضاء حزب البعث ببرنامج عملى فضلاً عن البرنامج النظرى الذى ذكرناه فى النقطة السابقة، حيث أمرهم بأداء الفروض الخمسة جماعة فى المسجد والصلاة الأسبوعية «الجمعة» وشدد على أن هذه الصلاة يجب أن تصلى فى المسجد، ولا نعلم إن كانت هناك عقوبة لمن ثبت تركه الدائم لتلك الصلاة فى المسجد، ولكن مجرد الأمر لهذه الأشياء يعتبر حدثًا مهمًا.

٧- بعد انتهاء حرب الخليج الثانية وقعت العراق تحت حصار ظالم قلّ أن نجد فى التاريخ مثله، وتهاوى اقتصاد البلاد حتى أصبح من يجد كل شهر ثلاثين دولارًا فإنه قد أوتى خيرًا عظيمًا، وأصبح الناس يتزاحمون على كل مكان يتوقعون وجود طعام فيه حتى اضطر بعض أبناء أرض الخلافة الإسلامية للتزاحم على براميل القمامة، والله المستعان، وصارت الأم تشاهد ابنها يموت جوعًا أمامها، وكم شاهدنا من صور المأساة الشيء الكثير، أطفال على شكل هياكل عظمية قد بدت عظامهم الزكية واضحة المعالم يكسوها جلد قد أحرقه الجوع وانعدام الطعام، واضطرت المرأة المسلمة الحرة أن تبيع عرضها حتى تطعم جوع صغيرها المتهالك وهى تحتسب عند الله أن يجازى من كان من المسلمين سببًا فى ذلك، إلا أن الوضع تطور كثيرًا، وصارت مثل هذه الأعمال فرصة لكثير ممن مات قلبها وقل حياؤها، فانتشر الزنى فى بعض الفئات والمجتمعات وظهرت ظاهرة ما يسمى بنات الهوى أو الدعارة الفردية التى أصبحت فى ذلك الوقت لافتة للنظر، وأوصلت هذه الظاهرة إلى صدام فى إحدى جلساته، فتغير وجهه ثم أخذ يرعد ويزيد، ورأى أنه يجب قتلهم، ولكنه توقف فى آخر لحظة، وشكل مجموعة صغيرة من أحد المسئولين الكبار وثلاثة من الضباط وطلب منهم التباحث مع أحد العلماء المصلحين فى العراق فى شأن قتلهن، وبينما كان ذلك العالم فى بيته بعد صلاة الفجر إذا هو يطرق على الباب، فلما سأل عمن

بالخارج أجابه أحدهم بأننا من جهة سيادة الرئيس صدام، وكان الشيخ كعادته مهيبًا وقورًا فلم يثره ذلك، وفتح الباب وأدخلهم وأبلغوه ابتداء بسلام الرئيس له ثم طلبوا منه أن يبحث لهم فى الشريعة عن إمكانية قتل مثل هؤلاء الداعرات، وشرحوا له بأدب كيف أن الشر بدأ يعم ويزيد، وأن بعض الفاجرات بدأن يغرين غيرهن بمثل هذا الفعل الشائن، وأفتى لهم ذلك الشيخ الصالح (نحسبه كذلك ولا نزكى على الله أحدًا) بجواز هذا الفعل لحين انكفاف هؤلاء المفسدات عن مثل هذه الجريمة الكبرى، وانطلقت هذه اللجنة إلى صدام وكأنها تبث إليه هذه البشرى، ولم يمض يومان حتى بدأت عمليات تطهير المجتمع من مثل هؤلاء الساقطات، وتم قتل أكثر من ثمان وأربعين عاهرة مفسدة، وحتى يتم الزجر لغيرهن فقد كانت جثثهن توضع فى إناءٍ بلاستيكى كبير، ثم توضع فى أوانٍ أمام بيوتهن حتى يراهن الناس، وتنزجر كل مفسدة عن مثل هذا العمل، ويا سبحان الله فقد كانت النتيجة عجيبة جدًا.. انكفاف شبه تام فى أرجاء البلاد عن مثل هذا العمل الشائن، وحديث متواصل لعدة أشهر عن الجثث اللاتى رآهن الناس ملقاة لهؤلاء الداعرات.. واليوم عادت بائعات الهوى على أوسع نطاق فى أماكنهن المعروفة، حى الطرب، وشارع بشار فى البصرة وغيرها من الأماكن.

٨- الدكتور عبداللطيف هميم رجل ذكى وفطن، وقد ناصح الدكتور عبداللطيف صدام بضرورة فتح بنك إسلامى، وكانت الاستجابة سريعة جدا، فلم تستغرق سنوات أو عقودًا وإنما عدة أشهر بسيطة وإذا البنك قائم بنظامه وأفراده وماله.

- فإنشاء البنك هنا عن قناعة تامة وليس اضطرارًا مثلما يحصل فى كثير من البلدان، والتى لما شاهدت بنوكها الربوية تتكبد الخسائر العظيمة نتيجة إعراض الناس عنها متجهة للبنوك الإسلامية قامت بإنشاء فروع إسلامية لتلك البنوك الربوية رغبة فى جلب الأموال وسد المنافع عن غيرها من البنوك الإسلامية.

٩- ناصح الدكتور عبداللطيف هميم صدام بضرورة الاهتمام بالسُّنة وأحاديث النبى صلى الله عليه وسلم خاصة بعدما نشر الرافضة شبههم حول أحاديث السُّنة،

وطالبه بضرورة إنشا ء موقع يعتنى بمثل هذا العمل، وفوجئ الدكتور بموافقة الرئيس على ما هو أكبر من هذا بكثير بحيث لم يخطر على باله، فقد أمر بإنشاء مركز لجمع السنة النبوية كلها وقد سمى بـ«مركز الإمام البخارى» ولم يسمه مركز صدام حسين، حيث تولى مسئوليته الفعلية الدكتور ماهر فاضل، وقد كان عدد العاملين فيه كبيرًا جدًا على نفقة الرئيس، وقد وُفرت لهذا المركز مصادر السُّنة كلها.

١٠- اشتهرت العراق بتعدد أماكن اللهو فيها منذ الستينيات، وخاصة فى المدن الجنوبية، وقد حصل فى مجلس صدام حسين حديث عما يحصل فى هذه الأماكن من جرائم خلقية حتى أصبحت مرتعًا للفساد والإفساد، فقام بتحويل ما اشتهر منها بالانحرافات إلى أماكن مساجد ودور عبادة، وفى هذا إشارة واضحة إلى توجه الرئيس، ونضرب على ذلك مثلاً بما حصل فى منتزه لبنان فى مدينة البصرة الذى جاءه وقت وهو يعد مرتعًا لبيع الأعراض وعقد الصفقات المشبوهة، وقد تم تحويل هذا المنتزه إلى مسجد يصلى فيه الناس الجمع والجماعات، وقد سمى مسجد صدام الكبير، وهو الآن أكبر مساجد البصرة فعلاً.

١١- أصدر قراراً بمنع إنشاء أى خمارة جديدة فى البلاد، وأمر بإغلاق الخمارات التى كانت مازالت تعمل، ومن يجرؤ على خلاف أمره!! وتجاوز هذا فأمر بتحويل خمارة كبيرة فى الرمادى إلى جامع أسموه بجامع الحق، لقد أمر صدام بإزالة هذا المنكر مع العلم أن الخمور والملاهى تعد المصدر الثالث من الدخل القومى لدولة العراق.

١٢- فتح صدام باب مشاركة المرأة فى جيش القدس ولكنه اشترط لها شرطين: أن يكون اللبس ساترًا، وأن تضع الحجاب الشرعى على رأسها، وفعلاً حصلت استجابة كبيرة بين هؤلاء النسوة.

١٣- فتح باب البرامج الدينية فى القنوات والإذاعات العراقية، ومن ذلك نقل صلاة الجمعة، وتعاد الساعة الثامنة مساء، وتوجد برامج دينية تربوية ووعظية يومية فى فترة الصباح وما بعد الظهر، خاصة بالحملة الإيمانية، وذلك فى محطة بغداد التى كان يستمع الناس فيها لمثل هذه البرامج بكثرة، وهذه يسمونها بالفترة

الذهبية التى يستمع الناس فيها لمثل هذه البرامج بكثرة.

١٤- إجازة الشيخ للطالب وثيقة مهمة عند أهل العلم، وكانت وسام شرف يضعه كل طالب علم على رأسه تزيد من قدره أمام الناس، وتعطى الناس ثقة بما عنده، ومع خروج المدارس النظامية ذهبت أهمية هذه الوثائق العلمية، وصارت الشهادة التى ينالها البليد اعظم لدى الناس من اجازة ينالها شيخ بارع، وهكذا ماتت أهمية مثل هذه، ولكن كان لصدام رأى آخر، فقد جعل إجازة الشيخ فى العلوم الشرعية تعدل هناك شهادة بكالوريوس فى الشريعة، فيستطيع الطالب المجاز بعد الحصول عليها التقدم إلى الدراسات العليا، وهكذا أحيا العلم الشرعى بطريقته القديمة النافعة التى خرَّجت العلماء الأجلاء.

١٥- بعد البدء بحملة الإيمان فى العراق اقيمت على مستوى رقعة تلك الدولة الدورات القرآنية فى العطلة الصيفية والتى يحضرها عشرات الآلاف فى المحافظة الواحدة، وهذا بتكليف من الأوقاف، وكانت تستمر هذه الدورات حتى بعد انتهاء فترة الصيف لمن يرغب فى ذلك.

١٦- فى عام ١٩٩٤ - ١٩٩٥ صدر قرار بإقامة حد السرقة على من قام بأى نوع من أنواع السرقة!

١٧- شدد فى عقوبة اللواط، وطالب بمحاسبة من يفعل ذلك حتى ولو كان من أعوانه، فقد أمر بإلقاء ثلاثة من فدائيى صدام (وهم نخبته وخاصة جنده) من أعلى مبنى فى البصرة كتعزير لهم على جريمة اللواط.

١٨- أمر الرئيس ببناء مسجد فى كل محافظة فى كل عام كهدية منه لكل محافظة فى عيد ميلاده - كما يسمى - وكان يستطيع أن يجعل الهدية عبارة عن مسرح أو ملهى أو ملعب أو نحو ذلك، ولكنه جعل الهدية هى العلامة الظاهرة لبلاد المسلمين وهو المسجد وهو المركز الشرعى للمدينة المسلمة.

١٩- صدر قرار بحفظ حق الكويتيين والسعوديين وغيرهم ممن يملكون بيوتًا أو عقارات مستأجرة فى العراق، وبما أن المالك غير موجود ولا وكيل عنه هناك فإن الدولة العراقية تتكفل بحفظ أملاكهم وادخار إيجار بيوتهم إلى أن يرجعوا.

٢٠- صدر قرار بعقوبة من سب الله تعالى أو النبى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة، ومن يعرف كيف كان سب الله فى العراق شائعًا من قبل، خصوصًا عند الغضب لأتفه الأسباب فإنه يستطيع أن يقدر قيمة هذا القرار، والذى بسببه أساسًا وبسبب الصحوة لم يعد العراقيون يستمعون إلى ذلك الأمر العظيم، كما لم يعد بمقدار أحد أن يتجرأ ولو بصورة كايكاتيرية على انتقاص الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعد يقدر أحد على لعن الصحابة.

٢١- مصادرة أملاك كل من يدعى كذبًا نسبه للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك للحد من الابتزاز الذى تقوم به طائفة معينة لأتباعها، وأعطى الجميع فترة ستة أشهر لإثبات ذلك، ومصادرة الأموال هنا مناسبة لابتزاز ذلك الكاذب بهذا النسب والسبب.

٢٢- فى إطار محاربته للصهاينة ككيان مزروع فى بلاد المسلمين أصدر صدام قرارًا يلزم كل شركة تتعامل مع العراق بأن توقع على شرط يمنعها من التعامل مع الكيان العبرى، ورغم حاجة العراق للتعاقد مع شركات كبرى من أجل أن يمارس ضغوطا على واشنطن من خلالها حتى يخف عنه الحصار الاقتصادى إلا أنه ألزمها بما لا تستطيعه وهو مقاطعة إسرائيل، وكل ذلك فى إطار سعيه لمحاربة الصهيونية.

٢٣- أمر بتشكيل لجنة لمنع الربا من البنوك وطلب من اللجنة بيان كيفية تحول البنوك الموجودة من النظام الربوى إلى النظام الإسلامى.

٢٤- وآخر القرارات كان بتاريخ ٢٧ من ذى الحجة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٨ والذى نص على أن كل عضو فى حزب البعث يلعب القمار يطرد من الحزب، أيا كانت رتبته ويسجن ثلاث سنوات.

٢٥- منح صدام للناس الحق فى بناء المساجد، فلم يعد هناك تضييق على مثل هذا العمل، بل إنك تعجب عندما تتوجه إلى العراق تريد بناء مسجد فإن الوضع سيكون أمامك أسهل من أى بلد آخر، فيكفى أن تختار أى مكان لبناء المسجد حتى تحصل على الموافقة مباشرة بشرط خلو هذه الأرض من الحق الخاص، أما الإجراءات فهى أسرع من إجراءات مثيلاتها من البلدان العربية.

٢٦- أمر الرئيس الراحل ببناء أكبر جامع فى العالم الإسلامى على أرض مطار

المثنى فى بغداد.. تلحق به جامعة إسلامية.. ومكتبة ضخمة.. وفندق لاستقبال الوفود العربية والإسلامية.. وقد أوقف الاحتلال اتمام المشروع.

٢٧- تم في عهده اغلاق نادى سباق الخيل فى حى المنصور فى بغداد.. وبناء جامع كبير على الأرض المخصصة له.

٢٨- صدر قرار لا نظن أن أى بلد قد طبقه وهو أن أى شخص يريد أن يبنى مسجداً فإن الدولة تعطيه جميع مواد البناء بنصف سعر السوق، ويتسلم من يريد البناء هذه المواد بعد أيام قلائل فقط، وعليك أن تتصور أخى القارئ عدد المساجد التى بنيت حديثا أو التى كانت ستبنى كم كانت تكلف الدولة، ثم تجد بعد هذا كله من يقول إن صدام أغلق المساجد وحارب المصلين واعتقلهم.

٢٩- اهتم صدام بالعلماء والمهندسين وغيرهم اهتماماً كبيرًا فقل أن تشاهده إلا وحوله عدد منهم حتى فى اجتماعات وزرائه، فهذا عالم فى الفيزياء النووية، وذلك عالم فى التصنيع، وهكذا من شاهدهم عرف أنه يعدهم كجواهر ترصع تاج حكمه، وهناك كلمة مشهووة له قالها لأحد كبراء الخليج قبل ضرب العراق حيث قال: «لو هدمت أمريكا العراق فعندى من يبنيه.. عندى أكثر من سبعين ألف عالم..»! فهؤلاء هم محيطه ومجتمعه وحق له أن يفتخر ويتباهى بهم، فهم كنز المسلمين الذى يجب أن يحافظ عليه.

وهنا بودنا أن نؤكد أمرًا هامًا، ذلك أن عموم هذه التغييرات جاء من مناصحين له من أهل العراق أو من غيرهم.. فالذى ناصحه فى فتح المعاهد كان الشيخ عبدالكريم المدرس حيث زاره صدام فى غرفته العلوية فى جامع الإمام أبى حنيفة.. وقيل إن الذى ناصحه هو الشيخ سعيد حوى رحمه الله.. والذى ناصحه فى الخمور والكباريهات هو الدكتور أحمد الكبيسى.. والذى ناصحه فى البنك الإسلامى هو الدكتور عبداللطيف هميم، وقد ناصحه هذا الرجل يقيناً فى أمور كثيرة منها إنشاء مركز السُنّة، وهذه الأمور ليست أمورًا شكلية، بل هى أمور منهجية، جذرية، عامة ومهمة.. فليست قضية الكتاب، أو السنة، أو التعليم، أو المناهج، أو المعاهد، أو الحدود، أو الاقتصاد أمورًا شكلية.. ثم إنها لم تأخذ وقتًا

طويلا للدراسة، فبمجرد أن تعرض على الرئيس بأسلوب مقنع وأدلة مقنعة، كان يأمر بتنفيذها فى نفس الجلسة وربما يفاجأ الناس بها فى الصحافة فى اليوم الثانى بمن فيهم أقرب الناس لصدام، وقد حدث هذا مرارًا.

وهكذا فإن دراستنا هذه تأتى للعقد الأخير من حياة صدام، بناء على هذا التغيير.. حتى صدام نفسه فى خطابه سنة ٢٠٠٢ فى ذكرى انتصار العراق على إيران، قال بعدما ذكر ابتداء الحزب ومراحل تطوره إلى أن وصل إلى المرحلة الأخيرة.. قال: أرجو ألا تحاسبونا أو تقيسونا منذ سبع سنين على ما سبق، فإن ثمة اختلافًا جذريًا فى إيماننا.

ولم يكن هذا التوجه تمثيليًا أو صوريًا، بل كان توجهًا استراتيجيًا حقيقيًا، بل عقيديًا، وقد وجد استنكارًا من أساطين الحزب القدماء.

وليست صدفة أبدًا أن يجد المتابع تحول الخطاب السياسى للرئيس نفسه.. من خطاب قومى صرف، علمانى محض إلى خطاب إيمانى يقيد العروبة بالإسلام، ويفاخر بإسلامه أمام أعدائه قبل المسلمين وينص على ذكر المعانى الإيمانية بكل وضوح وتفاخر.

وكان صدام حسين يديم قطع اجتماعاته وإنهائها علانية إذا حضر وقت الصلاة حتى مع الأجانب كما ذكر ذلك الصحفى الأمريكى «راذر»، فقال: «دام اللقاء معه ثلاث ساعات، لم يقطعه إلا للصلاة».

إن هذه التغيرات شملت حتى الفكر القومى عند صدام خاصة، فمن يقرأ أو يستمع إلى فكر صدام القومى فى السبعينيات والثمانينيات وفكره القومى بعد ذلك يجد فارقًا جذريًا، حيث يجد أنه يربطه ربطًا منطقيًا بالإسلام، فهو يؤكد أن الإسلام عام للبشرية، ولكن مادته هم العرب، ومن حمله إلى الآفاق هم العرب، وهذا من فضل الله عليهم، ولا يبنى على ذلك ما يبنيه القوميون من جعل القومية دينًا أو معبودًا أو بديلاً عن الدين.

إنا لا نشك أن كل ذلك التغير الإسلامى الذى ذكرناه فى العراق كان مرصودًا ومحسوبًا ومراقبًا على المستويين الشعبى والرسمى من قبل الغرب المسيحى وعلى

رأسه أمريكا، وأن تقديرهم أن أمر العراق إذا ترك سنين قليلة فسوف يشب عن الطوق.. حتى تصورات صدام التى تنكب فيها لحقيقة البعث كعقيدة ومبادئ، وأقبل زاحفًا قولاً وعملاً شيئًا فشيئًا نحو الإسلام - مرصودة، وأن لها أثرًا مخيفًا بالنسبة لهم، فمن يدرى فلعله يطبق ما أشار إليه فى لقائه مع وزرائه بأنه يريد دولة إسلامية حقيقية لا كالدول المجاورة، بل على منهاج خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وهكذا قالها بالحرف، إن من يعتقد أن ذلك لم يكن فى حسبان أمريكا وهى تهاجم العراق كسبب من أهم أسباب الاحتلال فإنه رجل قد انطلت عليه الحيلة الأمريكية.

صدام يتحدث من الأسر

« كان صلباً ، قوياً ، صاحب عزيمة لا تلين ، كانت مشاعره الوطنية والقومية فياضة .. عندما بدأت أرجع إلي الخلف ، وأنا أودعه ، قال لي بصوت عطوف ، تعوده منه العراقيون دائماً : الحمد لله الذي وهبني إبناً ثالثاً مع عدي وقصي » .

تفردت صحيفة «الأسبوع» ـ القاهرية بأول حوار للرئيس الأسير من سجنه .. خص به الصحيفة ورئيس تحريرها مصطفي بكري عبر محاميه خليل الدليمي .. وهذا نص الحوار:

كانت البداية اتصالاً من المحامى والمناضل القومى زياد الخصاونة الرئيس الأسبق لهيئة الاسناد للدفاع عن الرئيس صدام حسين ورفاقه.. ابلغنى بمضمون المقابلة التى جرت بين المحامى العراقى خليل الدليمى وبين الرئيس صدام.. قال لى لقد اتصل به الدليمى وطلب منه ابلاغى سلام الرئيس صدام إلىَّ وإلى بعض الزملاء الآخرين.

قلت للاستاذ زياد الخصاونة: أريد منك أن تتحدث مع الاستاذ خليل الدليمى ليخص «الأسبوع» بمضمون الحوار الذى تم بينه وبين الرئيس صدام، فوعدنى خيرًا.

كان زياد الخصاونة يبلغنى أن خليل الدليمى قد وصل إلى الاردن وأنه يريد التحدث معى.. دار بيننا حوار طويل، استمعت منه إلى كافة تفاصيل الحوار وسجلت ذلك، وبعد أن انتهت المكالمة، عاودت الاتصال لأطلب منه أن يروى لى بعض التفاصيل الأخرى وأن يبعثها إلىَّ مكتوبة على «الايميل».

وبالفعل فى اليوم التالى كان الاستاذ خليل الدليمى يبعث إلىَّ بكل ما أمكن تسجيله خلال المقابلة للنشر على صفحات «الأسبوع» التى اختصها بهذه التفاصيل حول حياة الرئيس صدام داخل السجن، وآرائه ومواقفه تجاه بعض القضايا، ثم

بعض الأسرار التى تعلقت بالمقاومة وطريقة القبض عليه وبعض الوقائع الهامة الأخرى.

لقد تعرض خليل الدليمى للعديد من محاولات الاغتيال والتهديد اليومى بالاغتيال من قبل عملاء المحتل الأمريكى وأذنابه داخل وخارج العراق، لكنه بقى صامدًا، رافضًا التخلى عن رسالته النبيلة فى الدفاع عن رئيس شرعى تم أسره واختطافه ووضعه رهينة فى مكان سرى تمهيدًا لتقديمه إلى محاكمة هزلية تخضع لإشراف المحتل ولا تستطيع الخروج عن طوعه.. وهنا وقائع الحوار الهام بين الرئيس صدام حسين ومحاميه خليل الدليمى ليدرك الناس أن كثيرًا من الحقائق زيفت، وكثيرًا منها لايزال غائبا عن الأذهان.

❖❖❖

لم يكن قرارًا فجائيا، فمنذ أكثر من عام وأنا أحاول، لكن الفشل كان دوما من نصيبى .. فى اغسطس (آب) الماضى تقدمت بواسطة نقابة المحامين إلى المحكمة الخاصة التى انشأها الاحتلال للحصول على وكالة من قبل السيد الرئيس صدام حسين تمكننى من الدفاع عنه خلال المحاكمة المنتظرة.

كنت ادرك منذ البداية حجم العراقيل، وكنت أعرف أن المحتل لن يستجيب لطلبى بسهولة، رغم أن هذه الطريقة غير معمول بها فى كل قوانين العالم، لأن المتهم مهما يكن، فالقوانين تكفل له حرية اختيار محاميه عن قناعة وبطريقة حرة ومباشرة وبإرادة كاملة.

بعد اتصالات مكثفة، وجدل طويل، تم توقيع الوكالة وقدمتها هدية لعائلة السيد الرئيس، ولهيئة الدفاع التى يترأسها حاليا المناضل القومى زياد الخصاونة.. قبيل شهرين كنت قد تقدمت بطلب لمقابلة السيد الرئيس .. وكان الأمر قد جرى بالتنسيق بينى وبين هيئة الدفاع من ناحية، ثم بينى وبين أسرة السيد الرئيس من ناحية ثانية .. فجأة دقّ الهاتف، ابلغت من قبل المحكمة ونقابة المحامين بتحديد يوم الثانى من ديسمبر لمقابلة السيد الرئيس صدام حسين.. ذهبت إلى المكان المحدد فى التوقيت المحدد، ولكن فجأة ابلغت بتأجيل الموعد دون سبب مفهوم، وفى يوم

السادس عشر من شهر ديسمبر.. ابلغت بالموعد الجديد.. ذهبت إلى حيث المكان الذى حدد لى.. سمح لى حاجز التفتيش العراقى بالدخول دون أية تحقيقات تذكر، وأدركت ساعتها أن الجانب الأمريكى اشار إليهم بالسماح لى بالدخول.

وهناك حيث هذا المكان، وجدت سيارة مصفحة أمريكية مظللة، ومعها ٤ سيارات عسكرية من نوع «هامر» للحماية.. صعدت إلى السيارة المصفحة، على يسارى جلس جندى أمريكى من قوات المارينز، وعلى الجانب الآخر كان هناك جندى يقف على قدميه فى مكان مرتفع، مصوبًا بندقيته المتوسطة باتجاه الطريق.. مضت المصفحة الأمريكية إلى مكان مجهول، فلم يكن متاحًا أمامى معرفة الوجهة أو الطريق، كانت السرعة تتراوح ما بين ٦٠ ـ ٧٠ كم، وبعد نحو خمسين دقيقة وجدت نفسى فى المكان المجهول.

عندما تم فتح باب المصفحة وجدت نفسى داخل انبوب اسطوانى بقطر ٣٥ مترًا تقريبا.. مضيت سيرًا على الاقدام ومعى أحد الجنود نحو ٢٥ مترًا، وفجأة وجدت نفسى فى الصالة الرئيسية للمكان الذى يقبع فيه الرئيس صدام، وكانت الصالة هى عبارة عن غرفة تبلغ مساحتها (٥) أمتار تقريبا، كان هناك بابان أحدهما يؤدى إلى صالة صغيرة تم فيها اللقاء بينى وبين السيد الرئيس، أما الباب الآخر فكان يؤدى إلى غرفة الاحتجاز التى يقبع فيها الرئيس صدام..

❖❖❖

عند وصولى إلى الصالة المحددة كان هناك أربعة من ضباط المارينز لا أعرف رتبهم، وكانت امامهم طاولة وعليها جهاز كمبيوتر، تبين لى فيما بعد أنه جهاز الهدف منه رصد اللقاء كاملاً بينى وبين الرئيس، كنت اعرف ان اللقاء سيكون مسجلاً بالصوت والصورة كاملاً، لكن ذلك لا يهم..

كنت احمل معى حقيبة بها بعض الأوراق والهدايا للسيد الرئيس، طلبوا منى وضع الحقيبة على المائدة، فتشوها وصادروا كل شىء، ولم يسمحوا لى سوى بالمصحف الشريف، وابلغونى أنهم سيدخلوننى إليه بعد الحصول على موافقته أولا، فوافقت.. وسألونى: هل تحمل رسائل مكتوبة؟ فكان جوابى: كلا.

تقدم منى أحد الضباط وقال: عليك ألا تعانق الرئيس أو تقبله أو تحييه بالتشابك، وقالوا لى لقد وضعنا طاولتين بينكما حتى تصافحه باليد فقط وعن بعد.. وقالوا لى: إن هناك عسكريًا امريكيًا سيكون معنا لحمايتنا أنا والرئيس من بعضنا البعض واكدوا أن كل ما أريد اعطاءه للرئيس أو بالعكس سيكون بواسطة هذا العسكرى الواقف على قدميه والذى كان يستبدل كل نصف ساعة، وابلغونى ان مدة اللقاء هى أربع ساعات ونصف الساعة.



الآن حانت لحظة اللقاء.. كان هناك احساس دفين يتجاذبنى، كنت تواقا إلى رؤيته، وإلى عناقه.. كنت ادرك أننى لا استطيع أن ألتزم بهذا البروتوكول الذى أملوه علىّ، خالجنى شعور الانسان العراقى قبل المحامى.. أنا مواطن وهذا هو رئيسى الشرعى والقائد العام للقوات المسلحة.. قلت: أبدًا لن أقبل أن أصافح الرئيس بهذا البرود.. مستحيل أن أراه ولا أعانقه.. كانت كلماتى حاسمة إما أن يسمحوا لى بالتعبير عن مشاعرى الطبيعية تجاه الرئيس الشرعى، وإما فلتلغ الزيارة من الأساس.

الدقائق تمر ثقيلة، وحالة من الشد والجذب بينى وبين الضباط تتصاعد.. طرحوا الأمر على القيادة العسكرية فى هذا المكان، وكانت سيدة برتبة جنرال، وأمام اصرارى لم يكن هناك من خيار أمامهم سوى الاستجابة.

دخلت إلى المكان المحدد، دخل خلفى كافة الضباط ومعهم الحارس.. إنهم يريدون أن يشاهدوا كيفية استقبالى للسيد الرئيس، انه مشهد فضولى لكنه ذو دلالة هامة.. يريدون أن يعرفوا بعد كل ما قيل، كيف يتعامل العراقيون مع رئيسهم الأسير.. بعد نحو دقيقتين تقريبا دخل الرئيس صدام بطول قامته وشموخه: فرح قلبى كثيرًا.. كانت بنيته الجسدية افضل مما كانت عليه خلال جلسة التحقيق، وكان شعر رأسه طويلاً إلى حد ما، ولحيته فى حاجة إلى التهذيب.. بسرعة البرق، وما أن التقت عيوننا، حتى خرجت عن الطاولة التى وضعت لتفصل بيننا واديت التحية العسكرية الكاملة لسيادته، ثم عانقته بشدة وكأننى كنت أنتظر هذه اللحظة منذ

زمن طويل، ربت الرئيس على ظهرى بيديه، وكان حنونا، رغم أننى لم اتشرف سابقًا بلقائه، ولم تكن لى أية معرفة شخصية به.. كنت أشعر أنه رئيسى الشرعى، باعث نهضة العراق، الرجل الذى تربينا فى عهده وعشنا معه لحظات الانتصار ولحظات الصمود .. لذلك لم اتردد فى تقبيل يده الشريفة بعد انتهاء العناق.

كانت الدهشة تعلو وجوه الضباط الأمريكيين.. قال أحدهم ما هذا الذى يحدث؟ كان ينظر إلى وجوه زملائه وكأنه يريد أن يقول لهم: أليس هذا الرجل هو الذى قالوا لنا إنه الديكتاتور الذى ينتظر العراقيون ازاحته عن السلطة بفارغ الصبر؟ هاأنذا أرى أمامى عكس ذلك.. بدت وجوه الضباط الاربعة وكأنها فى حاجة إلى اجابات حاسمة حول العديد من علامات الاستفهام.. لقد خرجوا جميعا مذهولين واغلقوا الباب من خلفهم وتركونى مع السيد الرئيس والحارس الأمريكى الذى كان يجرى تبديله كل نصف ساعة تقريبا.

جلس الرئيس على الكرسى ، وضع معطفه الأسود الذى كان يحمله على الطاولة، كان يرتدى سترة سوداء وقميصًا ابيض وبنطلونًا أسود.. أخرج من سترته قلما وكراسا صغيرًا أوراقه صفراء.. بدأ يقلب الصفحات، وقال لى وكأنه يحدد وجهة الحديث بيننا قبل أن أبدأ :

- اسمع يا ولدى هذا الشعر ..

إن لم تكن رأسًا فلا تكن آخره

.. فليس الآخر سوى الذنب

ثم استرسل الرئيس حتى نهاية القصيدة التى بهرتنى، ورحت أطلب من السيد الرئيس أن يعيد قراءة البيت الأول مرة أخرى حتى اتمكن من كتابته.

● سألته: هل هذه القصيدة من تأليفك يا سيادة الرئيس؟

●● فقال: نعم.. لقد كتبتها داخل السجن، لأن السجن لا يمكن أبدًا أن ينال من ارادة العربى المناضل المدافع عن حقوق امته، إن كل من يقرأ التاريخ ويعرف أن العربى الحر لا يقبل أن يكون خانعًا أو ذليلاً أو منكسرًا، بل يظل مرفوع الرأس حتى فى لحظات الظلم والقهر وجبروت المحتل.

نظر إلىّ الرئيس وكأنه يريد أن يعرف منى وقائع ما يجرى خارج هذا السجن، قدمت نفسى إليه، عرفته بنفسى وبعشيرتى وبالمدينة التى أنتمى إليها فشعرت بحالة من الاطمئنان على وجهه.

● قلت له: سيدى الرئيس أنت المعلم والقائد وأنا التلميذ، جئت لأستمع لتوجيهاتك، وأنا عضو فى هيئة الدفاع التى شكلت للدفاع عنك؟

●● قال لى: استرسل أريد أن اسمعك

● قلت له: لقد شكلنا هيئة الدفاع من عدد كبير من المحامين برئاسة المحامى العربى الاردنى الكبير زياد الخصاونة، وقلت له ان الهيئة ضمت عددًا من كبار المحامين العرب والاجانب، وتحدثت معه عن اهداف الهيئة، ومتابعة كريمته الأخت رغد واشرافها المباشر عليها، ونقلت له تحيات هذه الهيئة وتحيات رئيسها وتحيات كل العراقيين الوطنيين الشرفاء وتحيات كل العرب المخلصين.

● سألنى: ما رأيكم بجلسة الاستماع الأولى فى المحكمة، وعما اذا كان قد جرى نقلها كاملة على التليفزيون ووسائل الاعلام؟

●● قلت له: لقد كان لها تأثير ايجابى كبير على معنويات الشارع العربى والعراقى.. وكان رأى الجميع انك كنت تحاكم من يزعم محاكمتك، وأن الناس قد اعجبت بصمودك وكبريائك، ورفضك التراجع عن كل مواقفك رغم كل الضغوط التى مورست ولاتزال تمارس ضدك.

● قال الرئيس: هذه محكمة غير شرعية وغير دستورية.. انها صنيعة الاحتلال.. وهى من مسوغات الغزو الكاذبة، وواحدة من ثمرات جريمة العدوان الخارج على الشرعية الدولية، إنها تمثل اهانة للعدالة والقانون، مسرحية هزلية، وهى لعبة المقصود منها خداع الرأى العام وتصوير الأمر وكأنهم يرضخون للعدالة والقانون وهم أبعد من ذلك بكثير، لقد قرأت اتفاقية چنيف خاصة ما يتعلق منها بالأسرى ولذلك أنصح بأن يتم استعمال الدفوع القانونية والشكلية بالنسبة لتشكيل المحكمة المخالف للقوانين العراقية وأيضا للدستور العراقى وكذلك لاتفاقية چنيف وأن ما بنى على باطل فهو باطل.

وأضاف الرئيس: لقد شكلوا المحكمة بقرارات باطلة وتحت ظل الاحتلال وبيد الحاكم الأمريكى وهذا يعنى اغتصابا للسلطة الشرعية واعتداء سافرًا على القانون العراقى والدولى على السواء لذلك اطالبكم بأن يكون الدفاع قانونيا وسياسيا واعلاميا، واطلب منكم ايضا ابلاغ تحياتى لكافة اعضائها خاصة الأخ زياد الخصاونة ولعائلته الاصيلة وصاحبة التاريخ، ولى طلب لديكم جميعا باستبدال الاسم الحالى لهيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين إلى «هيئة الاسناد للدفاع عن كافة الأسرى والمعتقلين العراقيين والعرب» .. وأنا اترك لكم ولهيئة الاسناد حرية التصرف فى الموضوع بشكل كامل.



بدأ الرئيس حديثه معى بعد ذلك بالسؤال عن احوال الشعب العراقى فتحدثت معه مطولا فى وقائع ما يجرى على الأرض..

● قال الرئيس: نعم اتوقع ذلك وما هو اكثر، فأمريكا جاءت إلى العراق وهى تعرف أهدافها جيدًا .. لقد جاءت لتدمير الدولة العراقية ونشر الفوضى على أراضيها وبث الفتن بين ابنائها .. واشاعة القتل والدمار والخراب، ونهب ثرواته.

واضاف الرئيس: لقد كنت أنا ورفاقى فى القيادة نعرف أن العدوان قادم، قادم، وأن كل ادعاءات بوش الثانى ومن حوله هى محاولة هدفها تسويق العدوان.. وان نواياهم كانت واضحة بغض النظر عن صحة أو كذب ما يرددونه.

● المحامى: ولكن يا سيادة الرئيس لقد ثبت كذب كل هذه الادعاءات وهذا يخدم موقفك القانونى.

●● صدام: عندما كنا نقول إن العراق لا يمتلك أسلحة دمار شامل كنا صادقين، ولذلك فتحنا لهم أراضى العراق وسماءه وكانت لدينا ثقة أنهم لن يعترفوا بالحقيقة، لكننا أردنا أن نثبت للرأى العام بأسره أننا نتعاون إلى اقصى الحدود خاصة بعد أن طلب منى بعض القادة العرب ذلك، ولكن للأسف فقد تجاوزت أمريكا المجتمع الدولى بأسره وشنت العدوان دون سند من شرعية أو قانون وخارج نطاق مجلس الأمن، ومع ذلك لم نسمع صوتًا لأحد ليطالب بمحاسبة أمريكا لأنها كذبت

على الجميع ووضح أن الأمر كما كنا نقول دائما يتعلق بالنفط وإسرائيل، ولذلك ارجو منكم ان توثقوا كافة التصريحات التى صدرت فى هذا الصدد من فرنسا والمانيا وغيرهما..

● المحامى: هناك ايضا تصريح للأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان اعتبر فيه أن ما جرى هو تجاوز للأمم المتحدة والاحتلال غير شرعى وغير مبرر

●● صدام: هذا أمر مهم يجب توثيقه أيضا، لأنى اعتقد أن الأمين العام للأمم المتحدة ضاق ذرعا بالمواقف الأمريكية وهو يدرك حقيقة الهدف ويعرف أن أمريكا تريده مجرد تابع وليس صاحب قرار.

● المحامى: لقد اسقط الشعب الاسبانى رئيس الوزراء الاسبانى «اثنار» فى الانتخابات وتولى الاشتراكيون السلطة وقاموا بسحب القوات الاسبانية من العراق.

●● صدام.. وقد بدا الارتياح على وجهه: هذا عظيم .. وإن شاء الله سيجبر كل اذيال بوش على سحب قواتهم من أرض الرافدين، وسيجد نفسه وحيدًا وسيجبر على سحب قواته التى لن تستمر طويلاً فى المكابرة.. أريد أن أقول لك إن المقاومة العراقية الباسلة قد أعدت نفسها جيدًا، وأنا أثق فى أن الشعب العراقى لن يقبل بالهوان واحتلال أراضيه، العراقيون لن يفرطوا فى شرفهم كما يظن الأمريكيون وأذنابهم من العملاء والتابعين.

انني اريد أن أقول لك يا بنى إن الصفحة الثانية من صفحات المعركة بدأت يوم ٢٠٠٣/٤/١١ أى بعد الاحتلال بيومين فقط.. لقد اجتمعت بالقادة العسكريين والسياسيين فى هذا الوقت وقلت لهم: الآن فلتبدأوا الصفحة الثانية من المعركة.. ولذلك ما يجرى الآن هو ليس وليد الصدفة ولا هو مجرد رد فعل عفوى، بل إنها عملية مخططة من قبل العدوان الأخير بكثير.

كنا نعرف أن هذا اليوم قادم وكنا على ثقة بأن المعركة الكبرى ستبدأ بعد احتلال بغداد وليس قبله.. نعم حدثت خيانة من فئة محدودة جدًا، لكن الجيش العراقى البطل والمناضلين الأشاوس، كانوا يعرفون أن الصفحة الثانية قد بدأت، ولذلك استعدوا بكل ما يملكون من أجل هذا اليوم الذى لم يتوقعه الأمريكيون أبدًا.

أنا اسـألك عن احـوال الـشـعب العـراقى وعن وحـدته الوطنيـة وهل اسـتطاع الاحتلال شق وحدته الوطنية وزرع بذور الفتنة؟

المحامى: قلت له.. امريكا تحاول لكنها تفشل حتى الآن، وحكيت له بعض هذه المحاولات.

●● الرئيس صدام: اعرف أن هناك اطرافًا عديدة وليس الأمريكيون فحسب يريدون تدمـيـر وحـدة العـراق التى تـرسـخت على مـدى قـرون، وادرك أن هذه القـوى ستمارس عمليات القتل والتفجيرات المتبادلة وسيقدمون معلومات مغلوطة إلى كل طرف لتفجير العلاقة والتحريض على الحرب الأهلية والطائفية ولكن أنا لدى ثقة بأن هذه المحاولات سترتد جميعا فى صدر المحتل والقوى التى تحالفه، اننى احملك يا بنى عددًا من الوصايا ارجو منك ان تنقلها إلى الشعب العراقى.

- يجب ألا يكون قـبـول القـيـادة إلا عـلى أسـاس الحـزم والجـرأة والشـجـاعـة وصلابة الموقف.

- كل صـاحـب عنوان عليـه الحـفـاظ عـلى أمـانة الـوطن والاعـتـبـارات الصـادقـة الشريفة.

- إلى المترددين عليهم أن يتذكروا مبايعتهم وعليهم أن يتذكروا الالتزام.

- مطلوب من رجال الدين فى العراق الاتصال والنهوض وتحمل الامانة.

- مطلوب توحيد الصفوف وتضييع الفرصة على الاعداء.

- الاتصال بالمنظمات الشعبية والحكومية .. وتلا الآية الكريمة «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون» ثم «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا».

● المحامى: أخبرته بموقف إيران وقلت له: إن هناك حوالى ٢,٥ مليون إيرانى دخلوا إلى العراق، وتم قيدهم فى جداول الانتخابات على أنهم عراقيون خصوصاً بعد حرق كافة أوراق السجل المدنى بالعراق.

●● صدام: هؤلاء فرس يرجعون لأصولهم وهذه سيرتهم وليس هناك جديد.. إننى أحذر من غدر إيران وتدخلها السافر فى شئون العراق.. إنها تقف وراء محاولة بث الفتنة، لأنها لا تريد فقط أن تقتطع الجنوب العراقى لتلحقه بالدولة الفارسية

الشيعية، ولكنها أيضا تريد الاستيلاء على كل العراق.. وهذا هو هدفهم الذى أدركناه مبكرا.. إن الحلم الفارسى فى إقامة دولة كبرى على حساب العراق وبعض دول الخليج هو محل اتفاق بين كافة القادة الإيرانيين لذلك أنا لا أستبعد ما تقول عنه، خصوصا أن يدها الآن تعبث بحرية فى العراق.. وقطعاً يمارس أذنابهم خاصة ما سمى بقوات بدر أبشع الجرائم ضد الشعب العراقى ويقتلون النخبة العراقية الوطنية التى تصر على التمسك بعروبتها وترفض منطق الهيمنة والاحتلال.

لقد تابعت خلال فترة ما بعد احتلال بغداد وقبيل الامساك بى كيف لعب هؤلاء دوراً تخريبياً، وكيف سمح الأمريكيون لهم بالدخول انطلاقا من الأراضى الإيرانية بكامل أسلحتهم حتى يكونوا عوناً لهم ضد العراقيين، فقتلوا الكثير من العلماء وشاركوا المحتل فى عمليات المداهمة، كل ذلك بعلم وموافقة بعض المرجعيات الدينية التى لا يهمها العراق ومصالح شعبه وانتماؤه لجسد هذه الأمة، بقدر ما يهمها سيطرة الطائفية وأن يصبح لإيران اليد الطولى فى شئون العراق والخليج بل والمنطقة. إن الذين تحدثوا عن خطأ الحرب الدفاعية فى مواجهة إيران فى الثمانينيات عليهم أن يعيدوا الآن قراءة الملف من جديد ليعرفوا أن إيران الفارسية لم تتنازل لحظة واحدة عن أهدافها التوسعية.

● المحامى: سألنى الرئيس صدام عن الإعلام وكيفية تناوله لقضايا العراق، فحدثته عن ثلاثة نماذج هى: مصطفى بكرى رئيس تحرير صحيفة «الأسبوع» وعبدالبارى عطوان رئيس تحرير جريدة «القدس» وفهد الريماوى رئيس تحرير جريدة «المجد» الأردنية.

●● صدام: مصطفى بكرى لا عجب، فهو إنسان عربى أصيل، ومواقفه لا تتغير ولذلك أرجو منك أن تحمل إليه تحياتى الشخصية، وعبدالبارى عطوان إنسان شجاع وثقتى به غالية فأرجو أن تهديه سلامى، وكذلك الأخ فهد الريماوى ابن العروبة البار ولا تنس أيضا أن تبلغ سلامى إلى جورج جلوى الذى تحمل الكثير دفاعا عن العراق وإلى رمزى كلارك ومهاتير محمد ونيلسون مانديلا، وكل أحرار العرب، ولابد أن تبلغهم أن معنويات صدام حسين إذا كانت ٩٠٪ خلال جلسة

التحقيق الصورية فالآن هى ١٢٠٪، قل لهم: إننى صامد داخل السجن.، وإننى متفائل جدًا وإننى لا أشك لحظة واحدة بتحقيق النصر بأقرب مما يتصور الكثيرون.

إننى متخوف على سوريا فهى مستهدفة كما هو العراق، وكما هى الأمة كلها، وقد حذرت قبل العدوان من أن المخطط لا يستهدف العراق فحسب، ولكن يستهدف الأمة كلها، لأن هذه حرب صليبية وعنصرية تستهدف العروبة والإسلام على السواء؛ لهذا يبدو حقدهم أسود ويبدو عدوانهم ضد العراق وحضارته وأهله كمن يريد الانتقام.

لقد تآمروا على النظام الشرعى فى العراق واستولوا على السلطة، فلماذا يبقون حتى الآن، لو كانوا صادقين لاختلفت الصورة لكن أهدافهم أكبر من التآمر على صدام حسين وعلى النظام بأسره.

● المحامى: سألنى هنا: هل قاموا بعدوان جديد ضد الفلوجة فعندما أجبته بنعم قال لى:

●● صدام: لقد توقعت ذلك، كانت أحاسيسى الخاصة تقول لى إن صوت الطائرات الذى كنت أسمعه أثناء خروجى إلى القاعة لابد أن يكون موجهاً ضد الفلوجة البطلة، لأنها أبدا لن تركع وأنا أعرف حجم المقاومة فيها، وقدرات المواجهة، خاصة أن أغلب كوادر المقاومة فى هذه المنطقة هم من ضباط وجنود الجيش العراقى وكوادر جيش القدس، وهم مدربون تدريبا عاليا ولديهم خبرات قتالية واسعة.. لقد شعرت فعلا أن حركة الطائرات الحربية المكثفة تتجه نحو الفلوجة، وقد صليت وتمنيت من الله سبحانه وتعالى أن تكون الخسائر البشرية قليلة، ودعوت الله أن يحفظ العراق وأهله من كيد الأشرار.

● المحامى: سألنى عن الانتفاضة الفلسطينية، قلت له: إنها لاتزال قوية، ولكننى لم أبلغه نبأ رحيل ياسر عرفات فقال:

●● صدام: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» صدق الله العظيم. أنا أعرف أن الشعب الفلسطينى لن يهدأ له بال إلا بعودة حقوقه المشروعة كاملة.. والقضية

الفلسطينية هى قضية العرب جميعا، ومن يفرط فيها كمن يفرط فى شرفه وعرضه، لقد حاولوا معى كثيرا، بعثوا إلىّ برسائل عبر قيادات وشخصيات عربية ودولية، قالوا: فقط نريد منك كلمة، ولا نريد اتفاقا الآن.. كانوا يريدون منى أن أبدى الاستعداد للاعتراف بدولتهم المزعومة «إسرائيل» لكننى رفضت بكل قوة، رغم أنهم قالوا لى إن الاعتراف بالكيان الصهيونى يعنى انتهاء الحصار وعودة العلاقات إلى طبيعتها مع الولايات المتحدة.. لكننى أدرك أن من يفرط فى التراب والأرض سيفرط فى كل شىء: شرفه وكرامته ولن تكون لديه بعد ذلك أية خطوط حمراء إنه مسلسل مقيت يحتاج فقط إلى البداية ثم يستمر طريق التنازلات بلا نهاية.

● المحامى: سألنى عن أحوال البلدان العربية خاصة مصر والسعودية وسوريا والأردن، وتمنى لها الخير جميعا، وركز بشكل خاص على دور مصر وأهمية هذا الدور لانتشال الأمة كلها من محنتها.

●● صدام: أنا مهتم جدا بالشارع العربى، فأمريكا تنزعج من أية تحركات وهى تعرف أن ثورة الشارع العربى لن تكون هينة.

● المحامى: سألت الرئيس: كيف جرى القبض عليه ورويت له ما قيل؟

●● صدام: أنا أعرف أنهم أساتذة فى الدبلجة، وقطعا توقعت أن يقدمونى فى صورة الإنسان المهان ليقولوا للعراقيين هذا هو رئيسكم.. هذه طريقتهم طريقة أفلام الكاوبوى السخيفة.. إنهم خبراء فى ذلك.

والحقيقة أننى كنت فى دار أحد الأصدقاء الذين أثق فيهم فى قضاء الدور محافظة صلاح الدين، وكان الوقت قبل غروب الشمس وكنت اقرأ القرآن وعندما قمت لأداء صلاة المغرب، فجأة وجدت الأمريكان حولى ولم تكن معى أية قوة للحماية فى هذا الوقت، وكان سلاحى بعيدا فتم أسرى ثم اختطافى وتعرضت لأبشع أنواع التعذيب فى اليومين الأول والثانى، ولو كنت أعلم بوجودهم لقاتلتهم حتى الشهادة.. إننى لا أعرف إذا كانت وشاية من صاحب الدار أم هى ضغوط تعرض لها.

إن ما تحكيه لى هو عملية كاذبة من الأساس، فأنا لم أكن فى حفرة ولا أقبل

أن أكون فى حفرة، بل كنت اؤدى الصلاة ولا أدرى ماذا حدث بعد ذلك فقد تعرضت للتعذيب والتخدير وقد أثر هذا التعذيب على ساقى اليسرى، ثم تم علاجى بعد ذلك.

● المحامى: قلت له ماذا عن الصليب الأحمر؟

●● صدام: قال أنا مستاء منهم جدا.. إنهم لا يقومون بواجبهم المحدد وفقا للمبادئ التى أسس عليها، إن زياراتهم لى لم تتجاوز ٤ مرات ولم تكن ذات فائدة، والحقيقة أنا لا أرغب بلقائهم مستقبلا إذا ما بقوا على هذه الحال.

لقد سلمنى الصليب الأحمر رسالتين إحداهما مؤرخة فى شهر أغسطس ٢٠٠٤ وسلمت إلىّ قبل زيارتك بعدة أيام، وكانت هذه الرسالة كسابقتها مشطوبا على غالبيتها، كما لم يتم تسليمى كافة الأغراض الشخصية المرسلة من العائلة، وإذا جاءوا إلىّ بنفس الطريقة مرة أخرى فسأطردهم ولن أقابلهم.

● المحامى: قلت له هل تلتقى ببقية المعتقلين من القيادات العراقية الكبرى؟

●● صدام: قال لا.. لم التق بأى منهم، وقد أبلغنى أحد الأمريكيين أن ابن عمى على حسن المجيد قال عنى إننى لم أكن شجاعا وقد تجاهلته بالكامل واعتبرت هذا الكلام من نوع الفتنة التى يجب الحذر منها.

«ملحوظة أثناء الجلسة كان الرئيس صدام قد توضأ وصلى مرتين».

● المحامى: قلت للرئيس إنهم سيجرون انتخابات قريبا.

●● صدام: قال إنهم يبحثون عن مشروعية كاذبة.. ستكون بالقطع انتخابات غير نزيهة، لأنهم يريدون عملاءهم ليبدوا كواجهة تحركها الأيدى الأجنبية، لذلك من الأفضل على الشعب أن يقاطعها كلية.

● المحامى: قال لى ومن الذى وضعوه فى مقعد حاكم العراق الآن، فقلت له على الورق علاوى.. فنظر ساخراً وقال:

●● صدام: لا أريد أن ينزل مستواى عند مستوى علاوى أو غيره، ولكن حتماً ستعود كل الأمور إلى وضعها الطبيعى فى يوم ما، وتصبح فيه الإرادة الوحيدة هى إرادة الشعب العراقى.

● المحامى: قلت له يتردد أنهم سيسقطون تهمتى حلابجه وما سمى بالمقابر الجماعية فى جنوب العراق.

●● صدام: الأمريكان يعرفون من وراء ما حدث فى حلابجه، إن لديهم المعلومات والوثائق التى تؤكد أن إيران هى التى ضربت حلابجه ولكنهم الآن يحاولون إلصاق الاتهامات بكل السبل.. إننى اسألهم: لماذا صمتوا طيلة هذه الفترة ومنذ مارس ١٩٨٨، لقد كنا مشغولين بالحرب مع إيران فى هذه الفترة، فقامت القوات الإيرانية بالهجوم على حلابجه بعد الهزيمة التى منوا بها فى منطقة الفاو بجنوب البلاد، واستعانوا فى هذا الوقت ببعض العملاء من الأكراد، لقد ضربوا حلابجه بغاز «السيانيد» وهذا الغاز لم يمتلكه العراق أبدا فى هذا الوقت، والأمريكيون يعرفون كل الحقائق.

أما عن موضوع ما يسمونه بالمقابر الجماعية فليسأل الأمريكيون أنفسهم فهم يعرفون أنهم صانعوها، إنها مثل كذبة أسلحة الدمار الشامل التى راحوا يتنصلون منها الآن.

● المحامى: هل سألك الأمريكان عن المقاومة؟

●● صدام: نعم سألونى عن المقاومة، وعن عزت الدورى وقلت لهم: لو كان عزت الدورى فى جفنى لأطبقت عيونى عليه، أما عن المقاومة فقلت لهم عليكم بسجن كل الشعب العراقى إذا استطعتم، فكل عراقى شريف هو فى صف المقاومة، والمقاومة أكبر مما يتصورون، وهى تضم كل الأحرار فى العراق عروبيين وإسلاميين ووطنيين ومواطنين عاديين، نساء ورجالاً، صغارًا وكبارًا .. قلت لهم عليكم أن تستعدوا بالنعوش كما قلت لكم قبل احتلال بغداد.

عندما قلت لهم إنهم سينتحرون على أسوار بغداد، كنت أعنى ذلك، وهاهم ينتحرون ويقتلون ويهربون من ميدان المعركة.. إنهم لم يصدقوا ما قلت، وهاهم يتكبدون خسائر لم يتصوروها أبدا.

إننى أشعر من خلال التحقيقات أنهم فى ورطة حقيقية وأزمة كبيرة، لذلك يبحثون عن أى حل يحفظ ماء الوجه.

● المحامى: قلت له: وهل تعرف مكان اعتقالك؟

●● صدام: لا .. لا أعرف شيئا.

● المحامى: وأنا لم أتمكن أيضا من معرفة المكان.. ترى هل تريد أن تبعث برسالة إلى عائلتك؟

●● صدام: أنا عائلتى ليست ٤ نفرات (رغد، حلا، رنا) وساجدة الزوجة، ولكن العراق والأمة كلها هم عائلتى، لقد استشهد عدى وقصى والحفيد مصطفى واحتسبتهم عند الله، إنهم فداء للعراق لقد قاتلوا حتى اللحظة الأخيرة ورفضوا الهروب، لم يكن وارداً للحظة واحدة أن نغادر العراق أو نهرب كالجبناء بحثا عن حياة رخيصة لأننا لا نعرف لأنفسنا مكانا خارج تراب العراق العزيز.. كانت هناك عروض عديدة قد قدمت ولكنهم لا يعرفون صدام حسين، ولا يعرفون أن العراقى الشريف لا يقبل إلا بعيشة شريفة وإلا دونها الاستشهاد، أما العملاء فهم وحدهم الذين يهربون ويحتمون بالأجنبى.. إننى أنصحهم بإعادة قراءة تاريخ العراق من نبوخذ نصر لصدام حسين ليعرفوا الإنسان العراقى إن لم يكونوا قد عرفوه بعد، فالمقاومة البطلة ستقول لهم حتماً من نحن ومن هم، والقادم أكبر بكثير.

❖❖❖

كانت تلك هى آخر الكلمات التى نطق بها الرئيس صدام حسين.. لملمت أوراقى، فقد مضى على اللقاء نحو أربع ساعات ونصف الساعة.. عانقته مجدداً وقبلت يديه.. شعرت بالدفء تجاه قائد، لم يملك من الدنيا سوى حب العراق، الذى يعيش فى قلبه وعقله ويسرى فى دمائه، لم يعثروا له على أموال فى بنوك خارجية، لم يهرب من الميدان، ولم يدفع بأسرته إلى خارج العراق، مع أنه كان يعرف المصير جيداً.

كان صلباً، قوياً، صاحب عزيمة لا تلين، كانت مشاعره القومية والوطنية فياضة، عندما بدأت أرجع إلى الخلف، وأنا أودعه، قال لى بصوت عطوف تعوده منه العراقيون دائما: الحمد لله الذى وهبنى ابنا ثالثا مع عدى وقصى.. احملك التحية إلى أسرتك وأطفالك، واطلب منك أن تقبل رأس والدتك وتقول لها: لقد أنجبت

رجلا شجاعا لأن مهمتك ومهمة اخوانك صعبة وليست سهلة يا ولدى.

انتهت كلمات الرئيس، ورويداً رويداً مضيت بعيدًا عنه فى طريقى إلى العودة من حيث أتيت، بينما استطاعت بعض الدموع أن تهرب من عينى لتبلل خدى، تذكرنى بطعم دجلة والفرات.

يأيها الرئيس العظيم أنا أحبك وأقدرك ولن أنسى لك ما فعلته لأجل العراق ولأجل الأمة، أنا فخور بك وسأبقى مدافعاً عنك، حتى لو كلفنى ذلك حياتى التى يتربص بها الأعداء داخل العراق وخارجها.

قسوة الحاكم.. وقسوة الخيانة

«هناك أصوات محايدة .. تنتقد قسوة صدام ، ولكنها تبررها بقسوة خصومه وصعوبة حكم العراق متعدد الأعراق والمذاهب .. وأيضاً قسوة الظروف والأعداء المحيطين به .. وهذه الأصوات تردد دائماً أنه ربما كان حاكماً قاسياً ، لكنه لم يكن عميلاً في يوم من الأيام» .

أجمع كتّاب سيرته، وعلى رأسهم أمير إسكندر وفؤاد مطر على أن الرئيس الراحل صدام حسين كان يتمتع بصفات واضحة: الصبر، الجلد على تحمل الصعاب، شدة المراس، الاعتماد على النفس، القدرة على اقتحام المخاطر.. الصرامة القاسية، الدقة فى الحساب، النفى للمشاعر.. ثم الانضباط فى السلوك الأخلاقى..

قال البعض: إنها عين المحب التى هى عن كل عيب كليلة.. وإنها التى تخفى المساوئ.. ثم قالوا فيه أكثر مما قال مالك فى الخمر.. وإن كان ما قالوه قد دار كله حول قسوته.. لم يتجرأ أعتى خصومه على اتهامه بالعمالة لأحد، أو التفريط فى حق للعراق وشعبه.. أو استباحة ثرواته كما يفعل الكثيرون..

وما نكتبه.. ليس كسبًا لمؤيدين، أو دعمًا لمعارضين.. فالسياسة لا تعرف الحب أو البغض.. ولكنها مصالح.. ورؤى.. ومواقف.. وما يجرى على العراق لا يخصه وحده.. إنه جرح غائر فى القلب العربى.. والضمير العربى.. وكارثة كبرى..

والعرب رغم ما جرى لهم وعليهم.. ورغم الشقاق والخلاف.. شعب واحد.. جرى عليه ما جرى لشعوب أخرى.. حيث خضع للحكم العثمانى منذ القرن السادس عشر.. وبعد الحرب العالمية الأولى.. حلت بريطانيا وفرنسا محل العثمانيين.. ثم حلت محلهما بعد الحرب العالمية الثانية أمريكا وإسرائيل.. ومع ذلك بقى العرب أمة واحدة.. تمتد من شمال أفريقيا غربًا حتى الحدود الغربية لإيران شرقًا.. وإن كانت كل محاولة

للتعبير عن ذ لك.. قد تعرضت لمقاومة ضارية.. وحروب - استباقية - مدمرة.. والشواهد مازالت ماثلة.. حرب السويس ١٩٥٦، الحرب الفرنسية ضد الجزائر.. حرب ١٩٦٧، ثم الحرب الإسرائيلية المتواصلة.. ولن تكون آخرها الحرب على العراق لتدمير البلد العربى الأقوى..

وكان لكل ذلك آثاره التى نأمل أن تكون مؤقتة.. فلم تعد ثمة دولة عربية حرة فى التصرف بمقدراتها.. أو فى اتخاذ المواقف التى تراها ملائمة لمصالحها.. ولم تعد أمريكا تلقى تحديًا يستحق الذكر منذ رحيل جمال عبدالناصر.. بل أصبح الكل يتهافت ويتسابق لتلبية مطالبها.. وأبدى العرب ضعفًا عامًا فى مواقف كثيرة.. لعل أبرزها الغزو الإسرائيلى للبنان.. وقصف ليبيا والسودان.. وفرض العقوبات الجائرة على العراق.. والضغط المستمر على دول الخليج.. والتهديد الدائم لسوريا.. ثم احتلال العراق.. وأصبحت الدول العربية - كأنظمة - ما بين معتمد على المعونات والرضا الأمريكى.. ومتمتع بالحماية العسكرية الأمريكية.. وأصبحت دول العرب أكثر استعدادًا لقتال بعضها البعض منها إلى مواجهة العدوان الخارجى..

ولا شك أن التهافت العربى الحالى يقف وراء الحملة الضارية التى شنتها أكثر الأنظمة العربية على صدام حسين ونظامه.. وهى حملة متساوية مع الغزو والاحتلال وخادمة له.. وإعلان واضح عن التبعية لأمريكا والصهيونية.. إنه نوع من جلد الذات.. والخنوع.. يتخفى وراء تحميل صدام حسين والنظام العراقى وزر الدمار الذى حاق بالعراق.. ولا يمل من تكرار ما تردد عن طغيان صدام واستبداده وقسوته.. وكل الروايات التى أشيعت عنه صدقًا وكذبًا..

وإن كانت هناك أصوات محايدة.. تنتقد قسوة صدام، ولكنها تبررها بقسوة خصومه، وصعوبة حكم العراق متعدد الأعراق والمذاهب.. وأيضًا قسوة الظروف والأعداء المحيطين به.. والمتربصين بالعراق.. وهذه الأصوات تردد أنه ربما كان حاكمًا قاسيًا، لكنه لم يكن عميلاً فى يوم من الأيام.. وهذا يكفيه شرفًا إذا ما قورن بغيره من الطغاة والفاسدين.. والعملاء فى نفس الوقت.

والشعور الجمعى.. العربى والإسلامى يعرف أن العدو الحقيقى هو إسرائيل

وأمريكا.. وأن من يواجه العدو يستحق التقدير والدعم شريطة ألا يكون عميلاً.

ولعله إرث عربى.. أو إسلامى.. أو ربما إنسانى.. فقد تحفظ الكثير على سلوكيات خلفاء بنى أمية والعباسيين، ووسائل حكمهم وظلمهم.. إلا أن الظن السائد أنهم لم يكونوا عملاء لقوى أجنبية، وأن أشهر الفتوحات تمت فى عهودهم.. ومن ثم لم تبدأ إدانتهم الحقيقية إلا فى نهاية العصر العباسى لأن دورهم أصبح مشبوهًا بالولاء للأجنبى..

ولعل ذلك يفسر التقدير العميق والعاطفة للرئيس العراقى الشهيد.. والحزن الشديد.. والكدر الذى حط على الأمتين العربية والإسلامية بعد أن تمكن الأعداء منه..

ولعل ذلك أيضًا.. يؤكد حقيقة أن لا شىء أبيض خالصًا.. أو أسود حالك السواد..فقد احتشد الرأى العام العربى والإسلامى مؤيدًا للثورة الإسلامية فى إيران.. ومواقفها العظيمة المؤيدة للشعب الفلسطينى وحقوقه.. والعداء السافر لأمريكا وإسرائيل.. ولكنه فى ذات الوقت استنكر إرثها الفارسى والشاهنشاهى من العداء للعراق.. والنظرة المتعالية لدول الخليج.. والتمسك بما اغتصبته إيران الشاه من حقوق تلك الدول ظلمًا..

وعلى نفس الطريق فإن الرأى العام العربى والإسلامى يقف وراء الجمهورية الإسلامية ويثمن دعمها لحزب الله، وسوريا.. ويعتبره من المواقف النادرة والوحيدة التى تساند الحق العربى فى مواجهة أمريكا وإسرائيل.. وينسحب ذلك التأييد إلى حق إيران فى امتلاك القدرات النووية.. وفى ذلك الوقت.. فإنه يستنكر دعم إيران لفرق الإعدام الطائفية التى عاثت فى العراق قتلاً.. وتخريبًا.. وتتعاون مع قوات الاحتلال..

وبنفس القدر من الرفض والاستهجان.. استنكر أغلب الرأى العام العربى والإسلامى غزو العراق للكويت.. رغم الدعاوى العراقية بأن الاستعمار هو الذى سلخ الكويت من تبعيتها للعراق كإحدى المناطق التابعة تاريخيًا للبصرة.. ثم التواطؤ مع أعداء العراق فيما يختص بالنفط والديون.. حدث ذلك رغم عدم الارتياح لموقف الكويت ومعظم دول الخليج من التبعية الكاملة لأمريكا.. والاحتماء بترسانتها العسكرية

عند أى خلاف مع الأشقاء..

ولن يكون آخر الشواهد. التأييد العارم لحزب الله، والمساندة والإشادة ببطولة السيد حسن نصر الله.. والذى لم يحظ بمثلها زعيم عربى بعد جمال عبدالناصر.. حدث ذلك رغم العداء السافر بين حزب الله ونظام صدام الذ ى تعاطف معه الرأى العام..

وبنفس المنطق كان موقف الرأى العام العربى والإسلامى من صدام حسين ونظامه فيما عدا غير القادرين على النظر بعين واحدة.. فهم يريحون أنفسهم، ولكنهم لا يريحون الحقيقة.. ولا يرون فى صدام إلا حاكمًا ديكتاتورًا مستبدًا.. أو بطلاً قوميًا، لم يفرط فى حقه.. وقف وحده فى مواجهة أعداء الأمة.. أمريكا وإسرائيل..

والشعوب العربية والإسلامية بالذات ترفض القسوة، وتستبشعها.. وتكره الظلم.. وتختزن قدرًا هائلاً من الحنق والعداء للطغاة والمستبدين.. بحكم تاريخهم الطويل من المعاناة سواء تحت الحكم الاستعمارى.. أو فى ظل الحكام «الوطنيين» الذين يصعب التمييز بينهم وبين المستعمرين.. وهو حكم عام، واحساس إنسانى مفهوم.. وإن كانت الأغلبية لا تربط بين ذلك وبين صدام حسين.. لأنها لم تعش تحت حكمه، ولم تعان منه صراحة.. وكل ما بلغها عن ممارسات الحكم فى العراق.. أخبار وقصص.. وآفة الأخبار هم رواتها.. كما قالت العرب..

وإن كان قسوة صدام حسين، وصرامته البالغة.. متوقعة ومفهومة فى إطارها العام.. اعترف بها كتاب سيرته «الصرامة القاسية» وهم من المقربين والمؤيدين.. و.. المنتفعين.. كما اتهمهم خصوم صدام.. القسوة متوقعة بحكم النشأة وظروفها.. وبحكم الخبرة الشخصية، وربما المعاناة، فى بلد غرق فى حمامات الدم منذ بدايات الوعى لدى صدام الشاب.. وهى أمور جرى التعرض لها فيما سبق.. ولعل تلك الظروف مجتمعة قد طبعت الرجل بطابع «الصرامة القاسية» التى أصبحت جزءًا من سلوكه.. ومعلمًا على مسيرته.. لدرجة أنه كان يقرن المنفعة بالصرامة القاسية.. ولعلنا نذكر حملته الناجحة والفريدة بالنسبة للوطن العربى والإسلامى.. والتى قادها بنفسه.. وهى حملة «اجتثاث الأمية» التى وفر لها الدعم والإمكانيات المطلوبة.. ومعها العقوبة

لمن يتخلف، السجن ثلاث سنوات، يعاد بعدها لصفوف الدارسين.. وهى قسوة مبررة وبناءة، فى نظر الكثيرين شئنا أم أبينا..

وأغلب الذين اتصلوا بشكل مباشر مع نظام صدام حسين من الشعوب العربية، والإسلامية.. تمثلوا فى العمالة الكثيفة التى توافدت على العراق - خاصة العمالة المصرية - وأغلبها من بسطاء الناس - الذين لا يعرفون الكثير مما يشغل المثقفين ويتقاتلون بسببه - ومقياسهم المباشر لصلاحية الحكم هو مدى توفيره للقمة العيش، وسترة الجسد، والدواء الشافى من المرض.. ثم المأوى.. وقد يتزيد بعضهم فيضيف عدم الاستغلال.. والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات.. فقد وفر لهم نظام صدام حسين كل ذلك.. وهم الذين بكوه بحرقة.. فى قراهم ونجوعهم البعيدة.. ويترحمون عليه وعلى أيامه لسنوات كثيرة قادمة.. ويرون فيه ضحية لتواطؤ لئيم وخبيث بين أمريكا وإسرائيل من ناحية وأكثر الأنظمة العربية والإسلامية من ناحية أخرى..

وتقر العمالة العربية والإسلامية - بدرجات وعيها وتنوعها الثقافى - التى فتح لها العراق أبوابه.. بأنها عاشت سنوات فى مجتمع شديد الانضباط عكس الفوضى التى يعانون منها فى بلدانهم - تتعايش فيه كافة الأطياف السياسية، والعرقية، والدينية، والمذهبية.. برؤاهم، وحركتهم، وصحفهم.. داخل إطار الجبهة التى كان يرأسها حزب البعث الحاكم.. وبرغم الهامش الضيق الذى كانت تتحرك فيه.. فإن ذلك لا يتوفر شىء منه، ولا يعترف به فى أكثر بلداننا العربية والإسلامية.. بل أكثر من ذلك فقد منح النظام الأكراد حكمًا ذاتيًا، وسمح لهم بإنشاء مدارسهم.. واعتماد لغتهم التى يقال إنها مجرد لهجة لا أبجدية لها.. وإن كانت جهود حثيثة قد بذلت لترميم لغة كردية معتمدة على اللغات العربية والفارسية والتركية.. وهى أمور تعتبر المطالبة بها أو الإشارة إليها جريمة وطنية بالنسبة لأكراد تركيا وإيران.. الذين يزيدون على أضعاف كرد العراق.

ويتجاوز البعض، ممن يفترض حيادهم، فيؤكدون مشروعية «الصرامة القاسية» طالما لم تستخدم لحساب أجنبى، أو لتحقيق مكاسب، ويكفى أنها كانت وراء «فرض» الوحدة الوطنية التى لم تتحقق للعراق من قبل، ووأد المؤامرات والانقلابات - التى لم

تكن تتوقف ـ لما يقارب الأربعين عامًا.. وتحقيق الانضباط.. الذى تم فى ظله إعادة بناء مرافق الدولة.. وتأسيس قاعدة تعليمية وعلمية عالية الكفاءة، وصناعة مدنية، وعسكرية ذات طموحات غير مسبوقة.. وجيش قوى.. والكثير مما ورد على الصفحات السابقة من تقدم فى مختلف المجالات..

ومن المؤكد أن التربص بالنظام العراقى.. من قوى المعارضة بالداخل والتى ترتبط بأطراف إقليمية دولية.. وتمتلك من السلاح والقوات المدربة ما يؤهلها للانقضاض الشرس على النظام بمجرد تعرضه لإغفاءة.. كذلك المؤامرات الأمريكية، التى لا تتوقف.. والضغوط المتزايدة خاصة بعد توقف الحرب العراقية الإيرانية.. واصرارها على تحجيم القوة العراقية، وتحديد الجيش وإرغام صدام حسين على الدخول ضمن تحالفات ما بعد كامب ديفيد.. وهى الأمور التى رفضها جميعًا مع ادراكه للخلل الاستراتيجى فى المنطقة، وفقدان الحليف، ومن المؤكد أن كل ذلك قد دفع النظام إلى تشديد الرقابة والحذر.. وهو الأمر الذى يؤدى بالضرورة لتضخم الأجهزة السياسية والأمنية، والتجاوزات المختلفة تحت شعارات صون الدولة والحفاظ عليها وحماية النظام.. وهى ضريبة مُرة تتحملها المجتمعات التى تمر بمثل ظروف العراق..

لقد كان الفخ الأمريكى محكمًا.. وسقطت فيه العراق وإيران بفعل الغفلة والعناد.. وعدم التقدير الصحيح للأمور.. حتى انهكت قوى البلدين.. وبدأت أمريكا بالعراق فى مخطط تحقيق استراتيجيتها فى الشرق الأوسط والقائمة على دعامتين: ضمان أمن إسرائيل، والسيطرة على نفط الخليج.. وهو ما لا يمكن تحقيقه ـ باعتراف أمريكا ـ قبل إسقاط النظام العراقى، وإخضاع العراق تحت دعاوى واهية وكاذبة.. تحذر من العراق الذى يشكل تهديدًا لجيرانه.. وتهديدًا للولايات المتحدة نفسها التى يبعد عنها بسبعة آلاف ميل..

وباختصار شديد.. فقد تعرض العراق لمؤامرة.. ربما لم تتعرض لمثلها دولة من قبل.. من حيث تنوع أطرافها.. وتعدد قواها.. وانتشارهم داخل العراق وخارجه.. وتمركزهم فى محيطه الإقليمى، والدول التى كانت شقيقة.. بالإضافة إلى نفاذ القوى المتآمرة إلى مراكز الضغط والتدبير فى البيت الأبيض والبنتاجون.. ومهما قيل عن

قسوة صدام حسين.. فإنها لا تقارن بجزء يسير من قسوة المعارضة.. التى أوصلتها إلى قمة الخيانة السافرة.. وبيع الوطن بالولاء الطائفى.. أو العرقى.. أو المذهبى.. أو بالدولار..

لقد لعبت المعارضة العراقية فى الخارج، وبالتحديد فى الولايات المتحدة دورًا مركبًا لا يمكن وصفه إلا بالخيانة.. خليط متنوع.. يضم سياسيين محترفين.. وتقدميين سابقين.. وحفنة من البعثيين المنشقين، وعددًا من رجال الدين الشيعة.. وبضعة أكاديميين عراقيين وعرب ربطوا مصيرهم بالدوائر الصهيونية الأمريكية.. وعملوا فى خدمتها.. يقودهم أحمد الجلبى.. لص البنوك، ومؤسس المؤتمر الوطنى العراقى فى المنفى.. والمقرب من ا لبنتاجون ومستشار وولفوتيز نائب رامسفيلد.. ومعه كنعان مكية الذى يسمونه فى العراق بالماسونى، وقد بدأ ظهوره فى السبعينيات، حيث كان على صلة وثيقة بالجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين.. ثم اختفى فترة ليظهر فى أمريكا فى التسعينيات كمعارض عراقى يكتب مهاجمًا العراق وصدام حسين، والمثقفين العرب.. متهمًا إياهم بالانتهازية.. ويفاخر بأنه تحدى النظام العراقى، وتحدى الرقابة على الذات التى يمارسها الكتّاب العرب.. ويعلن أنه يرأس مجموعة تابعة لوزارة الخارجية الأمريكية مهمتها التخطيط لعراق ما بعد الحرب، وما بعد صدام ونظامه.. وهو الذى أعلن على الملأ أن أصوات القنابل المنهمرة على بغداد هى أعذب موسيقى سمعتها أذناه..

وفؤاد عجمى.. وهو شيعى من جنوب لبنان برز لفترة كمعلق ومحلل سياسى تقدمى منحاز للفلسطينيين.. ثم تبناه اللوبى الصهيونى فى أمريكا.. «كشاهد من أهلها» يعلن فى كل مناسبة أن العرب دون مستوى البشر.. ووجودهم لا يعنى شيئًا.. ويعتبر من أشد المحرضين ضد العراق.. ويتفق مع عدنان مكية على ضرورة غزو العراق، ونزع هويته العربية.. وتخليصه من هويته الإسلامية وقدراته العسكرية.. ليصبح عراقًا جديدًا غير عربى.

وكان هؤلاء.. وغيرهم.. يعملون بالتنسيق مع برنارد لويس، أهم مستشارى الإدارة الأمريكية، مستشرق فى الثمانين من عمره، ضمن له عداؤه للشيوعية، واحتقاره

للعروبة والإسلام مكانة متميزة فى أمريكا وإسرائيل.. ويعتبره المحافظون الجدد من الخبرات الكبيرة.. التى عملت لفترة طويلة فى الاستخبارات البريطانية أيام الحرب العالمية الثانية.. ومن تخريجاته أن استراتيجية أمريكا فى الشرق الأوسط يجب أن تدرك الفروق بين دول المنطقة.. فهناك دول بحكومات وشعوب تؤيد الولايات المتحدة «الأردن - مصر - المغرب» ودولتان بشعبين مؤيدين للولايات المتحدة وحكومتين معارضتين «العراق - إيران» ودولتان بحكومتين وشعبين معارضين للولايات المتحدة «سوريا - ليبيا»..

ويفضح - دون قصد - ادعاءات أمريكا بأنها قوة الخير فى مواجهة الشر، ونموذج لإنكار الذات فى سبيل الآخرين.. ومن ثم فهى تسعى لتحويل العراق إلى دولة ديمقراطية، تحت حكم ديمقراطى.. عندما يكتب «إن فكرة إقامة نظام ديمقراطى فى بلد كالعراق تبدو خارقة للطبيعة.. فالعرب مختلفون عنا، وعلينا أن نكون أكثر عقلانية فيما نتوقعه منهم.. وما يتوقعونه منا.. فمهما فعلنا.. فإن مصير هذه الدول معروف.. وهو الخضوع لحكم «طغاة فاسدين».. وسيتمثل الهدف من سياستنا بالتأكيد.. أن يكون هؤلاء الطغاة.. موالين، غير معادين»..

وقد قام كل هؤلاء وغيرهم.. ببيع صفقة خاسرة للولايات المتحدة.. بعد مغازلة شركات النفط الأمريكية الكبرى، ومغازلة الدوائر الصهيونية أيضًا.. عندما صرح أحمد الجلبى علنًا بأنه ينوى التوقيع باسم العراق على معاهدة سلام مع إسرائيل كخطوة أولى فى مسيرة الدولة الجديدة.. وملأوا الآذان الأمريكية بحكايات وقصص خيالية.. عن الحرب الخاطفة.. التى هى بمثابة نزهة.. والجنود العراقيين الفارين.. والحشود المرحبة.. حتى اقتنعت الإدارة الأمريكية بصفقتهم الفاسدة.. وصرح أكثر من مسئول فى البنتاجون بأنها «لن تكون حربًا بالمعنى المفهوم.. إنها مجرد جولة محسوبة بدقة، سوف تستغرق من ٦٠ - ٩٠ يومًا.. يتم خلالها السيطرة على العراق.. برضاء وترحيب أهله، وتخليصه من الطغاة إلى الأبد.. وإجراء التغييرات اللازمة.. ثم تسليم الأمر للجلبى والمؤتمر الوطنى العراقى.. وبعدها يمكن لوزارة الدفاع الأمريكية أن تنفض يدها من المسألة كلها.. وترحل بسرعة.. وخفة.. وسلاسة.. مخلفة عراقًا

جديدًا.. ديمقراطيًا.. متجاوبًا مع رغباتنا ومتطلباتنا».

وعندما انكشف فساد الصفقة... وسقطت مزاعم الخونة، ومعها الصلف الأمريكى أمام المقاومة العراقية الباسلة. أعلن العملاء سخطهم الشديد على العراقيين لمقاومتهم للغزو.. وعرض أسرى الحرب على التليفزيون العراقى.. ولم تهتز نفوسهم المترعة بالخيانة أمام القصف الوحشى للمدن والأسواق.. والمساكن.. ودور العبادة.. وعرض الأسرى العراقيين المجبرين على الركوع على شاشات التليفزيون.. والتمثيل بهم فى سجن أبو غريب.. وتدمير ونهب واحدة من أغنى حضارات العالم..

ولم يتورع الخونة عن مشاركة القوات الغازية والصهاينة فى تخريب وسرقة المتاحف والمكتبات وتخريب التراث العراقى، وتشويه معالمه بصورة أشد قسوة، وأكثر حقدًا مما فعله المغول.. ونفذه هولاكو عام ١٢٥٨، ومن بعده تيمور لنك عام ١٤٠١..

وإذا كان النصب البابلى الذى يزن عدة أطنان.. ويصور ما عرف تاريخيًا بالسبى البابلى.. والذى يعتبره المتخصصون وعلماء الحضارة.. والآثار.. أحد أهم معالم الحضارة العراقية.. والتراث الإنسانى عامة، قد تم نقله إلى إسرائيل.. بعد الحملة التى قادها الموساد على المتحف الوطنى العراقى عقب سقوط بغداد.. بدعم من القوات الغازية.. وخونة العراق.. فإنه الدليل الواضح على اعتماد الصهيونية للمنهج المغولى.. منهج هولاكو مدمر الحضارات.. وهو ما نفذه شارون وجيشه عند اجتياحه لأراضى السلطة الفلسطينية مارس/ابريل ٢٠٠٢، لقد دمر شارون وجنوده كل جهاز كمبيوتر، وكافة السجلات الرسمية، وأجهزة تشغيل الكمبيوتر فى المكتب المركزى للاحصاء.. وفى وزارات التعليم.. والمالية، والصحة.. والمراكز الثقافية.. ودمروا المكاتب.. وحرقوا المكتبات.. وكل ماله علاقة بالعلم والتعليم.. وبعدها بأيام وبالتحديد فى يونيو ٢٠٠٢ وصف بوش شارون بأنه «رجل سلام»!!

وإذا كان هولاكو المغولى.. قد اجتاح العراق عام ١٢٥٨ بجنوده من الرعاة، والغوغاء.. وشذاذ الآفاق.. وأعداء الحضارة والإنسانية.. فقتل حاكمها الشرعى، آخر خلفاء العباسيين.. وذبح أهل بغداد، وعاث تدميرًا، وحرقًا، ونهبًا، وتخريبًا لمتاحفها، وآثارها، ومكتباتها.. ودور العلم.. ودور العبادة.. وكل وجه للحضارة.. وأغرق حضارة

الدنيا، وعاصمة الحكمة والعلم والثقافة فى بحار من الدم والأطلال.. فقد عاد هولاكو الأمريكى ليعيد نفس المشهد عام ٢٠٠٣ بحذافيره، وآلياته، وأهدافه وان كان هولاكو الجديد قد عاد مصحوبًا بحلفائه الصهاينة.. وعملائه الخونة المنسوبين ظلمًا وزورًا إلى العراق.. وشعب العراق.. الخونة الذين باعوا أنفسهم، وانمحت ضمائرهم.. وقست قلوبهم فكانت كالصخر أو أشد قسوة.

ونتساءل: هل بقى هناك ما يمكن الاختلاف حوله.. وهل مازال الظرف مناسبًا لرفاهية الجدل حول قسوة صدام حسين أو تبريرها بقسوة خصومه؟

لقد تعرض العراق وشعبه.. وصدام ونظامه.. إلى أبشع أنواع التآمر الخبيث والتربص الذى لم يهدأ لحظة.

فى الجنوب.. كانت هناك الشيعة.. وعند ذكر الكلمة تتثاقل الهموم على القلب.. فالشيعة مع السُّنة يمثلون جوهر الإسلام.. ماضيه، وحاضره، ومستقبله، والفروق الفقهية بينهما.. لا تزيد على الفروق بين المذاهب السُّنية.. والقيادة المعاصرة للشيعة المتمثلة فى الثورة الإسلامية التى انطلقت من إيران.. فاهتزت لها قلوب المسلمين فى أركان الدنيا.. سُّنة وشيعة.. قوة مضافة إلى الإسلام والمسلمين، وحصن جديد لدول المنطقة.. فى مواجهة أعداء الأمة العربية والاسلامية.. أمريكا وإسرائيل.. وقد وعت الشعوب تلك الحقيقة.. وعبرت عنها بكل ما تملك فى مناسبات عديدة.. لن يكون آخرها ذلك التأييد العارم، منقطع النظير لحزب الله فى لبنان.. والمساندة الهائلة لحق إيران فى امتلاك التكنولوجيا النووية.. والشعوب العربية والإسلامية فى ذلك تسير عكس تيار الحكام، والأنظمة المهيمنة.. وتتحمل فى سبيل ذلك الكثير.. ولكنها تتحرك بإصرار وبوحى من ضمائرها.. وتترك بوصلتها إلى شعورها الجمعى يوجهها إلى حيث الحقيقة.

ومن المؤذى للمشاعر.. أن يذكر لفظ الشيعة فى غير محله.. ولكن ما الحيلة؟.. وجاء المخرج فى تصريحات قريبة للمرجعيات العليا الشيعية فى إيران - بعدما حدث فى العراق - بأن الشيعة مثل كل العقائد، والمذاهب.. فيها المعتدلون والمتطرفون.. العقلاء والسفهاء.

وما أكثر المتطرفين والسفهاء الذين تنضح نفوسهم بالحقد الأعمى الذى يورث الكفر.. والتشفى البغيض واللئيم.. والاندفاع المجنون للانتقام، وتصفية حسابات قديمة.. بكل القسوة الموتورة.. واللاإنسانية.. فى العراق.. وما اكثر المتطرفين والسفهاء.. المترعة قلوبهم ومازالت بالبغضاء الماجوسية والشاهنشاهية للعراقيين والعرب عامة، لم تطلها سماحة الاسلام الذى وحد بين الجميع.. وأضاء القلوب بنوره الذى يطارد ظلام البغضاء، والحقد، والانتقام، والثأر الاعمى.

لقد عانى العراق، وصدام ونظامه.. على سنوات حكم البعث من مؤامرات المتطرفين والسفهاء المدعومين من النظام الشاهنشاهى، ؛اسرائيل وامريكا.. وقد تعددت محاولات صدام معهم.. مرة بالعنف جيشا لجيش.. ومرات بالتفاهم مع «المنبع».. شاه ايران، واعوانه فى امريكا واسرائيل من خلف الستار.. وعندما سقط حكم الشاه.. لم يتغير الامر كثيرا.. وظل النظام الاسلامى الثورى يدعم قوى الشيعة العراقية المناوئة لصدام ونظامه.. وان كانت امريكا واسرائيل قد ابتعدتا.. او تم اقصاؤها الى المعسكر المعادى للثورة والمتربص بها.

وفى ذلك المناخ.. حقق المتطرفون والسفهاء من شيعة العراق مكاسب لم تتوفر لهم من قبل.. وفتحت لهم ايران ابوابها على امتداد ١٣٥٠ كيلو مترا من الحدود المشتركة مع العراق.. ونشطت عمليات التجنيد، والتدريب، والتسليح.. للعديد من الميليشيات، والفيالق.. والجيوش.. يرتبط كل منها - سياسيا - بتيار معين، وشخص محدد.. وفقا لمعايير قبلية وعشائرية.. وطموحات شخصية.. وان كانت كلها تحت مظلة الشيعة التى اتسعت للمعتدلين والمتطرفين.. والعقلاء والسفهاء.. للدرجة التى اخترق فيها البعض منهم الحدود، الى البنتاجون، والبيت الأبيض والدوائر الصهيونية.. يحرضون على العدوان.. ويبذلون النصائح والمعلومات.. ويخططون لما بعد صدام.. بينما آلة الحرب الامريكية تتوافد على الدول - الشقيقة - المجاورة وتتجمع حول حدود العراق.. وتسمع اصداؤها خلف الحدود العراقية مع ايران.. حيث تحتشد ميليشيات حزب الدعوة.. وفيالق المجلس الاعلى للثورة الاسلامية،.. وجيش المهدى.. وميليشيات بدر «١٥٠ألف مقاتل».. وعشرات التنظيمات العسكرية.. التى تأهبت وكأنها على موعد

مع جيوش امريكا وبريطانيا.. واصابع الموساد.

وقد انهمرت تلك القوات عبر الحدود العراقية الايرانية مع بدء الحرب فى ٢٠مارس ٢٠٠٣، وعينها على النظام وقواعده، وحزب البعث وتشكيلاته.. والمسلمين السُّنة.. وليس قوات الغزو.. وقد ارتكبت فى اندفاعها المجنون - ما لانحب الخوض فى تفاصيله - بشاعات طالت المقار الحكومية، والمؤسسات، والشركات، والمستشفيات.. والأحياء السكنية.. والتجمعات المدنية.. وأماكن إيواء النازحين.. وساعدها التقارب المريب بين قوات الاحتلال والقيادات الشيعية العراقية التى صاحبت الغزو، وتلك العابرة للحدود مع قواتها.. على التسلل إلى قوات الأمن، والقوات العسكرية الجديدة.. التى حاولت قوات الاحتلال تشكيلها كبديل للجيش العراقى، وقوات الأمن التى تم تفكيكها وتسريحها عقب غزو بغداد.. وقد ارتكبت تلك القوات «الشيعية» المتسللة.. بملابسها العسكرية بشاعات لا يمكن وصفها ضد كل ما هو عراقى.. وخاصة المسلمين السُّنة.. ولعبت أصابع الموساد التى غاصت إلى الأعماق، دورها المعهود فى تأجيج الصراع.. وإلهاء العراقيين بثأراتهم.. فنسفت مساجد، ومزارات وحسينيات.. ودمرت رموزًا شيعية وسُّنية بالتبادل.. وقامت باغتيال قيادات نافذة من الجانبين.. حدث كل ذلك تحت الرعاية الكاملة من أمريكا.

وبلغ حمق المتطرفين والسفهاء، من شيعة العراق مداه.. بتنفيذ طقوس الانتقام المروع.. والحقد البشع.. والتطرف اللاإنسانى المجنون.. باغتيال صدام حسين.. اسلوبا، وتوقيتا.. تسبب فى ايذاء المشاعر. والنفور والادانة.. على طول العالم الاسلامى والعربى... وخصم - مع الاسف الشديد - من رصيد الثورة الاسلامية.. فى نفوس الملايين.

ولا نجد داعيًا للاستطراد.. ويكفى أن قوات الاحتلال.. قد استدارت باتجاه متطرفى وسفهاء الشيعة العراقيين.. بعد ان استخدمتهم لفترة.. وقد بدأت بجيش المهدى التابع لمقتدى الصدر، والذى يبلغ تعداده ٦٠ ألف مقاتل مدججين بالسلاح.. فتم طرد عناصره المتسللة الى الجيش، وقوات الامن.. والاعتقالات، والمواجهات المسلحة.. وراحت تتوالى عمليات التصفية لكل من سمح له ضميره المريض بمعاونة قوات

الاحتلال.. وهو امر بديهى ومتوقع من قوات الغزو الامريكى.

وبعيدا عن كل ذلك، يقف بعض الاكراد.. كأن لا ناقة لهم ولا جمل فى صراع المطالبين بحكم العراق.. لانهم يرون ان من حقهم اقامة دولتهم القومية على ثلث الأرض العراقية الشمالى.. استنادا إلى حق تقرير المصير الذى يضمنه القانون الدولى لكل الشعوب.

وبعض أكراد العراق يمثلون حالة خاصة فى التاريخ.. فهم لم يعترفوا أبدًا بأنهم جزء من العراق.. وفى ثقافتهم الشعبية ـ السرية ـ أن الأرض التى يسكنها شعب العراق العربى ليست جزءًا من الأمة العربية.. ولديهم خريطة يتداولونها فيما بينهم لكردستان الكبرى التى تضم أرض العراق من شماله إلى جنوبه.. على غرار خريطة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وبعض أكراد العراق يكنون كراهية غريبة للعرب.. ويحاولون من زمن انكار عروبة العراق وأرض العراق.. ويرفضون التاريخ جملة وتفصيلا فيما يتصل بهذه الأمور.. بل يرفضون ما كتبه بعض مؤرخيهم عن المنطقية الشمالية التى يطلقون عليها كردستان العراق.. والتى كانت موطنًا للآشوريين والكلدان.. ثم التحق بها ـ إلى جوارهم ـ العرب والتركمان.. قبل أن تدفع الدولة العثمانية بالأكراد إلى تلك المنطقة.. كمفرزة متقدمة فى مواجهة الدولة الفارسية الصفوية.. وبوجه الأرمن.

وفى ظل الاحتلال الأمريكى، وتحت حمايته.. ودعم الدولة الصهيونية، الحليف الأساسى للأكراد.. اكتسب قادتهم جرأة مفاجئة.. وبدأوا تدريجيا فى إعلان ما حرصوا على إخفائه، والافصاح عن مشاعرهم بكل وضوح.. ولم تجد جريدة الطالبانى التى تصدر فى بغداد حرجًا فى الهجوم على العرب كقومية.. فقد نشرت جريدة «الاتحاد» التى يصدرها الاتحاد الوطنى الكردستانى مقالا طويلاً لم يترك سوأة، أو مذمة إلا ألصقها بالعرب «عندما تجد أمة تتكلم كثيرًا، وتأكل كثيرًا، وتكذب كثيرًا، ومتخلفة كثيرا.. فلا تستغرب عندما تكون هذه الأمة هى الأمة العربية».

لقد ظل الأكراد كيانًا انعزاليًا، منذ قامت لهم قائمة فى شمال العراق.. وحافظوا على هويتهم تلك ـ ان جاز التعبير ـ مع كراهية شديدة للعرب والعروبة.. ومناوأة نظام

الحكم العربى للعراق.. سواء فى العهد الملكى أو العهد الجمهورى.. كان أمامهم النموذج الصهيونى فى فلسطين.. فتمثلوا التجربة بكل تفاصيلها.. وانهمكوا فى تشكيل العصابات الإرهابية المسلحة.. التى تزداد قوة يومًا بعد يوم.. نظير قيامها بخدمات خاصة لمن يدفع الثمن.. ويؤمن إمدادات السلاح والدعم.. مرة لحساب إيران.. وأخرى لحساب تركيا.. وثالثة لحساب السلطة الحاكمة فى بغداد.. ولم يجد الأكراد حرجًا فى التغيير المفاجئ للتوجهات، أو انقلاب المواقف.. فقد حاربت عصاباتهم وناوشت لحساب هذه الأطراف على فترات.. ثم حاربت ضدها فى فترات أخرى.. كانت تحارب صديق الأمس لحساب عدو الأمس الذى أصبح صديقًا.. والغلبة دائمًا لمن يدفع أكثر.. والويل للأكراد.. عندما تهدأ الأمور.. أو يتم التفاهم بين تلك الأطراف.. وهو ما كرس عزلة الأكراد.. وشعورهم بالحصار كجسم غريب فى المنطقة.

وجاء عام ١٩٥٨ الذى شهد سقوط النظام الملكى فى العراق.. واستيلاء الضباط على النظام وإعلان العراق جمهورية «عربية».. وقام عبدالكريم قاسم بدعوة الملا مصطفى البرزانى للعودة من منفاه فى الاتحاد السوفيتى السابق.. واستقبله بحفاوة زائدة.. وسمح له بمباشرة نشاطه السياسى من خلال حزبه الذى كان معروفًا باسم «البارتى».. الحزب الديمقراطى الكردستانى.. ووجدها البرزانى فرصة فطالب بلواء كركوك.. الذى يعتبره كرديًا.. وكان ذلك بداية الخلاف مع حكومة الثورة.. ذلك الخلاف الذى تفاقم بسرعة.. فانسحب البرزانى وتحصن مع مقاتليه فى الجبال لتبدأ حرب شرسة راح ضحيتها الآلاف من الطرفين.. واستمرت الحرب حتى بعد سقوط عبدالكريم قاسم واستيلاء البعث على السلطة عام ١٩٦٣، ثم انقلاب عبدالسلام عارف على رفاق الأمس.. ونهايته المعروفة.. ونهاية شقيقه الذى خلفه.. ولم تتوقف الحرب.. كانت تهدأ تارة.. ثم تشتعل من جديد، حسب الظروف التى تمر بها السلطة فى بغداد.

وفى عام ١٩٦٤/ ١٩٦٥ انشق الشاب الماركسى «وقتها» جلال الطالبانى، وأعلن عن قيام حزبه الجديد.. الاتحاد الوطنى الكردستانى الذى ضم مجموعة من الحركات الكردية.. ودارت معارك طاحنة بين الحزبين.. كانت تهدأ ثم تشتعل من جديد.. وعرف

الغريمان الاستعانة بالسلطة المركزية، وبدول الجوار.. ضد بعضهما البعض.. وذاق الأكراد وقتها من الظلم والعسف والاضطهاد ما لم يتعرضوا له من قبل.

وظل الفريقان الكرديان أسرى مصالحهما.. يأتلفان تارة.. ويتواجهان تارة أخرى.. ولكن موقفهما من قضية الانفصال، وتأسيس دولة قومية للأكراد.. كان واحدًا.. وهو ما تلاقت عنده طموحات الحزبين.. باعتباره القضية المركزية.. التى تتوارى إلى جانبها كافة الخلافات والمصالح الأنانية.

كانت السياسة الكردية تتبع خطى السياسة الصهيونية فى فلسطين من البداية حتى النهاية.. ولعبت عصاباتهم المسلحة باضطهاد العرب فى المناطق الشمالية.. وارتكاب المجازر.. والإرهاب والطرد.. والتهجير.. وكلها ممارسات لم تتوقف حتى اليوم.. وانفتحت شهية الأكراد للتوسع.. من خلال الزحف البطىء على حساب العرب النازحين أمام قسوة العصابات الكردية.. وعندما ظهر النفط فى كركوك.. ذات الأغلبية العربية الكاسحة.. استماتت العصابات الكردية فى الاضطهاد.. والتهجير.. وجلب العمالة الكردية إلى كركوك.. وأعلن قادتهم - على غرار إعلان شارون - ان كركوك هى العاصمة الأبدية لدولة كردستان.

وتجمع الآراء.. والتحليلات.. والواقع.. على أن الصهيونية العالمية لم تكن بعيدة عما يجرى بين الأكراد.. والعرب.. والسلطة العراقية بقيادة صدام حسين.. ومن خلال محاولات توظيف القضية الكردية صهيونيًا.. بدأ الارتباط الكردى - الإسرائيلى منذ عام ١٩٦٤، كان التطابق بينهما تامًا.. ودافعًا للتقارب والترابط.. فإسرائيل التى تشعر بالعزلة كجسم غريب زرعته أمريكا فى المنطقة.. دون حليف.. ولا تكاد تعيش دون استمرار الرعاية الأمريكية.. والأكراد أيضًا يبحثون عمن يزرعهم فى المنطقة كجسم غريب، دون حليف، ويرعاهم.. ولو كان الشيطان نفسه.

ورغم مبادرة صدام حسين، واقرار الحكومة العراقية فى ١٩٧٠ بمطالب الأكراد فى الحكم الذاتى.. وتحقيق الكثير من مطالبهم الخاصة باللغة، والتعليم، والثقافة، والحصول على المناصب العليا والحساسة فى الدولة.. وهو ما لم يحظ بشىء منه أكراد إيران.. أو اكراد تركيا.. مع ان اعدادهم فى أى من الدولتين أضعاف مضاعفة

بالنسبة لأكراد العراق.. رغم كل ذلك.. فقد استمر أكراد العراق فى التآمر.. وتنسيق المواقف مع الحليف الوحيد فى المنطقة.. إسرائيل.. ففى عام ١٩٧٣، تحركت القوات العراقية إلى الجبهتين السورية والأردنية.. سارعت قيادات الأكراد - مدفوعة بالخيانة - لمفاوضة الصهاينة حول امكانيات دعمهم فى حال استغلال الموقف وشن الحرب ضد الحكومة المركزية فى بغداد.. ولا يمكن نسيان ما جرى حين دفعت إسرائيل شاه إيران للوقوف إلى جانب الأكراد فى قتالهم الذى استمر لأكثر من عامين.

وقد يعتقد البعض.. أو يصدق مزاعم قيادات الأكراد فى أن وراء كراهيتهم للعرب والعروبة.. وحقدهم عليهم.. والتربص الدائم بهم.. تاريخًا طويلاً من الأضطهاد والتهميش.. وواقع التاريخ يدحض كل ذلك، ويكشف زيفه وكذبه.. فقد تعامل معهم العرب بسماحة كاملة.. واعتبرتهم السلطة العربية ملكية وجمهورية.. كجزء من شعب العراق.. رغم تباعدهم، وانعزاليتهم.. التى كانت وراء أطماعهم التى اتضحت فيما بعد.. ويكفى أنهم، وهم قلة قليلة، كان منهم من تبوأ رئاسة الحكومة.. ومناصب الوزارة.. وقيادة الجيش.. والسفارة عن العراق.. فقد تولى رئاسة الوزراء الفريق نور الدين محمود.. ثم أحمد مختار بابان.. كما تولى محمد أمين زكى وزارة المعارف.. وسعيد قزاز وزارة الخارجية.. أما بكر صدقى فقد تولى رئاسة أركان الجيش.. وكذلك مناصب السفراء فقد تولاها عدد كبير من الأكراد.. منهم اللواء بهاء الدين نورى، وعلى حيدر سليمان.. وطه معروف، وجلال الجاف.. أما طه محيى الدين معروف - فقد عين نائبًا لرئيس الجمهورية «صدام حسين».

المسألة إذن ليست الاضطهاد أو التهميش.. ولكنه التعصب، وداء الشوفونية اللعين الذى تمكن منهم.. ويعمل قادتهم على زرعه وتغذيته.. حتى أن استبيانًا جرى لتلاميذ المدارس الابتدائية فى المناطق الكردية.. جاءت فيه إجابات التلاميذ صادمة للعقل.. إذ قالوا إنهم يفضلون تعلم اللغة الانجليزية، أو أى لغة أخرى غير اللغة العربية التى حملها إليهم العرب على إبلهم.

ولعل الحرب الأخيرة التى استعادت خلالها أمريكا وحلفاؤها من الصهاينة مشاهد الغزو المغولى للعراق.. عندما تمكن هولاكو من احتلال العراق، واغتيال حاكمه

الشرعى.. وإغراق البلاد فى بحار من الدم والخراب.. لعلها تكون شاهدًا على خيانة قادة الأكراد.

فليس هناك من يستطيع انكار علاقة العمالة، التنسيق بين قادة الأكراد والولايات المتحدة والصهاينة.. وهى علاقات قديمة.. كان أحد أطرافها شاه إيران.. وعندما همت قوات الغزو بالتحرك كانت العصابات الكردية فى حالة استنفار.. وانتظار الاشارة بالانقضاض.

وقد اعترف بكل ذلك المحللون العسكريون الأمريكيون الذين رافقوا قوات الغزو.. وأبدوا اعجابهم الشديد بقوات الأكراد.. والدور الأساسى الذى لعبته خلال ما أطلقوا عليه «حملة الشمال».. وتفاصيل ما كتبوه كثيرة ومتشعبة.. وصدرت كلها فى كتب تمت ترجمتها إلى العربية، وهى متوفرة الآن فى الأسواق.. وكلها تجمع على أن حملة الشمال التى بدأت أواخر مارس وأوائل ابريل ٢٠٠٣ كانت من العوامل الأساسية التى ساعدت على غزو بغداد.

كانت مهمة الحملة - التى حدد ميدان قتالها بامتداد الثلث الشمالى للعراق - تتحدد فى تطويق القوات العراقية وتدميرها، ومنعها من التحرك لنجدة بغداد.. ثم السيطرة على المدن الرئيسية كالموصل وكركوك.. وآبار النفط فى الشمال.. وما يصاحب ذلك بالطبع من إدارة حرب مدن شرسة.. لتطهير المدن والقرى.

ومع تجاوز بعض المبالغات التى قد يلجأ لها المحللون، فإن المهمة قد أوكلت إلى العقيد كليفلاند، رجل المهام الصعبة، ولم يكن متوفرًا للانخراط تحت قيادته سوى ثلاث كتائب من مجموعة القوات الخاصة العاشرة.. ولما تساءل عن امكانية تدمير ثلث العراق الشمالى واحتلاله بهذه القوات المحدودة.. قيل له تحرك.. وسوف تلتقى هناك بحلفاء لنا يسدون عين الشمس.

يقول المحللون العسكريون الذين رافقوا كليفلاند.. انه قام على الفور بتكوين جيش من قواته المحدودة بالتحالف مع جيش الحزب الديمقراطى الكردستانى (٤٥ ألف مقاتل) وقوات حزب الاتحاد الوطنى الكردستانى (٢٥ ألف مقاتل).. وكانت القيادة الأمريكية تشير إلى «جيش كليفلاند الجديد» بالبشمرجة.

كانت هناك داخل الخط الأخضر.. قوات متعددة.. معظمها مدعوم من إيران.. بالإضافة إلى ٣ آلاف إيرانى من مجاهدى خلق المدربين جيدًا .. والمسلحين بكل الإمكانيات.. بالإضافة إلى أنصار الإسلام وهم قوة خاصة من ألف رجل.. تقودهم عناصر من القاعدة، وتقع معسكراتهم داخل إحدى أكثر المناطق وعورة فى الشرق الأوسط.. وهؤلاء بالذات تم قتلهم عن بكرة أبيهم بسبب انتسابهم إلى القاعدة.. ولولا البشمرجة، ومعرفتها بالدروب والكهوف، وتسلق حافات الجبال ما أمكن الوصول إليهم.

أما الخط الأخضر فكان هناك فيلق من الحرس الجمهورى، وثلاثة من فيالق الجيش النظامى بالاضافة إلى فدائيى صدام.

وقد تم تقسيم قوات البشمرجة إلى ست مجموعات.. وقام كليفلاند بتوزيع بعض أفراد كتائبه الثلاث على المجموعات الست.. وبدأت الحرب.

يعترف المحللون العسكريون صراحة بان قوات البشمرجة.. أثبتت مهارة، وشراسة منقطعة النظير.. كانت تحكم حصارها للقوات العراقية، ويتولى الإسناد الجوى من حاملات الطائرات.. بقنابلها زنة ٢٠٠٠ رطل تدمير القوات العراقية المطوقة.. وتتقدم قوات البشمرجة مترجلة باتمام المهمة، وتطهير المنطقة من الأحياء.. والفارين.. وان قوات البشمرجة هى التى هاجمت مطار باشور.. وقامت باحتلاله.. والتصدى للقوات العراقية التى حاولت استرداده.. وتدميرها .. وهى التى قامت بالجهد الأساسى سواء عند الخط الأخضر.. أو فى شمال الموصل.. وأنها التى استطاعت السيطرة على جبل «مقلوب» الذى يطل على بوابة الموصل.. وقامت قواتها مترجلة بتطهير القرى، وأماكن التجمعات العراقية ليصبح الطريق مفتوحًا إلى كركوك والموصل.

ولاحظ المحللون ان قوات البشمرجة الكردية كانت مدفوعة إلى القتال الشرس بمشاعر الانتقام والتشفى.. وهى ملاحظة فى محلها .. لأن الأكراد لم يشعروا يومًا أنهم جزء من العراق.. ولم يعترفوا ـ وهم الأقلية القليلة ـ بأية حقوق للعرب.. وكانت الخيانة سبيلهم للتعاون حتى مع الشيطان لتحقيق نواياهم الانفصالية.. وقد بدأوا على

الفور عمليات التطهير العرقى.. والتهجير القسرى لعرب كركوك.. سنة وشيعة.

وعقب سقوط بغداد.. قاموا باجتياحها، كقوات غزو.. وقوة احتلال.. واستباحوا كل شىء فى بغداد.. وسيطروا على الفنادق الفخمة ليجعلوا منها مقارات لقادتهم.. وعشرات القصور.. والدور بعد قتل وطرد ملاكها البعثيين.. ومبانى العديد من المؤسسات والمطابع.. وانهمكوا فى قيادة وترأس اجتماعات الفصائل المصنوعة أمريكيا لمزيد من التنسيق مع المحتلين، لتكريس شرعية الاحتلال.. وكأنهم يقدمون القرابين لقوات الاحتلال الأمريكى الصهيونى لنيل الرضا.. والحصول على قرار بدولتهم القومية وعاصمتها كركوك.. فى ظل غياب السلطة المركزية.. والفراغ السياسى.

والآن.. هل بقى ما يمكن قوله؟.. فى مسألة القسوة.. قسوة الحاكم.. وقسوة الخيانة.. وهل يمثل ما رصدناه من حقائق.. وبشاعات.. انحيازًا لمن برروا قسوة صدام حسين.. بالقسوة البالغة لأعدائه.. وأن قسوة صدام كانت فى أغلبها لصالح العراق.. وشعب العراق.. وقضايا العراق.. أما القسوة البالغة لأعدائه.. قسوة الانتقام والتشفى.. والتعصب.. وغياب الضمائر.. وبيع الوطن.. فهى قسوة لصالح الشيطان؟

وثائق

من خطب صدام حسين

نص الإعلان القومى
للرئيس صدام حسين فى العام ١٩٨٠

وجه الرئيس صدام حسين فى الثامن من شباط عام ١٩٨٠ إلى الأمة العربية الإعلان القومى لتنظيم العلاقات القومية بين الأقطار العربية وعلاقاتها مع الدول المجاورة للوطن العربى.. وفيما يأتى نص الإعلان القومى.



فى ضوء الأوضاع الدولية فى الوقت الحاضر واحتمالات تطورها فى المستقبل وما تنطوى عليه من احتمالات خطيرة تهدد السيادة والأمن القومى العربى من ناحية والأمن والسلام فى العالم من ناحية أخرى.

واستجابة لدواعى المسئولية القومية تجاه الأمة العربية شعبا وأرضا وحضارة وتراثا وتماشيا مع مبادئ حركة عدم الانحياز يجد العراق نفسه مدعوا إلى المبادرة بإصدار هذا الإعلان ليكون ميثاقا لتنظيم العلاقات القومية بين الأقطار العربية أولا وتعهدا من الأمة العربية تجاه الدول المجاورة للوطن العربى التى تعلن احترامها لهذا الميثاق والالتزام به ثانيا.

أن الإعلان يقوم على المبادئ التالية:

أولا: رفض تواجد الجيوش والقوات العسكرية وأية قوات وقواعد أجنبية فى الوطن العربى أو تسهيل تواجدها بأية صيغة من الصيغ وتحت أية ذريعة أو غطاء لأى سبب من الأسباب وعزل أى نظام عربى لا يلتزم بهذا المبدأ ومقاطعته سياسيا واقتصاديا ومقاومة سياساته بكل الوسائل المتاحة.

ثانيا: تحريم اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة من قِبل أية دولة عربية ضد أية دولة عربية أخرى وفض أية منازعات يمكن أن تنشأ بين الدول العربية بالوسائل السلمية، وفى ظل مبادئ العمل القومى المشترك والمصلحة العربية العليا.

ثالثا: ويطبق المبدأ الوارد فى البند الثانى على علاقات الأمة العربية وأقطارها مع الأمم والدول المجاورة للوطن العربى فلا يجوز اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة فى المنازعات مع هذه الدول إلا فى حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس ضد التهديدات التى تمس أمن الأقطار العربية ومصالحها الجوهرية.

رابعا: تضامن الأقطار العربية جميعا ضد أى عدوان أو انتهاك يقوم به أى طرف أجنبى للسيادة الإقليمية لأى قطر عربى أو دخوله فى حالة حرب فعلية معه، وقيام هذه الأقطار بالتصدى المشترك لذلك العدوان أو الانتهاك وإحباطه بكل الوسائل والطرق، بما فى ذلك العمل العسكرى وإجراءات المقاطعة الجماعية السياسية والاقتصادية وفى جميع الميادين الأخرى التى تقتضيها الضرورة والمصلحة القومية.

خامسا: تأكيد التزام الأقطار العربية بالقوانين والأعراف الدولية فيما يتعلق باستخدام المياه والأجواء والأقاليم من قِبل أية دولة ليست فى حالة حرب مع أى من الأقطار العربية.

سادسا: ابتعاد الأقطار العربية عن دوائر الصراعات أو الحروب الدولية والتزامها الحياد التام وعدم الانحياز إزاء أى طرف من أطراف الصراع أو الحرب ما لم ينتهك أحد أطراف الصراع أو الحرب السيادة الإقليمية العربية والحقوق الثابتة للأقطار العربية التى تكفلها القوانين والأعراف الدولية، وامتناع الأقطار العربية عن اشتراك قواتها العسكرية كلية أو جزئيًا فى الحروب والمنازعات العسكرية فى المنطقة وخارجها نيابة عن أية دولة أو جهة أجنبية.

سابعا: التزام الأقطار العربية بإقامة علاقات اقتصادية متطورة وبناءة فيما بينها بما يوفر ويعزز الأرضية المشتركة للبناء الاقتصادى العربى المتطور والوحدة العربية، وتحرص الأقطار العربية على الابتعاد عن أى تصرف يمكن أن يلحق الأذى بهذه العلاقات أو يعطل استمرارها وتطورها بغض النظر عن تباين الأنظمة العربية والعلاقات السياسية الهامشية التى تحدث بينها مادامت أطراف العلاقة ملتزمة بمبادئ هذا الإعلان.

وتلتزم الأقطار العربية بمبدأ التكامل الاقتصادى القومى وتتعهد الأقطار العربية المقتدرة اقتصاديا بتقديم كل أنواع المساعدات الاقتصادية للأقطار العربية بالشكل الذى يصونها من احتمالات الاتكال على القوى الأجنبية بما يمس استقلالها وإرادتها القومية.

ثامنا: إن العراق إذ يضع مبادئ هذا الإعلان يؤكد استعداده للالتزام به تجاه كل قطر عربى وأى طرف يلتزم به وهو مستعد لمناقشته مع الأشقاء العرب وسماع ملاحظاتهم حوله بما يقوى من فاعلية مبادئه ويعمق مضامينه.

كما يؤكد العراق أن هذا الإعلان لا يشكل بديلا عن ميثاق الجامعة العربية وعن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى القائمة بين دول الجامعة، بل يعتبره تعزيزا للميثاق والمعاهدة وتطويرا لهما بما يتناسب مع الظروف الدولية المستجدة والمخاطر التى تهدد الأمة العربية والمسئوليات القومية التى تترتب عليها فى الظروف الراهنة وفى المستقبل.

أيها الشعب العراقى العظيم:

يا جماهير الأمة العربية المجيدة:

إن العراق إذ يقدم هذا الإعلان ينطلق من مسؤوليته القومية التى تعلو على كل مصلحة ذاتية وقطرية وإننا إذ نتوجه بهذا الإعلان إلى الحكومات العربية باعتبارها الجهة المسئولة عن إقراره والالتزام به.. نؤمن أعمق الإيمان بأن مبادئ هذا الإعلان القومى لا يمكن أن تتحقق وتصبح ميثاقا للعلاقات العربية إلا من خلال نضال الجماهير العربية ومساندتها له، لأنه يضمن مصالحها الأساسية ويتجاوب مع مطامحها القومية فى الحرية والاستقلال ويسهل الطريق أمام الوحدة العربية.

التوقيع

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

رئيس الجمهورية العراقية

---

* **كتب فى بغداد فى ٢١ من ربيع الأول لسنة ١٤٠٠ هجرية الموافق ليوم ٨ من فبراير/ شباط ١٩٨٠ ميلادية**

كلمة الرئيس صدام حسين
فى الجلسة الختامية لقمة بغداد الاستثنائية
يوم ١٩٩٠/٥/٣٠

من هذا المؤتمر، أنا شخصياً أخذت دروسًا كثيرة مثلما هو الإنسان دائماً، إلى آخر لحظة من حياته، يغتنى من دروس الحياة. وأهم ما فى دروس الحياة هى الدروس الإنسانية.

وإن شاء الله مؤتمراتنا القادمة جميعها مثلما كان هذا المؤتمر والمؤتمرات السابقة وإن كانت فى المؤتمرات السابقة بعض المنغصات الأخوية، لكن الحمد لله أن هذا المؤتمر سار بهذه الكيفية التى هو عليها، ومع ذلك عندى ملاحظة لأقولها، كونها ملاحظة تأتى فى إطار هذا الجمع الخير، تعاوننا. تعرفون أيها الإخوة، أنه منذ عام ١٩٨٦ فإن أهم مورد فى اقتصادنا العربى جميعنا سواء كان من المملكة العربية السعودية أو العراق أو ليبيا أو الجزائر أو الكويت فى كل الدول العربية البترولية التى تشكل الآن عنوان القوة الاقتصادية فى الحياة العربية، إن أهم ما تعتمد عليه هذه الدول بالدرجة الأساس هو البترول.

فمنذ عام ١٩٨٦ وكنا آنذاك فى الحرب واجهنا ظروفاً كانت صعوبتها قريبة من صعوبات القتال، وخصوصاً عندما ترتبط بالاقتصاد وبموردنا الأساسى الذى هو البترول ذلك لأن نوعًا من الإرباك ساد السوق النفطى وحصل فيه نوع من عدم الالتزام فى قرارات الأوبك، صحيح نحن لسنا فى مؤتمر الأوبك، وأنا أقول ملاحظة ليس لأتوقف عندها، ولكن قد تفيدنا جميعاً، إن سبب هذا الارتباك هو عدم التزام بعض أشقائنا العرب بالذات فى مقررات الأوبك، عندما أغرق السوق النفطى بما هو فائض

عن الحاجة أو على الأقل يعطى مرونة للمشترين بما يجعله على حساب السعر. وتدنت الأسعار حتى وصلت أحياناً إلى سبعة دولارات. فيما يتعلق بالعراق وهو ليس أكبر إنتاجاً وليس أكبر حصة فى الأوبك، فإن كل انخفاض فى البرميل الواحد بقدر دولار واحد، وحسب ما قيل لى، فإن خسارة العراق تبلغ مليار دولار فى السنة، من هذا نتبين كم هى خسارة الأمة العربية جميعها من كل إنتاجها البترولى فى السنة.

ومن هنا يمكننا أن نجد الجواب المباشر عن سؤال: الأمة العربية بحال ممكن أن تخسر فيه نتيجة هفوة، هفوة من فنى أو غير فنى، عشرات المليارات هذه ومن دون مسوغ. لأن السوق البترولية أو لنقل أن المشترين على الأقل فى هذه السنة مثلاً، كانوا قد هيأوا أنفسهم إلى إن يتحملوا سعراً يصل إلى ٢٥ دولاراً خلال سنتين، مثلما عرفنا وسمعنا من الغربيين الذين هم أكبر مشترين فى سوق البترول.؟

إذاً هذا النزف الهائل فى اقتصادنا سببه عدم انتظام الرؤية أو عدم النظر إلى الشأن الذى نتعامل به محليًا وفق رؤية قومية.

لأنه لو حصلت رؤية بشأن القومى ككل ولمقدار الضرر الذى يصيبه فأنا أعتقد أننا سنتردد كثيراً قبل أن نُقدم على أن نلحق مثل هذا الضرر الكبير بالاقتصاد القومى بنفس الصراحة بين الإخوة والتبسيط المباشر الذى يغنينا عن النقاط ما يراد قوله من خلال التحليل، لنقل إن الحرب تحصل أحياناً بالجنود ويحصل الإيذاء بالتفجيرات وبالقتل وبمحاولات الانقلاب وأحياناً أخرى يحصل بالاقتصاد..

لذا نرجو من إخواننا الذين لا يقصدون الحرب، أعود لأتكلم هذه المرة فقط ضمن حقوق الكلام فى إطار السيادة عن العراق، فأقول للذين لا يقصدون شن الحرب على العراق أقول إن هذا النوع هو الحرب على العراق.

ولو فى الجلد ما فيه يتحمل لتحملنا، ولكن أعتقد كل إخواننا يعرفون الحال ومطلعون عليه وإن شاء الله الحال يكون دائماً جيدًا.

ولكننى أقول بأننا وصلنا إلى حال لا نتحمل الضغط، وأظن كلنا نستفيد، والأمة تستفيد، من فكرة الالتزام بقرارات الأوبك سواء كانت إنتاجاً أو أسعاراً ولنتوكل على الله.

صدام حسين

رئيس الجمهورية العراقية

نداء الرئيس صدام حسين
إلى الإخوة العرب أنظمة وحكومات وشعبا

أصحاب الجلالة والسمو والسيادة المحترمون..

أيها الإخوة العرب، أنظمة وحكومات وشعبا..

السلام عليكم..

أتوجه إليكم جميعا، هذه المرة، باسم القيادة وشعب العراق بصورة مباشرة، بنداء أخوى، بعد أن بلغ السيل الزبى، وبلغت صور التدمير والإرهاب والقتل وإهانة المقدسات والإساءة إلى الحرمات مبلغها العظيم، من قبل الكيان الصهيونى العدوانى الإرهابى المجرم، وحليفته الباغية أمريكا، ضد إخواننا وشعبنا المؤمن المجاهد فى فلسطين السليبة.. ولو حقق الشر أهدافه هناك، لا سمح الله، فإن شهيته للمزيد سوف تتسع لتصيب شعبنا وأرجاء أخرى فى وطننا الكبير أيضا، بالإضافة إلى ما أصاب ويصيب شعب فلسطين..

لذلك فإننى أتوجه إليكم، أيها الإخوة، اليوم برسالة نداء من أجل فلسطين تحديدا، ومن خلال فلسطين وقدسها المقدس، من أجلنا جميعا أيضا، ومن خلال أمتنا، من أجل الإنسانية، التى ابتُليت بطغيان التحالف الأمريكى الصهيونى الشرير..

أيها الإخوة:

إننا عندما نتوجه إليكم بندائنا هذا، لا ننطلق من خيال إلى ما هو خيال، وإنما ننطلق من إيمان عميق، وفهم لتراث أمتنا وتاريخها المجيد، الذى يشير إلى أن أمتنا كانت، فى أشد الظروف تعقيدا وقسوة، تجد طريقها عندما تستنفر قدراتها وهمتها، ومهما ادلهم عليها من خطب، وأرخى ليل عليها سدوله، تكون قادرة على أن توقد شموعا على جانبى الطريق لتضىء لها، إلى حيث اختيارها وأهدافِها عندما تهتدى.

وإننا، أيها الإخوة، ننشد الثواب من ربنا والعز فى دنيانا والدنيا الآخرة، معكم، ومن خلال جمعنا، وفعلنا المشترك، وليس بمعزل عنكم إلا إذا صرنا فى حال المضطر ليقف كلٌ على أساس الموقف الذى

يناسب رؤيته، وإيمانه، ولذلك، ورغم إننا نعرف ظروف كل واحد من عناوين الأمة الرسمية وقدراته، فإن أملنا كبير بكم، أيها الإخوة، لاستنهاض الهمة، لنفوز معا، وليس منفردين، برضا الله وامتنا والإنسانية، ذلك لأن ما يراه أى منا، من أن همومه وأعباءه، ضمن حدود القطر الذى هو فيه وعلى أساس وصف خصوصية ميدانه وقدراته، ثقيلة إلى حد الذى ينوء تحت ثقلها، فإنها بالتضامن، والتكاتف، والعمل الجماعى المشترك تغدو هى وغيرها أخف وزنا، بما يجعل همة الجماعة، أو الهمة التى تتولد من شعور التضامن والفعل الجمعى قادرة على النهوض بها، والعواتق أكثر قدرة على التحمل والثبات؛ ذلك لأن يد الله مع الجماعة المؤمنة المتكلة عليه، سبحانه، وأن من ينتصر للحق ضد الباطل، ينتصر الله له، فينصره فى الدنيا، ويعزه فى الآخرة، وله حسن الثواب..

إننا، أيها الإخوة، لا نريد أن نثقل عليكم، فنعيد التذكير بصورة وتفاصيل ما يحصل لشعبنا المؤمن المبتلى بشر الصهاينة المؤيّدين من أمريكا.. فإن ما يحصل لشعبنا وإخواننا هناك واضح بما يكفى، حتى لو اكتفينا برؤية مسرح الأحداث من على شاشات التلفزة.

أيها العرب:

كان كثير من المسئولين من بين عناويننا، وربما أوساط ومسميات بعينها من الشعب العربى أيضا، يوجهون اللوم إلى الفلسطينيين، بدعوى أن الفلسطينيين لم يقاوموا الاحتلال الصهيونى كما ينبغى، بعد العام ١٩٣٠، حتى هزيمة من هُزم من الأنظمة العربية فى عام ١٩٤٨وما بعد ذلك.

ولكن ماذا بإمكان أى منصف، وغير مشبوه أن يقول الآن عن موقف شعب فلسطين البطل، رجالا ونساء ، أطفالا وصبيانا وشيوخا؟

إن موقف شعب فلسطين المجاهد البطل، الذى تحمل بمفرده مواجهة تحالف وتآمر الصهيونية والإمبريالية المصمم أصلا ضد الأمة كلها.. يواجَه على الطرف العربى بما يشبه العجز.. وإن سبب العجز ليس ضعف إمكانات الأمة وإرادة شعبها فى كل الأحوال، وإنما ضعف إرادة أصحاب القرار، أو عدم رغبتهم فى أن يتولوا مسئوليتهم بالحد الأدنى الذى يكسبهم الشرف والوطنية وطوق النجاة إلى حيث شاطئ السلامة للجميع، ناهيك عن التنازل المؤلم عن أبسط حقوق مبادئ القومية العربية، ومعانى الإيمان الذى يرتبه على عناويننا، وعناوين غيرنا، تراث أمتنا الخالد، والمعانى التى تحملها أمتنا كأمة واحدة، جنّدها الرحمن الرحيم لتكون قدوة المؤمنين بالله الواحد الأحد، ومنارة إشعاع للإيمان والفضيلة فى قهر الباطل والانتصار للحق..

إننا، أيها العرب، مدعوون جميعا إلى أن نتذكر، ولا ننسى، حقوق الله علينا، وحقوق أمتنا، وحقوق شعبنا، بل وحقوق الإنسانية بوقفة عز، حتى لو جاءت بأى وصف يسجل لها، فوق حالة التردى والعجز الذى تشهده أمتنا أو حالة التفرج على شعبنا الفلسطينى المجاهد البطل، وهو يواجه القتل والتدمير اليومى الذى يتعرض له.. ولعلنا جميعا نتذكر ما أسفر عنه التخلى والخيانة اللذان حصلا فى العام ١٩٤٠ وما يمكن أن يقع لو استمر الحال على قياس ما حصل آنذاك..

مطلوب منا، أيها الإخوة، أن نقول بلسان واحد، وقلب مؤمن مطمئن، وبموقف لا يتخلل صفوفه ضعف يُخرج صاحبه خارج إطار الحد الأدنى من مسئوليته القومية والوطنية والإنسانية المؤمنة إن أمريكا عدوانية وإرهابية، وإن الكيان الصهيونى لم يعد كيانا مغتصبا لأرض فلسطين وأراضى العرب وحقوقهم المشروعة فى السيادة والأمن فحسب، وإنما صار مركزا إرهابيا تدميريا شريرا علنيًا ضد شعب فلسطين وضد أمتنا كلها.. وإن على صفنا أن ينبذ سياسة الخنوع والتستر والضعف والمجاملة على حساب الحق، ليقول إن أمريكا تشجع الكيان الصهيونى على البقاء على حساب العرب، وعلى قتل العرب والمؤمنين، وأن أهدافها وأهداف الكيان الصهيونى واحدة، وإن مسلكهما الشرير واحد، وأن هدفهما تدمير الأمة وإذلالها.. وأن أحداث الحادى عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١ ليست إلا غطاء أراداه ليمضيا فى منهجهما الشرير لتدمير الأمة وإذلالها، وأن علينا جميعا أن نؤجل ما نختلف عليه فيما عدا هذا.. لنقف وقفة عز يشهد لنا بها، بعد الله، التاريخ والشعب، على أننا وقفناها متضامنين، متكاتفين، شعبا وحكومات، ليحترمنا العالم، بعد أن صار هو ومجالسه التمثيلية يستهين بالعرب وإمكاناتهم وموقفهم، ولعل البعض يحتقر العرب بسبب ضعفهم، وفى مقدمة من يتصرف على هذا الأساس أمريكا، وحليفها المصيرى: الكيان الصهيونى.

وعلينا جميعنا، أيها الاخوة، أن نتذكر، فقط، موجبات وأسباب وحدتنا فى هذا الظرف العصيب، وننسى إن استطعنا، أو نؤجل، ما عدا ذلك، وكل ما يبعث على الفرقة التى أرادها عدونا تحت عناوينه ومسمياته، وأن نرفض أى فكرة لتجزئة قدرات ومواقف وعناوين قيادة شعب فلسطين وقيادات فصائله المناضلة والمجاهدة، وفق التكتيك الخبيث الذى تسعى إليه الصهيونية، تدعمها أمريكا وقسم من الحكومات الغربية، بما يضعف شعب فلسطين وإرادته فى الجهاد..

وعلى من لا تحشده الحمية على أواصر الصلة والمبادئ، أن يتحشد، ويتآلف مع العمل الجماعى المشترك على أساس الإحساس بالخطر الداهم فعلا..

وعلى من لا يسعفه حاله ليتذكر الأهداف الكبيرة لأمتنا ودورها الإيمانى العظيم، أن يتذكر أن مصير حياة العرب والشعب، الذى نحن مسئولون عنه أمام الله الآن، يتحقق بوحدتنا، وليس بفرقتنا وتناحرنا..

وأن العراق على استعداد، شعبا ونظاما وقيادة، لأن يتحمل مسئوليته، بأمل أن نصل معاً إلى موقف يرضى الله وأمتنا، وأن يسجل التاريخ بعد ذلك ما يعز أحفادنا من بعد أبنائنا بوقفة عز، بعد أن نستجيب لنداء العقل المؤمن، وضمير كل ذى ضمير طاهر، وصدر مؤمن، وتطلع حر شريف.. وسيكون الله حامى حمى من يؤمن ويتكل عليه، سبحانه.

أيها الإخوة:

فى ظروف بعينها يكون المسئولون، سواء فى دست السلطة والسلطان، أو فى عناوين أخرى داخل الشعب، أمام اختيارات كلها صعبة. وفى ظروف الطوارئ، ومنها سمة هذا الظرف الذى نحن فيه، يغدو أى قرار واختيار من الاختيارات والقرارات محفوفا بالمخاطر والاحتمالات، التى قد لا تهواها النفس عند خط

البداية كلها، ولكن لأن ظروف الطوارئ الصعبة لا تجرى كلها مجرى الاختيار المسبق عند خط البداية، فلا بد، والحال على هذا الوصف، من أن تواجَه باختيارات وقرار بمستواها.

وإذا كان أعمال الحكمة يقتضى السكوت أو السياسة فى ظروف الاختيار المرتاح أحيانا، وفى السلم بخاصة فى ظرف وحال ليس على هذا الوصف، فإن الاختيارات والقرارات لمواجهة ظروف حرب وعدوان وشر مستطير يفرضه آخرون على أمتنا وشعبنا، تستوجب أن تخضع لموازنة رؤية عميقة وشمولية، لتبنّى ما يدفع الشر، ويرفض الباطل، وينتصر للحق بأقل ما يمكن من الخسائر، وبما يرضى الله، ويعز الأمة، ويؤمّن مستقبلها، ويبقى المستقبل أمامها مفتوحا من غير عوائق.. إنه بلاء وابتلاء، أيها الإخوة، فلنواجههما معا، مستعينين به، سبحانه، مسنودين من أمتنا وقدرتها العظيمة، بعد الاتكال على الله القادر، جلت قدرته..

وإننا نجد أن الانتصار لشعبنا فى فلسطين، فى محنته القاسية، فى حكم الضرورة الواجبة، وأن ما قدمه، كل منا فى ميدانه، حتى الآن، ليس أقل من الواجب فحسب، وإنما أقل مما نحن قادرون عليه، لو أردنا..

وإن إرادتنا جميعا تغدو فى وضع أفضل لو صفت القلوب إزاء أهدافها..

وإن هذا يتم، لو أردنا، وتداعينا لاجتماع سريع على مستوى القمة، من غير انتظار لزمن إضافى لبحث موضوع العدوان على شعب فلسطين حصرا..

وإن من يقول بإمكانية أن يحصل هذا فى آذار القادم، كمن يؤمل من يقف على جمر بإمكانية إحضار مطفأة بعد عدة شهور.. فقد كان العرب يتداعون على مستوى القمة فى فواصل زمنية متقاربة من أجل شئون لم تكن أخطر مما يحصل فى فلسطين الآن.

فلنتداع إلى هذا بقلوب صافية، وعقول راغبة فى أن تتطهر.. ولنجعل من قوة واقتدار أى منا قوة واقتدار لمن هو بحاجة إلى أن يستزيد، أو من ينقصه شئ منها..

ولنجعل من قدرتنا المجتمعة المتفاعلة على منهج الخير لرد العدوان والشر على أمتنا كلها، القدرة التى نعمل بموجبها ونتميها، بعد أن نتوكل على الله، ونُشهده علينا جميعا..

وليكن مكاننا فى هذا الكعبة المشرفة، أو أى عاصمة عربية يؤمّن مكانها حضور الجميع..

وإن دعوتنا إخوتنا إلى هذا الاجتماع لا تلغى الاجتماع القادم، وليست بديلا عنه، وإنما هى دعوة لاجتماع طارئ، فى ظرف طارئ، فعلا، بكل المقاييس والاعتبارات.

والله أكبر..

الله أكبر..

الله أكبر..

صدام حسين

رئيس الجمهورية العراقية

---

* **فى الثلاثين من رمضان ١٤٢٢ للهجرة الموافق للخامس عشر من كانون الأول ٢٠٠١**

رسالة الرئيس صدام حسين
إلى أبناء الشعب فى الكويت
بغداد ٢٠٠٢/١٢/٧

وجه الرئيس صدام حسين رسالة مهمة إلى أبناء الشعب فى الكويت.. فيما يأتى نصها:

أيها الإخوة أبناء الشعب فى الكويت..

السلام عليكم..

كلما أمعن فى السوء من أساء إليكم وإلى إخوانكم فى العراق، من أولئك الذين ابتليتم بهم، وجاءتنا بعدكم أو معكم آثارالبلوى منهم شررا وحرائق مستمرة، لم تنطفئ خلال الأعوام والسنين الماضية، ونظنها سوف تستمر للزمن اللاحق، إلا إذا أَذِنَ رب العباد، القادر العظيم، بما يعتبر هيناً على قدرته، فيحل ما هو معقد، ويلغى ما هو مؤذٍ، ويضع الأمور فى نصابها، بما يسر قلوب قوم مؤمنين.. نقول: كلما أمعن السوء بالأذى ضد إخوانكم فى العراق، بمشاركة الأجنبى بمخططاته التدميرية وما أصابهم فى حياتهم منه، بما فى ذلك الموت المستمر، ليس بالحصار فحسب، وإنما بكل ما أوتى الأجنبى المعتدى من قدرة تدميرية، وجدنا من الواجب أن نوضح لكم ما ينبغى على طرفى الحال، ونذكركم بما يقتضى، تاركين لكم، ولأبناء أمتنا وكل الخيرين فى العالم أن يحاكموا بموجبها ما هو قديم، بالإضافة إلى ما يقع على شعب العراق فى يومنا هذا، وما يمتد به السوء إلى المستقبل..

فلقد وجدنا، أنا ورفاقى فى القيادة، تحت القول: عسى ولعل، لنتجنب فى العراق، ونجنب إخواننا فى الكويت، التشويش وخلق الذرائع لإيغال السيئين فى سوئهم، وفى ربط مصيرهم بصورة نهائية بالأجنبى ومخططاته، بحيث يغدو الأمل فى إنقاذ المعنيين من أنفسهم الأمارة بالسوء، وإنقاذ الآخرين من سوئهم شبه مستحيل، إن لم يكن مستحيلا استحالة كاملة، هو ومصيرهم الأظلم وعاقبة السوء، بعد أن ظلموا أنفسهم وغيرهم، نقول: وجدنا أنفسنا نتريث فى قول ما ينبغى حتى الآن.. ودافعنا الأساس فيما نريد قوله هو أن ذكر الحقائق قد يعينكم على مزيد من الوضوح فى تفسير

المواقف والأحداث الآن، وبأثر رجعى للأحداث والمواقف منذ الثانى من آب (أغسطس) عام ١٩٩٠.
وكنا، وما زلنا نعتمد دائما على ذكائكم ووعيكم، وطيش الطاغوت وغباء الأغبياء فى إظهار سوئهم مثلما هو من الذين ارتموا فى أحضانه بصورة مكشوفة وعلنية ومخزية، لتعرفوا الحقيقة واضحة مثلما هى، وتقفوا الموقف المنصف لكل وطنى وقومى غيور ومؤمن يحب الله، ويحبه ربه، لتخفيف الأذى عليكم وعلى إخوانكم فى العراق.. ولكن موقفنا هذا، والمبادئ القومية المؤمنة التى اعتمدنا عليها فى هذا الموقف، وبالذات بعد مؤتمر بيروت، وما التزمنا به من قراراته التى أعلن المسئولون فى الكويت انّهم التزموا بها وخالفوها بعد حين فحسب، قد اوهم من سد باب رحمة الله عنه بتصرفه وجحوده، بأن موقفنا هذا إنما هو نتيجة ضعف، وليس قرارا أردناه، مستجيبين لدواعى ما ذكرنا ورغبة من كانت رغبته صادقة وأمينة من العرب.

أيها الإخوة:

لعلكم تتذكرون أننا ما أن حقق الله لنا النصر فى القادسية الثانية المجيدة على من أجج تلك الحرب، حتى فاتحنا المسئولين فى الكويت عن جاهزيتنا لنعطى كل الوقت اللازم لحل الأمور العالقة بيننا، ولشدة ما كانت دهشتنا كبيرة عندما واجهنا المسئولون عندكم بعدم الاكتراث بدعوتنا تلك، ولم نكن فى وقتها قد وصلنا إلى تفسير مقنع لذلك الموقف، إلا عندما بدأت التمارين العسكرية المشتركة بلعبة حرب فى تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٨٩ فى الكويت بإشراف الامريكان، تلتها شهادة الجنرال نورمان شوارسكوف أمام الكونغرس الأمريكى فى شباط ١٩٩٠، التى قال فيها نصاً: (ن هناك حاجة لزيادة الوجود العسكرى الأمريكى فى منطقة الخليج، محذرا من قدرة العراق على إزعاج جيرانه) حسب زعمه فى وقت لم يكن هنالك ما يلوح فى الأفق غير بداية ملامح بسيطة للمؤامرة الاقتصادية على إخوانكم فى العراق، وحفر الآبار النفطية بشكل مائل عند خط الدوريات الذى وضعته الجامعة العربية بحيث يؤثر هذا التصرف سلبيا على حقولنا النفطية فى الجنوب، ثم جاء بعده اعتبار المعونة المالية اليسيرة التى قدمها المسئولون فى الكويت فى القادسية ديونا حية واجبة الدفع.. وتخفيض أسعار النفط إلى سبعة دولارات للبرميل بدلا من ٢١ دولارا آنذاك، بعد أن أغرق المعنيون فى الكويت السوق النفطية بإنتاج خارج استحقاقهم المقرر من أوبك، رغم كل التنبيهات التى أطلقت فى حينها.

لقد سار دفع المؤامرة تحت كل هذه العناوين والمسميات بصورة متسارعة، وصار ما هو أظهر واخطر فيها التمارين العسكرية المشتركة التى أجريت تحت إشراف الجنرال شوارسكوف الذى قاد بنفسه فيما بعد جيوش التحالف العدوانى ضد عراقكم وبغدادكم، بغداد العرب والمسلمين، ولقد وقعت فى أيدينا مصورة فيما بعد تلك الخطط والفعاليات العسكرية التى أعد لها الأمريكان والمسئولون فى الكويت.. وعندها اصبح الدور الذى رسمه الأمريكيون للكويت، بالتخطيط المشترك مع حكامها، واضحا.. فتسارعت الأحداث وما رافقها من خطر داهم واستفزازات مستمرة لا تنبئ

بأمل حل الأمور بالطرق السياسية وتحت حساسية وأهمية الدفاع عن النفس، وحماية كل ما هو عزيز، وقعت أحداث الثانى من آب (أغسطس) عام ١٩٩٠

لقد ظلمتكم وظلمتنا ظروف تسارع الأحداث، وعدم إتاحة الفرصة لكم لتعرفوا ما عرفناه وما لم نعرفه فى حينه، فلم تتبينوا، وزاد الطين بلة من أساء إلينا قبل أن تكون الإساءة واقعة عليكم، ممن كانت طويته ونيته على خط واحد ومشترك مع الذين كانوا يعدون لصفحة الغدر والخيانة التى وقعت علينا فى العراق، كواحدة من صفحات العدوان على العراق بتخطيط من الامريكان، وتعاون من تعاون معهم، يردف ذلك من أساء تحت ضغط عوامل غير أصيلة، وقلة وعى منه فوقفتم الموقف الذى نحن آسفون على كل ما وقع عليكم بسببه، وصار سببا لدفعكم لأن تقفوا الموقف وتتصوروا ما تصورتموه، حتى اختلطت لديكم ولدى غيركم الألوان والدوافع، وتداخلت الصفوف.

أيها الإخوة:

إننا نقول قولنا هذا ليس ضعفا منا، أو تكتيكا لغاية غير مشروعة، بل لتوضيح الحقائق وفق ما نرى، ومثلما لكم اجتهادكم الذى نحترمه ولا نزعل منه، حتى لو أصابنا منه أذى، فإننا نقول اجتهادنا هذا على وفق دوافعه المشروعة أيضا.. إن تصوركم واجتهادكم حتى لو لم يهتد إلى الصواب كما ينبغى فى السابق.. فإننا واثقون من أنكم ستهتدون إليه الآن أو فى المستقبل، والأساس الذى يغضبنا فقط ونعتقد أنه يغضبكم أيضا، هو الموقف والعمل الذى يغضب الله، أو يقع موقع خدمة الأجنبى ويكون ضمن خططه، وهو الذى يتربص بأمتنا، ومنها نحن وأنتم، ولا يضمر لنا ولكم ولأمتنا إلا السوء والأذى.

وعلى هذا الأساس، فإننا نعتذر إلى الله عن أى فعل يغضبه سبحانه إن كان قد وقع فى الماضى مما لا نعرف به ويحسب على مسئوليتنا ونعتذر لكم على هذا الأساس أيضا.

أيها الإخوة:

إن ما نتمناه لكم هو مثلما نعمل عليه لإخوانكم فى العراق، وهو أن تعيشوا أحرارا، لا يسيطر أجنبى على مصيركم وإرادتكم وقراركم وثروتكم.. وحاضركم ومستقبلكم، وأن تجتهدوا أحرارا مؤمنين بما يخدم شعبكم وأمتكم، وليس احتواءكم بالباطل، أو احتلالكم بالقوة الغاشمة.

إنكم تعرفون أن عراقكم غنى بمبادئه وتاريخه وقيمه وإيمانه وإنسانه، ومع غناه هذا الذى يسبق أى شىء مادى ليعتد به، وفق معانى وقيم العرب المؤمنين، فإنه غنى بثروته المادية والاقتصادية أيضا.. وإذا كان النفط هو أساس الثروة وما يملك أصحابها فى الكويت، فإن النفط ليس إلا جزءا من الثروة فى بلدكم العراق.. وإذا نضب النفط عندكم، أو تحول الناس عنه كمصدر أساسى من مصادر الطاقة، فإن عناصر الثروة فى العراق ذات طابع مستديم إلى ما شاء الله.

أما ضعف حال الاقتدار فى شعب صغير عندما ينعزل عن أمته، فقد جربتموه فى الكويت وجربه غيركم، بعد أن عزل المسئولون فى بلادكم الشعب عن أمته.. حتى صارت الثروة، بما فيها

الثروة الشخصية للمسئولين المودعة فى البنوك الأجنبية، تحت سيطرة الأجنبى.. بل ما هو أمرّ وأكثر خطورة هو أن الأجنبى – مثلما ترون، – يحتل بلادكم احتلالا عسكريا مباشرا، وأنكم تعرفون أن الأجنبى عندما يحتل البلاد، لا يدنس تراب الأوطان فحسب، وإنما يدنس الروح والدين والعقول، ويمسخ النفوس، إلا نفس من يحمل عليه السلاح ويقاومه.. فتحية منا ومن شعب العراق، لأولئك الفتية المؤمنين، الذين يحملون على الأجنبى المحتل بالسلاح، أو تنظر إليه نفوس من يؤمنون بأنه عار يقتضى تطهير الأرض والشعب منه بالنار والوسائل الأخرى.

تحية لأولئك الميامين الأبرار، الأحياء منهم والشهداء، لأنهم رفعوا بيرق الحق بوجه الباطل والعار، وأبعدوا ما يمكن أن يوجّه إليكم من تهمة عار لو قبلتم بالاحتلال بعد أن أراده حكامكم، بل خفف عنا وعن غيرنا من العرب الغيارى ثقل المسئولية تجاه احتلال الأجنبى للكويت، وهى جزء من الوطن العربى الكبير.

أيها الإخوة:

قد يقول قائل منكم إن احتلال الكويت ما كان ليحصل لولا دخول جيش العراق إلى الكويت وخروجه منها.

ونود أن نذكركم بأن الأمريكان كانوا فى الكويت يعدون التمارين العدوانية على العراق قبل دخول جيش العراق إليها، وأن نفس الأهداف التى يعلن الأمريكان عنها ويضمرون القسم الأساس منها، وهو نهب ثروتكم، وتحويلكم إلى عاملين تحت إشرافهم فحسب، وتحويل المسؤولين عندكم إلى مدراء محليين لشركة أمريكية لإنتاج البترول، وتحديد كميته وأسعاره ولمن يباع من قِبل مدير الشركة الأصلى الأمريكى فى واشنطن أو نيويورك، وأن ما يخططون له إنما هو لكل دول الخليج العربى ومنها العراق، وإذا كان دخول جيش العراق سببا لهذا بالنسبة للكويت، فما هو السبب الذى يجعلهم ينشرون جيوشهم الآن فى منطقة الخليج العربى بما يشبه الاحتلال من الناحية الواقعية، ويسعون، خابوا وخسئوا، لاحتلال العراق؟!

ومن كان يمنعهم من احتلال الكويت قبل الثانى من آب أغسطس عام ١٩٩٠ غير جيش العراق نفسه، وشعب العراق، وبالتالى تضامن الشعب العربى، ومنه الشعب فى الكويت، مع جيش العراق وشعب العراق، لو حصل هذا آنذاك واصطدم بالأجنبى الذى يحتل الكويت؟ إن أساس المؤامرة على العراق، بما فى ذلك العدوان عليه عام ١٩٩١، واستمرار العدوان حتى الآن، إنما هو لأنهم يدركون أن القيادة فى العراق، وشعبكم وجيشكم فى العراق لا يقفون مكتوفى الأيدى أمام احتلال أجنبى لأى أرض عربية، ومنها الكويت واحتلال الصهيونية لفلسطين العربية.. ولو كانوا صادقين بأنهم جاءوا ليحرروا الكويت من جيش العراق، مثلما أعلنوا، لانسحبوا من الكويت، وقالوا إنهم سيعودون للدفاع عنها لو حاول العراق دخولها مرة أخرى.. ولكنهم احتلوا الكويت.. ونشروا جيوشهم فى دول خليجية أخرى، وزادوا ذلك ومعه نفوذهم فيها مع الزمن، ويحاولون، خسئوا احتلال العراق الآن.

إننا لا نشك بوعيكم أيها الإخوة، ولكن واجبنا يدفعنا لنقول هذا القول الصريح لكم، ومع أنه ليس كل ما نرغب فى أن نقوله، فإنه مناسب، وفق ما رأينا لأن نقوله لكم الآن، بعد أن اطلعتم على الكثير من نوايا المسئولين فى الكويت، ونوايا الأجنبى المحتل.. أما مناسبة توقيت هذا القول، فهى الحديث العلنى للمسئولين فى الكويت، وتخطيطهم يدا بيد مع جيوش الأجنبى لإيذاء العراق، وتسهيل دخول جيوش الأجنبى إليه محتلا، خسئوا وخاب ما يفعلون، مثلما احتل الكويت، ولأن الطائرات الأمريكية والبريطانية استمرت تغير من أراضى الكويت، وعبر أجوائها، على ممتلكات العراقيين وتدمرها، وتزهق أرواحهم، وكأن الاثنى عشر عاما التى سبقت مؤتمر بيروت وقرارات العرب فيه، والتى تنصل المسئولون فى الكويت عنها، لم تشف غليل حقدهم، بل ذهب بهم التجاسر لإرضاء أسيادهم، وحماية خيانتهم بخيانة أخرى للعملاء الذين يحملون الجنسية العراقية، أو يدعون بأنهم يحملونها، وشرف المعانى لموجباتها برىء منهم، فصاروا يصرحون علنا انهم يلتقون معهم.. وفى الوقت الذى يصرح أولئك العملاء بأسباب اللقاء وما جرى الاتفاق عليه مع المسؤولين فى الكويت، وأن المسؤولين سيبعثون من يمثلهم ليحضر مؤتمر الخيانة والتآمر الخائب على العراق فى لندن، يصرح المسئولون فى الكويت بأنهم يلتقون معهم للتشاور.. فأى تشاور هذا غير التآمر على العراق، والتدخل فى شئونه الداخلية بإشراف الأجنبى.؟!

فهل تتابعون هذا أيها الإخوة؟ وهل ما زال يحجب عنكم التفسير الصحيح لما سبق الثانى من آب (أغسطس) عام ١٩٩٠، وما أعقبه، وما أصاب العراق من أذى ودوافعه؟! ثم، ألا يحق لأى من العراقيين أو أى من الشعب فى الكويت أن يقول: طالما التأم العملاء على بعضهم تحت إرادة وتوجيه الأجنبى لإيذاء العراق والأمة، فلماذا لا يلتئم المؤمنون والمخلصون والمجاهدون فى الكويت مع أقرانهم فى العراق تحت خيمة بارئهم، بدلا من خيمة لندن أو واشنطن ورديفهما الكيان الصهيونى، ويبحثوا أمرهم، وفى المقدمة من هذا الجهاد ضد جيوش الكفر المحتلة، لغسل العار الذى يصيب الأمة والأذى الذى يصيب الشعب فى الكويت أو فى العراق؟!.

وإذا سأل المسؤولون الكويتيون أو غيرهم: لماذا؟! يقول لهم من يقول: إننا نتشاور تشاور الأحرار.. ضد تشاور العبيد، وتشاور المجاهدين مقابل تشاور العملاء، وتشاور المؤمنين مقابل تشاور من خانوا ربهم، بعد أن خانوا أمتهم.. تشاور هذه صفته وليس تدخلا فى الشؤون الداخلية لأحد.

(ربنا اطمس على أموالهم، وأشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم)

والله أكبر..

الله أكبر..

وليخسأ الخاسئون..

صدام حسين

رئيس الجمهورية العراقية

---

* **فى الثالث من شوال ١٤٢٣ للهجرة الموافق للسابع من ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٢ للميلاد**

نص خطاب الرئيس صدام حسين
٢٠٠٣/١/١٧

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين. ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة ولهم عذاب عظيم) صدق الله العظيم

أيها الشعب العظيم، فى عراق الإيمان والجهاد والبطولة والمجد..

أيها النشامى أبناء قواتنا المسلحة الباسلة..

يا أبناء أمتنا العربية المجيدة..

أيها الخيرون فى العالم حيثما كنتم..

مع خطوط الفجر البهى، ومن شعاع الشمس التى أشرقت بعد غياب طويل، أبت قبله أن تولد من افقها، ومن أهداب العيون التى جرحها الدمع الهتون، على أحبة غابوا، ليشرقوا مع الشمس الجديدة، وأفق أراده الرحمن ان يكون فسيحا، بولادة وحياة جديدة فى سمائها طيور خضر، ومولود قوى أراده الله أن يكون باراً لأمته، تلك هى ثورتكم ومسيرتكم الغراء، ولد عراق جديد فيها، وزاد وعمّق إيمانه بعد المنازلة فى ليلة ١٦-١٩٩١/١/١٧ الصفحة العسكرية الكبرى فى أم المعارك الخالدة، عطر تلك الدماء السخية، والمعاناة، والصبر الجميل..

ولد العراق الجديد، همة ورؤية، وقلباً زاده التصميم على الارتقاء، وقهر الصعاب، ثباتا فى محبته لأمته، وصلابة فى مواجهة أعدائها، وعمق فيه إيمانه، الذى أثابه الله عليه، بعد أن عطر الموقف والراية بدماء سخية من أبنائه، قرباناً تقبّله الله عن الغفلة التى أصابت ولاة الأمور فى بغداد، فوجد الأجنبى، بسنابك خيله، طريقه إليها، وغابت إشراقة عينيها عن أمتها والإنسانية، بعد أن اصطبغت مياه دجلة فيها بدماء غزيرة، إلى جانب حبر كتبها الباذخة بالعلم والمعرفة، حيث ألقيت فيها هناك عام ١٢٥٨ للميلاد، عقاباً لتأريخ غابت عنه روحه، وحضارة غاب عنها إيمانها ونواطيرها، فنعقت فيها الغربان متجاسرة على عينيها اللتين كانت بهما الإنسانية ترى طريقها، لتنهض حضارياً،

بعد أن كان لها دورها فى تبصير من أبصروا ذلك وتقبلوه منها، كوسيلة لله إليهم، بعد أن آمنت واتقت.

ولد العراق الجديد على هذه الصورة، وولدت معه بندقيته، بديلاً عن السهم والرمح والسيف، ليكون مسلحاً، فلا تطمع فيه الغربان، وتتجاسر على نخله، وعيون أطفاله..

ولد عراق قوى مؤمن معافى، إلا أن الولادة، مثلما كل الولادات الأخرى التى سبقتها فى أفق الإنسانية، وفى امتنا، لم تُلغ نعيق الغربان، وفحيح الأفاعى، ولم تلغ عبور التماسيح البعيدة بحار أهلها، لتعين هوام الأرض فى هجمتهم على الشمس، أملاً خائباً منهم فى أن يحجبوا ضياءها الذى أشرق من بغداد، ويهرقوا دماء أهلها فى أمل خائب منهم أيضاً، تصوروا معه ان تمنع الدماء الغزيرة الكريمة التى تسيل على ثرى بغداد، وثرى العراق، النبت والشجر من أن يخضّر عودهما، ويوردا، ويزهرا، ويرسلا مع الأريج لقاحاً، تستطيبه الفراشات، فتنقل مع أخبار الإيمان والهمة الجديدين، والندى والدمع لقاحاً إلى كل شجرة يبست أغصانها وأوراقها، أو امتنعت من أن تثمر، بعد أن انقطع الماء عن جذورها.. وبعد أن لم تثق بأن هنالك من يرعى الثمر وينطر النبت والشجر والبناء.. مع الولادة الجديدة، كان إبليس ورديفه: سحالى هذا الزمان، ينفخون النار على الجسد المعافى، ولكن، لأن ولادة بغداد من جديد صحيّة وصحيحة، وباركتها السماء بأمر ربها، ولأن نواطيرها يقبضون بأيديهم على بنادقهم التى بوركت مع صلاة الفجر فى يوم الولادة، بعد أن استقر ما فى صدورهم على يقين عظيم، فى ليلة ١٦/١٧ كانون الثانى من عام ١٩٩١، وما بعد ذلك، بقيت بغداد باسم العراق تذود.. وتذود.. وتذود، ومعها كل صنديد غيور، وماجدة بهية، دفاعا عن أمر أراده الله لمولودهم الجديد ولم تلتو إرادتهم، فقهروا كل حشود الشر من أكثر من ثلاثين دولة، ومن كان معهم فى الإسناد، حتى بلغ عدد من واجهه المجاهدون فى جيش العراق ثمانية وعشرين جيشاً، وواجهت دولة العراق عدوان اثنتين وأربعين دولة ليلة ١٦/١٧ كانون الثانى، واستمرت المواجهة والمعركة مدة شهر ونصف الشهر بهذا الزخم، ومن بعد ذلك استمر الحصار والعدوان طيلة ثلاثة عشر عاماً حتى يومنا هذا.. ذاد العراقيون هكذا، فى هذا اليوم وما بعده، وآخرون ذادوا بدورهم فى ما زرعوا، وأقاموا البناء وعلّوه، حتى اختلطت مع الحقول، تلك الحدائق الغناء، وغطى الزرع ارض العراق مذكرا بما مضى حيث وصفت أرضه بأرض السواد لكثرة الزرع فيها، بعد أن غابت عن بغداد وريف العراق ومدنه، حتى بدت كأنها لم تكن من قبل أحد مظاهر عافيتها، واختلطت مع شوامخ البناء، عزيزة مرئية، وسادت فيها شوامخ المنائر، وقبب وعلامات دور العبادة، ومع كل تكبيرة فى ساحات الجهاد والوغى، يعلو التكبير فى الجوامع، وتتعالى أصوات العبادة فى أماكنها، كل على وفق دينه وطريقته، وصار الزائر يعرف انه فى بغداد، حتى لو عصبت عيناه، فى محاولة لكى لا يتعرف القادم على موقع قدميه على الخارطة.. وهل ثمة مكان أفضل من بغداد، يولد فيه التسامح الدينى.. والمذهبى.. وأراء بناءة، إلى جانب، وفى اتجاه، كل ما هو بناء من أفكار أخرى..؟

أعادت الولادة الجديدة روح بغداد من جديد، ومع الولادة ولد موقف، وسيف، وقلم، وراية.. فبارك نداء (الله أكبر) الموقف والراية والسيف والقلم، وصارت الولادة التى نسجتها خيوط الفجر،

وباركها الأذان فيه، ولادة عصية على كل غدار وطامع شرير.. إذ لا يليق ببغداد وبالولادة الجديدة، ولا يقبل الله والناس لها، إلا الحياة التى اختارها وأرادها لها، بعد أن استأذنوا فى هذا ربهم الرحيم.. فخسئ الخاسئون فى عدوانهم، وفى عدوانهم المستمر حتى يومنا هذا .. وسيخسأ كل من يحاول تسّور سورها، معتديا، متجاسرا، لئيما غاشما، وغادرا..

أليس هذا هو وصفكم وموقفكم، أيها العراقيون المؤمنون المجاهدون الغيارى، وأيتها الماجدة البهية؟ أم أن هناك من يتوهم، فيقول، بعد أن يدوس على حظه، أن صدام حسين يتحدث عن تمنياته، وليس عن وصف لحال يعيش وسطه، ويعرفه روحيا وعمليا بالشمول والتفاصيل؟ بلى، والله، إنه وصفكم، وموقفكم، بل واستحقاقكم فى ثواب معاناتكم وتضحياتكم وصبركم، أيها النشامى والماجدات.. وأن غربان الشر وتماسيح الشر، ما زالت تضمر شراً، ولم تقطع التواصل مع آمالها الخائبة، رغم كل ما أصابها من جروح غائرة، وعار لا يمحوه الزمن، وأن السحالى التى نفخت النار على سيدنا إبراهيم، عليه السلام، على وفق روايات أهلها، ما زالت تلد، لتوكل لكل ولادة على وصفها مهمة أن تنفخ فى النار، وفى ظنها أنها قادرة لتحرق رغماً عن إرادة الله، التى أرادها برداً وسلاماً..

فارفعوا، مع الراية العالية، سيوفكم وبنادقكم، أيها الأعزة، وذكّروا من يتوهم، لكى لا يتوهم بموقفكم فى الزحف الأكبر، فى يوم البيعة الكبرى، ومواقفكم الأخرى، وإذا ما توهم، لتكن بنادقكم له بالمرصاد، يسبقها، ويكون دليلها إشعاع ونور إيمانكم لتحفظوا به العيون، لأن غربانهم، إن توهمت، ولم تجد من يردعها، لا سمح الله، ستنقر العيون، وتأكل القلوب، وأدمغة وعقول الإيمان والفضيلة والإبداع، وانتخوا برايتكم، راية (الله أكبر).. فلا يصلح غيرها لنخوة تجعل الهمة تنهض، وتعطى الحمية معناها العميق..

قولوا: الله اكبر، أيها الإخوة والأبناء، واستذكروا معانى هذا النداء العظيم على وفق عمق أيمانكم، لتردد صداه، مع قولكم ونخوتكم، كل المدن والأرياف.. فى الجبال والسهول، بعد أن يساعد ماء دجلة والفرات، وماء الخليج فى انتقال صوتكم، لا ليصل إلى كل أصيد أغر وماجدة بهية فى عراق الأيمان والجهاد، فحسب، وإنما إلى كل غيور وماجدة فى الأمة، وإلى كل منصف، وذى موقف شريف فى الإنسانية..

وعندما، يكون مع الولادة، موقف، وهمة، وقلم، وسيف وراية، تؤدى الولادة دورها الصحيح فى أمتنا، بإذن الله..

وعندما نقول إن التأريخ كأنه عقيدة، لو استذكره الوارثون بتأمل وتمعن ومسئولية.. فلأن الصحيح يولد مع هذا ومنه، ويصير تأريخاً جديداً موصولاً، بعد أن يلد ولادة جديدة مع كل مجد وبناء، وإيمان عال هو قاعدته الأمينة، فيكون عقيدة عن ماض، ما زالت فيه شروط الولادة الصحيحة، عندما يتذكره أبناؤه بمسئولية الحاضر، ويتطلعون باستحقاقهم إلى المستقبل..

وهكذا تمخض الماضى، فولد من رحم عقيدته مبادئ الروح الجديدة بثوب ولون جديد وطريق خاص.. وولدت، مع العقيدة الجديدة، سارية وقبضة قوية، فحملت نخوتنا ودليل إيماننا: الله اكبر، ليصمد أمام كل ريح عاتية بإذن الله ومحاولة شريرة.

نعم، الله أكبر..

الله أكبر..

أيها الإخوة:

إن مقولة (إن التأريخ يعيد نفسه)، تعنى من بين ما تعنيه، أن صور الماضى تتكرر، وإن أخذت ألوان وأسماء مرحلتها، إنها تتكرر لو أعيد تحليلها وإحياؤها وإرجاعها إلى عناصرها ومكوناتها الأولية من حيث القوة والضعف، والصعود والهبوط، والارتقاء والانحدار إلى هاوية، والجيد والسيئ والارتقاء إلى الذرى والانحدار إلى هاوية، ومحب الخير والفضيلة والساعى إلى الشر والرذيلة، والكارهين للناس، والساعين لإيذائهم، والمحبين للناس والساعين لخيرهم، والمدمرين والمعمرين، والى آخر ما فى سلسلة الصور ومضاداتها صعوداً وهبوطاً، قبحاً وحسناً..

نعم إن التاريخ يكرر نفسه، ولكن ليس على أساس مسلمة مطلقة فى إمكانية الصعود على قياس ما مضى من غير إيمان ووعى وموقف وهمة، أو الاستسلام لحالة هبوط على قياس ما مضى أيضاً، إلا إذا تكررت كل مفردات مكوناته فى الحياة والإنسان والطبيعة، مما يصعب تصوره، ألا إن الإيمان الواعى فى تصور موجبات أن يكون دور الإنسان فاعلاً صعوداً، والتمسك به وبعوامله وأسبابه، ورفض أى حالة تؤثر سلباً فى الأيمان، وفى دور الإنسان المؤمن والطليعى فيه وفى حركته أو التخلى عن كل هذا، هو الحالة الحاسمة فى أن يتكرر التاريخ على نفس صورته السابقة هنا أو هناك، فى السلب أو الإيجاب..

أيها الإخوة:

لقد مثلت بغداد، فى تاريخها المعروف، دور عين العرب والمسلمين الصافية، ورمح الله فى الأرض، وجمجمة العرب، وخزين حكمتهم وتراثهم التليد، ومجمع قدرتهم فى حضارتهم وإشعاعها العظيم، مع من مثل من، أدوار رديفة فى مراكز أخرى، على سياق ما جرى فى بغداد، أو ما سبقها من حيث الزمن.. وعندما صعد المغول والتتار إلى أرجحية كفة قوتهم، واحتلوا الصين والهند وبلاد فارس ودولاً ومسميات أخرى، لم يستطيعوا أن يحولوا صعودهم للقوة بالتخلف والتدمير إلى قدرة للبناء والحضارة والتمدن، فوجدت القوة التدميرية عقدتها فى بغداد الحضارة، ودار السلام، فجعلت هدفها التدميرى ينصب على بغداد التى أضعفها ضعف من لم يتمسك بعوامل الارتقاء للقدرة بالدور وأسبابه وموجباته، وضعف ولاة الأمور، وخيانة الخائنين. فاستباح هولاكو وجنوده بغداد مدة أربعين يوماً، ومن ثم دمروا كل شىء حى فيها.. ولأن أهل بغداد، وأعنى بذلك ولاة الأمر فيها، لم يتهيأوا كما يجب، عندما اجتاح المغول والتتار أرض الصين والهند وبلاد فارس وما حولهم.. جاءت غزوتهم لبغداد على وفق ما وصف التأريخ، ومن بعدها بلاد الشام وما يتصل بهما.. إلا أن بغداد لم يتهيأ لها أن تدافع عن نفسها كما ينبغى، ولذلك لم تفقأ عين جيش هولاكو على أسوارها لتطفئ بوجهه جرأة أن يتجاوز عليها، وتسد بوجهه فرصة أن يمضى، من بعدها، إلى آخرين من أبناء أمتها، ليستبيحهم مثلما استباح بغداد، حتى فقئت عين هولاكو فى دولة المماليك فى مصر فى معركة (عين جالوت) الشهيرة، بعد أن حضّروا النفس لهذا، واستفادوا من دروس الحروب التى سبقتهم، وبعد أن انكشف هولاكو فى نواياه وأساليبه.. وينبئنا التأريخ بأن أقواماً وجهات وشخصيات من الغرب قد لعبوا،

لأسبابهم، دوراً فى توجيه هولاكو إلى الشرق، بل وإلى الوطن العربى بوجه خاص.. وقد لعب اليهود، مع من يردفهم فى هذا، دوراً خبيثاً مشهوداً ضد بغداد فى الماضى، ويعود إليهم اليوم وإلى اليهود الصهاينة والمتصهينين من غير اليهود الدور التآمرى العدوانى الخبيث من جديد، وبخاصة من هو منهم فى الإدارة الأمريكية وما حولها فى الجهة المقابلة المضادة لأمتنا والعراق، وتعود القوة فى أمريكا لتكون عاجزة عن تهذيب نفسها، فلم تستطع أن تحول نفسها، إلى قدرة ليكون تأثيرها إنسانياً مبصراً، وقد دفعتها الصهيونية وأصحاب الغرض، إلى التفتيش عن دور من خلال غريزة وحشية مدمرة، وليس الصعود إلى موضع القدرة المسئولة، ودورها المتمدن والحضارى الذى يناسب هذا العصر، ويناسب أدوار الأمم المتوازنة، ودورها البناء فى المحيط والعمل الجمعيين.

ولكن بغداد اليوم، أيها الإخوة، عيناها صافيتان، وعقلها وضميرها قد زال عنهما أى عجز وصدأ وغشاوة وهما ينتخيان للأمة ولها، باسم الله، بعد أن اتكلا على صاحب القدرة، وصارا مستعدين للدور. ومع أن عيوناً وعقولاً، وسط امتنا والإنسانية ما زالت لم تر ولم تع مالها وما عليها فى محيط الأمة والإنسانية، فإن بغداد مصممة، شعباً وولاة أمر، على أن تجعل مغول العصر ينتحرون على أسوارها، وتجعل المنازلة، معنى وتضحية، بمستوى يؤدى بعيون وعقول أخرى لأن تتفتح على ما حولها، وترتقى إلى دورها، وتجعل القوة التى لديها، بعدها، أو قبل أن يتورط من يسول له شيطانه التجاوز على أسوار بغداد، مؤثرة فى المحيط الإنسانى، وتتحول إلى قدرة ارتقاء فى محيط التنافس البناء، وليس قوة غاشمة تعتمد غريزة التدمير الوحشية. على هذا، أيها الإخوة والأصدقاء فى محيط أمتنا والإنسانية، نعاهدكم، ونشهد القادر العظيم على عهدنا هذا.

وعلى هذا صممنا.. خططنا، وأهّلنا قدرتنا، جيوشاً وشعباً وقيادة، بعد أن اتكلنا على الله، وما النصر ألا من عند الله.

والله أكبر..

الله أكبر..

أيها الإخوة:

لقد شاخ أولو الأمر فى بغداد من قبل، وتخلوا عن الدور الذى يأمر به الله، وما يستلزمه من إبداعات المسئولين عن شئون الرعية وفى الحياة وفى الدفاع عنها، عندما اتجه هولاكو إلى أسوار بغداد عام ١٢٥٨ للميلاد، وهكذا جاء هولاكو مع الغروب، ودالت الدولة التى جعلت بغداد عاصمتها، ونجح المغول، حيث غربت الشمس عن بغداد آنذاك..

أما الآن، فرغم أن روح هولاكو حلت بمن حلت بهم فى فعلهم وما قاموا أو يقومون به أو ما ينوون عليه، مع ما يدفعهم إليه الصهاينة المجرمون فى أكثر من مكان فى العالم، فقد جاءوا ليصطدموا بأمتنا، فى الوقت الذى يسجل أبناء امتنا داخل أنفسهم، وما تضم صدورهم، حالة إيمان عظيم، وصحوة عظيمة على الدور، وما ينبغى، حتى يصلوا إلى ما يجب، لتعود الأمة إلى حيث إيمانها الصحيح، وتوفر بجهادها ونضالها صعوداً حقيقياً إلى دورها الإيمانى والقومى والإنسانى العظيم.. وقد جاء جيش هولاكو هذا العصر الآن ليصطدم ببغداد بعد أن ولدت بغداد من جديد، مع الشروق، لتسجل بشبابها الجديد مستوى ارتقاء يليق بها، بعد أن غابت عن دورها القيادى ما يقرب

من السبعمائة سنة.

بل لقد جئتم بالشمس إلى بغداد، أيها العراقيون، وأشرقتم فيها، فى الوقت الذى أشرقت بكم، فهيهات لهولاكو جديد أن يتمكن منها، ومن العراق العظيم.. بل هيهات، بعد أن أراد الله لهذه الأمة أن تنهض من جديد، أن يتمكن الغاشمون المبطلون الطامعون من قهر إرادة إخوانكم فى فلسطين أيضاً، وحيثما اختمرت أو أزهرت إرادة الحق والصمود والمقاومة فى صدر كل مؤمن، وذى يقين عظيم..

أيها الناس:

إنكم تعرفون أن أولى الحضارات الإنسانية فى التأريخ قد نبتت وأزهرت وأثمرت فى العراق، ومنها حمل الهواء بذورها لتصل إلى من وصلت إليه، فاجتهد ليضع لونه بعد همته على ما أراد لبلاده، وعلى هذا، فإن أمكم الحضارة فى العراق هى التى يتعرض لها هولاكو هذا العصر.. فقولوا له بصوت واضح مسموع أن كُفّ شرك، أيها الشرير، عن أم الحضارات، ومتحفها وشاهدها الأساس، ومهدها ومهد أصل الأنبياء والرسل، ودع الناس، كلا على وفق اختياره الإنسانى، تبنى وتبنى وتبنى، ومع ازدهار البناء، والعمل، والتعاون المثمر، ومحبة الناس لبعضها، وتجنب إثارة البغضاء والدفع إلى فعل الشر، وتمتع كل ذى حق بحقه كاملا غير منقوص، يرضى الله على من يرضى عليه، ويحقق له السعادة فى الدارين..

وسيموت منتحراً عند أسوار بغداد ومدن العراق، مثلما مات عند أسوار جنين ومدن فلسطين، من حل فيه هولاكو نية وفعلاً هناك..

وسوف تنهض الأمة كلها دفاعاً عن حقها فى الحياة، وعن دورها ومقدساتها.

وستطيش سهامهم أو ترتد إلى نحورهم إن شاء الله..

وسيكون شهداء الأمة طيوراً خضراً فى الجنة، مثلما وعد الرحمن..

وسيخسأ الخاسئون.

عاشت أمتنا المجيدة.

عاش العراق..

عاش العراق وجيشه المجاهد الأغر..

عاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر.. وعاش مجاهدو ومناضلو فلسطين وشعبها البطل..

المجد وعليين للشهداء..

المجد وعليين لشهداء العراق، وفلسطين، وشهداء الأمة..

والله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر..

صدام حسين

رئيس الجمهورية العراقية

---

* **بغداد ٢٠٠٣/١/١٧**

رسائل صدام حسين بعد الغزو

الرئيس صدام حسين:
حتماً سننتصر على الغزاة

أكد الرئيس صدام حسين ان العراقيين حتما سينتصرون على القوات الامريكية والبريطانية المعتدية مشيرا الى ان العراقيين هم اهل الدار لذلك فمن المؤكد ان ينتصروا على الغزاةاعداءهم واعداء الله.

وقال الرئيس صدام حسين- في كلمة مسجلة يوم التاسع من ابريل ٢٠٠٣ يوم وقوع العاصمة العراقية بغداد فى اسر القوات الامريكية الغازية وبثته قناة ابو ظبى الاماراتية ان ما تقوم به القوات المعتدية هو احتلال واستعمار ايا كانت نواياهم ودوافعهم فالغرض هو الانتقاص من سيادة وحرية الشعب العراقى .

وأضاف الرئيس صدام حسين ان القراءة التاريخية الحقيقية والواضحة انه لابد من النهاية لكل احتلال وعدوان وتبقى العزة للشعوب .

وقال الرئيس صدام ان واجبنا ان نصمد ونكسب شرف المقاومة للدفاع عن ديننا ووطنا وشرفنا مشيرا الى ان الشعب والجيش والقيادة العراقية فى المقدمة قد تعاهدوا على الاستمرار فى المقاومة وان يكسبوا ثواب وشرف موقف الدفاع حتى النهاية التى يأذن بها الله عزوجل.

واضاف الرئيس اننا واثقون من النصر وان الله يعيننا بقدر ما يحضر .

وأننا نذكر العراقيين وكل الامة ان النصر آت ونقول لهم لا تضعفوا فان من ضعفت نفسه يدوم الضعف فيها .

وكانت قناة " أبوظبي " الفضائية قد عرضت صوراً التقطت للرئيس العراقي صدام حسين ونجله قصي في بغداد يوم التاسع من شهر أبريل وهو اليوم الذي اعلنت فيه القوات الأمريكية الغازية عن اسر العاصمة العراقية

وظهر الرئيس صدام حسين في هذه الصور وسط عدد كبير من الجماهير العراقية التي أحاطت به من كل جانب وهي تردد هتافات بحياة الرئيس العراقي ، قائلة " بالروح بالدم نفديك يا صدام. ".

وذكر مراسل " أبوظبي" في بغداد أن هذه الصور التقطت خلال جولة له في حي الأعظمية بجوار مرقد الإمام أبي حنيفة النعمان قبل دخول القوات الأمريكية الغازية بغداد وتمركزها أمام فندق " فلسطين " في قلب العاصمة وإسقاط تمثال صدام في ساحة الفردوس بحوالي ساعة ونصف.

أن هذه الصور الملتقطة للرئيس العراقي صدام حسين تدحض الرواية التي قالت أنه قتل خلال غارة جوية أمريكية على أحد القصور الرئيسية في حي المنصور في ٧ من الشهر الجاري ، حيث أسقطت قاذفة أمريكية من طراز (B -I) أربع قنابل موجهة بالأقمار الاصطناعية على هذا المبنى وتزن الواحدة ٩٠٠ كيلوجرام .

وتؤكد هذه الصور رواية لشهود عيان عراقيين قالوا انهم شاهدوا قصي الابن الاصغر للرئيس العراقى صدام حسين حيا بعدما دكت القنابل الامريكية المبنى.

وقال زوجان في منتصف العمر ان كليهما شاهدا قصي في سيارة حكومية من طراز بيجو ٣٠٦ بعد نحو ١٥ دقيقة من القصف.

وقالا انهما اسرعا خارجين من الفيلا بعد الانفجار لفحص الاضرار وشاهدا قصي يجلس في المقعد المجاور للسائق وفي حجره بندقية من طراز ايه كيه ٤٧ وقالا انهما واثقان من انه هو لانهما شاهداه شخصيا من قبل.

وقال الرجل " انا واثق انه هو قصي كان يجلس في المقعد المجاور للسائق وفي حجره بندقية من طراز ايه كيه ٤٧ ".

واضاف الرجل ان بعض اقاربه يعتقدون انهم رأوا الرئيس صدام حسين في الوقت نفسه تقريبا على بعد بضعة شوارع.

رسالة الرئيس صدام حسين
الأولى بعد الاحتلال ٢٠٠٣/٤/٢٨

[وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولاً]

من صدام حسين

إلى الشعب العراقي العظيم وأبناء الأمة العربية والإسلامية والشرفاء في كل مكان

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مثلما دخل هولاكو بغداد دخلها المجرم بوش بعلقمي، بل وأكثر من علقمي.

لم ينتصروا عليكم، يا من ترفضون الاحتلال والذل ويا من في قلوبكم وعقولكم العروبة والإسلام، إلا بالخيانة. ووالله إنه ليس انتصاراً طالما بقيت المقاومة في نفوسكم. وأصبح الآن ما كنا نقوله حقيقة، فلسنا نعيش بسلام وأمن طالما الكيان الصهيوني المسخ على أرضنا العربية، لهذا لا انفصال بين وحدة النضال العربي.

يا أبناء شعبنا العظيم

انتفضوا ضد المحتل ، ولا تثقوا بمن يتحدث عن السنة والشيعة فالقضية الوحيدة التي يعيشها الوطن عراقكم العظيم الآن هي الاحتلال. وليس هناك أولويات غير طرد المحتل الكافر المجرم القاتل الجبان، الذي لم تمتد يد أي شريف لمصافحته، بل يد الخونة والعملاء.

أقول لكم إن كافة الدول المحيطة بكم ضد مقاومتكم، لكن الله معكم، لأنكم تقاتلون الكفر وتدافعون عن حقوقكم. لقد سمح الخونة لأنفسهم الجهر بخيانتهم، رغم كونها عاراً، فاجهروا برفضكم للمحتل من أجل العراق العظيم والأمة والإسلام والبشرية.

وسينتصر العراق ومعه أبناء الأمة والشرفاء وسنستعيد ما سرقوه من آثار ونعيد بناء العراق الذي يريدون تجزئته إلى أجزاء، أخزاهم الله.

لم يكن لصدام ملك باسمه الشخصي، وأتحدى أن يثبت أي شخص أن تكون القصور إلا باسم الدولة العراقية، وقد تركتها منذ زمن طويل لأعيش في منزل صغير.

انسوا كل شيء، وقاوموا الاحتلال، فالخطيئة تبدأ عندما تكون هناك أولويات غير المحتل وطرده، وتذكروا أنهم يطمحون لإدخال المتصارعين من أجل أن يبقي عراقكم ضعيفاً ينهبوه كيفما شاؤوا.

ويكفي فخراً حزبكم حزب البعث العربي الاشتراكي، أنه لم يمد يديه للعدو الصهيوني، ولم يتنازل لمعتد جبان أمريكي أو بريطاني. ومن وقف ضد العراق وتآمر عليه لن ينعم على يد أميركا بالسلام.

تحية لكل مقاوم وكل مواطن عراقي شريف، ولكل امرأة وطفل وشيخ في عراقنا العظيم. اتحدوا يهرب منكم العدو ومن دخل معه من الخونة. واعلموا أن من جاءت قوات الغزو معه وطارت طائراته لقتلكم لن يرسل لكم إلا السم.

وسيأتي بإذن الله يوم التحرير والانتصار لأنفسنا والأمة والإسلام قبل كل شيء، وهذه المرة مثل كل مرة ينتصر فيها الحق، ستكون الأيام المقبلة أجمل.

حافظوا على ممتلكاتكم ودوائركم ومدارسكم، وقاطعوا المحتل، قاطعوه، فهذا واجب الإسلام، والدين والوطن.

عاش العراق العظيم وشعبه

عاشت فلسطين حرة عربية من النهر إلى البحر،

والله اكبر

وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
الثانية بعد الاحتلال ٧ مايو ٢٠٠٣

قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى/ قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى

من صدام حسين
إلى شعب العراق العظيم

حي على الجهاد.. حي على الجهاد.. حي على الجهاد.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد بدأ جهاد إخوانكم ليلحقوا كل يوم خسائر متلاحقة بالعدو المجرم الأمريكي والبريطاني، فكونوا معهم، لأن الله معهم.

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. وانتم ترون أن المحتل الجبان يقتل يومياً من إخوانكم وأخواتكم وأبنائكم برصاصه الحاقد، دون أن تدان جرائمه من قبل المتسترين بحقوق الإنسان.

وفي عهدكم، عهد العزة والوطن الواحد والآمن لم يكن هناك من يفتح الباب ليسرق بلدكم. وأقول إن الغزاة الأمريكان والبريطانيين قد سرقوا من ثروتكم الآثار ونفطكم، بل سرقوا من المصارف أموالاً تفوق ما يعلنون، وليعلم الجميع أن مصارفكم كانت مليئة بالأموال بمختلف العملات، لمودعين وللدولة، وقد سرقها الغزاة الذين سيسرقون نفطكم وثروتكم. وليس جديداً أن بوش أو بلير هما لصوص؛ فهم قتلة.

ولا اكشف سراً الآن إن ما أنفقته الدول المحيطة بالعراق منذ عام ١٩٦٨ ولغاية الآن للإضرار بالعراق بسبب مواقفه القومية الشريفة ولمنع نهوضه. لو قدر وانفق على تحرير فلسطين وإعمارها لتم ذلك، بل كان يكفي لتحرير كل الأراضي العربية المحتلة من إسرائيل وغيرها.

وبينما احتضن بعض الأنظمة العربية معارضين وهم خونة، وسمح لهم بالتخابر مع

شقف وبريطانيا لم تسمح لمقاومين بالبقاء أياماً، وكذلك فعل النظام الأردني الذي يسعى للترويج للمشروع الصهيوني بعد أن وقّع عار وجريمة وادي عربة. أما النظام السعودي، الذي سمح للغزاة بتدنيس ارض الرسول (ص) فأنفق وحده ضد العراق القومي المسلم فوق ما يتصور العقل، خدمة للعدو الصهيوني وأمريكا.

وقد قالوا مرة إن الأمريكان جاءوا لحمايتنا من إسرائيل، واتضح أن المقصود هو تسهيل العدوان على العراق المسلم العربي.

أما النظام الكويتي الفاجر والكذاب والخائن والبائع عرضه وأرضه وشرفه، فنقول إنهم علقميون ضد الأمة، مثلما كان هناك علقمي في بغداد من الخونة الأنجاس. ومارست الفئة الحاكمة في إيران النفاق والتآمر على العرب والإسلام بكل ما أوتيت من خباثة، فهي احتضنت جواسيس أمريكا ضد العراق، وساعدت في حصار العراق، وفضلا عن ذلك انهم المستفيدون الوحيدون مما يجري، فقد ساهموا في التآمر على طالبان، وكذلك فعلوا مع العراق، ولن يكون لهم دور الآ في التآمر على الأنظمة المعادية للإمبريالية الأمريكية. وتركيا طوال سنوات تسمح للطائرات الأمريكية والبريطانية، مثل آل سعود الجبناء الخونة بقتل اخوتكم وأبناء بلدكم.

وإذا كان العراق قد تعرض لحروب وحصار دام ١٣ عاماً وقصفاً متواصلاً ليدخله الغزاة، فان ما حدث له قد أصاب الجميع ممن يريدون العيش بكرامة، سواء كانوا أنظمة أو أحزابا أو حتى وسائل إعلام بالخوف. فخضع من خضع، واضطروا حتى لتغيير مفردات الجهاد والدين..

يا شعب العراق العظيم:

إن كثيراً من الأسرار لو كشفناها لتغيرت قناعات وحقائق بخصوص شخصيات وأحداث. لكن الحقيقة الآن التي يجب العمل بها هي مقاومة الاحتلال وطرده وسحقه. أقول ماذا استفاد الأردن من قيام نظامه بتسليم معلومات ضد العراق وقيادته للغزاة، وماذا استفادت ارض نجد والحجاز من دعم قوات الاحتلال لغاية الآن بالآلات والدبابات والطائرات والأكل والشرب؟

إنهم يكذبون ويحاولون التغطية على جرائمهم عندما يقولون نقدم مساعدات إنسانية. بعد كل جرائمهم بحق العراق والأمة يقولون مساعدات إنسانية. أما النظام الإيراني فاحذروا، فهم عنصريون وليس لهم علاقة بالنضال الإسلامي.

يا شعب العراق العظيم:

وحدهم من يقاومون الاحتلال هم من يفكرون بعراق واحد، أما من يمد يده للغزاة فهو لا يفكر بعراق واحد. اتحدوا وتراحموا وتعاونوا، فلا يطرد صاحب ملك المستأجر ولا تعتدوا على بعضكم. فأموال أي أحد منكم أمانة عند أخيه وجاره والعراقي عموماً. تذكروا أنكم، عرباً وأكراداً وتركماناً وباقي المواطنين، إخوة في الدين والوطن. وإنكم سنة وشيعة مسلمون وإخوة في الوطن.

وأريد أن أقول لكم إن من يدعون أنهم من ضحايا النظام لا تصدقوهم، فبعض ضعاف النفوس يريدون أن يجدوا عند المحتل مكاناً والبعض الآخر جاء مع المحتل أصلاً. أما العراقيون في الخارج فأطلبوا منهم مساعدة اخوتهم حالا ونصيحة، شجعوهم على مقاومة الاحتلال، ومن كان قادراً على مساعدة أخيه فليفعل.

وحافظوا جميعاً على الوطن واسعوا جميعا للمقاومة، وإياكم ثم إياكم ثم إياكم أن تمكنوهم من نفطكم وثرواتكم، قاوموا، قاوموا، قاوموا، وقاطعوا المحتل وأعوانه، هذا واجب ديني ووطني.

في معركة المطار خاض المتطوعون العرب نزالاً عنيداً جباراً مع اخوتهم أبناء العراق في الجيش والشعب حتى بلغت خسائر المجرمين الأمريكان أكثر من ألفي قتيل وأعداداً أكثر من الجرحى، ومعدات لو سمحوا للمصورين أن يلتقطوا فيها الصور لكانت صور محرقة قد تمت لهم، في هذه المنازلة. ولكن الخيانة من أناس هان عليهم دينهم ووطنهم وأمتهم وعرضهم ولقاء ثمن مهما كبر فهو بخس بحجم ما ألحقوا بالعراق والأمة من أذى. لقد قاتلنا برجولة وشرف وعزة وكرامة، ولن ننهزم طالما بقي الإيمان بالله في نفوسنا والجهاد خيارنا والمقاومة ردنا.

لقد أوجد الغزاة حالة من عدم الأمن في العراق، فالسرقة والقتل والاغتصاب والنهب، ممن قدم معهم، عار سيبقي عليهم ولن يمر دون حساب الله.

تصوروا أن من يطلقون على أنفسهم معارضة عراقية جاءوا يقدمون الدعم لمحتل ليسرقهم ويحتل بلدهم ويفصلهم عن أمتهم، ويعترف بالعدو الصهيوني. كلهم سواء كانوا قد لبسوا العمامة أو القبعة الأمريكية لا فرق بينهم طالما سببوا لشعبهم هذا الألم والاحتلال.

يا شعب العراق الواحد: إن كل المجتمعين لتقرير مصير حكمكم من الخونة سهلوا العدوان والاحتلال، ولن تجدوا بينهم شريفاً واحداً.

وأدعوكم يا أبناء العراق أن تجعلوا المساجد مراكز للمقاومة والانتصار للدين والإسلام والوطن، وأن تشعروا العدو أنكم تكرهونه فعلاً وقولاً.

فهذا العراق العظيم لكم جميعاً وليس لفرد، وهو للأمة وللمسلمين سنداً وجزءاً لا يتجزأ منها. وحين يكون هناك وقت ومكان لمراجعة التجربة سنفعل بروح ديمقراطية لا تخضع لأجنبي أو صهيوني.

انتصروا لدينكم وإخوتكم. وانصحوا بقية العرب والمسلمين حتى لا يحدث الخرق الذي ترونه. كونوا لامتكم حتى يكون شعب الأمة لكم. وإن رأيتم العدو يريد النيل من سورية أو الأردن أو السعودية أو إيران، فساعدوا في مقاومته، فهم ورغم الأنظمة إخوتكم في الدين أو العروبة. وساعدوا الكويت وبقية دول الخليج العربي ومصر والأردن وتركيا ليتخلصوا من العدو الأمريكي.

الله اكبر حي على الجهاد حي على الجهاد

عاش العراق الواحد المسلم العربي وعاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر

الله اكبر وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
الثالثة بعد الاحتلال

[فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ]

من صدام حسين

إلى الشعب العربي العظيم والشعب العراقي جزء لا يتجزأ من هذا الشعب.

إلى من بقيت غيرتهم على هذه الأمة

إليكم جميعاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبعث برسالتي هذه إليكم في ظروف صعبة تمر بها الأمة. والعراق جزء من هذه الأمة، واكتب إليكم في هذا المساء الذي قارب فيه الليل ليخيم، وبدون كهرباء، والكتابة ليست عملية يسيرة في ظل الظلام. لكن النضال لن يتوقف، والمقاومة لن تنتهي، والليل لا بد أن يعقبه النهار.

يا شعبنا العربي العظيم

لقد عاهدت الله أن أموت شهيداً ولا أسلم للعدو الأمريكي والبريطاني الجبان والقاتل. وإذا كانت الجولة الأولى حفلت بالخيانة من قبل أناس باعوا دينهم وأمتهم ووطنهم وعرضهم، فان النهاية لا يكتبها إلا المؤمنون بالله والذين سيطردون الغزاة القتلة اللصوص. وأنا أودع شباباً وشابات للقيام بعملية ضد العدو الجبان القاتل، تذكرت كل لحظات التاريخ الإسلامي العربي الناصع. فالمستقبل يصنعه مثل هؤلاء ، كما سيصنعه أبناء الشعب الفلسطيني المجاهد والعظيم.

لقد احتضنت الدول العربية المجاورة للعراق وغير المجاورة خونة أطلقوا على أنفسهم معارضة، وعندما بدأ العدوان كانوا من ضمن قوات الغزو، فقد سهلت هذه الدول إتصالات وتحركات هؤلاء الخونة مع **CIA** والموساد والمخابرات البريطانية.

كما سهلت إيران وتركيا مثل هذه الاتصالات. وليس بغريب أن من احتضنتهم إيران دخلوا بحماية القوات الأمريكية والبريطانية، مثلما فعلت تركيا والأردن وآل سعود الأنذال

وبائعو أرضهم وعرضهم في نظام الكويت المحتلة. وأؤكد لكم أن الصف الأول من القادة لم يستسلموا أو يخونوا بل تم تسليمهم من قبل خونة، أو تم تسليمهم من قبل الأردن على الحدود. وأقول هذا حتى تعرفوا أن دخول بغداد لم يكن سهلاً حتى مع وجود الخيانة. فكنا نحارب ونحن تحت الحصار مدة ١٣ عاماً ونواجه أكثر من ٥٠٠ ألف مجرم من الغزاة وأكثر من جهاز مخابرات كان يعمل ضدنا، بل إن كافة أجهزة المخابرات المحيطة بالعراق وغير المحيطة من العرب كانت تزود المخابرات الأمريكية بمعلومات مجانية وتحت باب إظهار الولاء.

فضلاً عن معدات ووسائل اتصال كنا محرومين منها. ومع ذلك لولا الخيانة لكنا صمدنا سنوات نستنزف فيها العدو دون ان يتمكن من دخول بغداد.

وبعد الذي حدث، أدعوكم يا من بقت الغيرة لديكم على أمتكم ودينكم، أدعوكم انتم ولا أدعو أنظمتكم للعمل تحت راية الجهاد، الله اكبر، وكل حسب مقدرته واستطاعته ودرجة إيمانه. ويبدأ هذا الجهاد بالنسبة للجميع بالتالي:

١- مقاطعة العدو الأمريكي والبريطاني والصهيوني.

٢- عدم تقديم أية تسهيلات لأي من أفرادهم أو مؤسساتهم، وحتى لدرجة عدم نقلهم بواسطة سيارات الأجرة أو تأجير مساكن لهم.

٣- عدم عقد مباحثات مع أي جهة منهم ما لم يكن شعارها لا للاحتلال الأمريكي والبريطاني والإسرائيلى.

٤- مقاطعة بضائع الدول هذه وكل من يؤيد العدوان.

٥- عدم التعامل مع أي عراقي فرداً أو حزباً أو جهة إن كان يعبر عن المحتل المجرم أو كان موافقاً أو مؤيداً للاحتلال.

٦- اسمعوا حكوماتكم صوتكم وليتذكروا وانتم معهم أنكم أبناء بلد واحد وأمة واحدة.

٧- إن النضال الحقيقي يجب أن لا يتعرض لممتلكات عامة أو خاصة.

أما الذين يجاهدون بأرواحهم في سبيل الله والأمة فأسلوبهم ووسائلهم معروفة لنا جميعاً.

وكنت أثناء بدء العدوان أسمع صوتكم يا شعبنا العربي العظيم ومواقفكم المليئة بالرجولة والشرف، ولكن للأسف لم تكن الأنظمة العربية بمستوي فهمكم وإحساسكم.

فلم أطلب من رئيس مصر أن يحارب نيابة عني، لكن طلبنا إيقاف مرور أسلحة الغزاة عبر قناة السويس وعبر الأجواء المصرية. وقد مرت ٩٥٪ من القوات والمعدات التي قتلت إخوتكم في العراق عبر قناة السويس. وكان تخاذل النظام المصري سبباً في هذه الأوضاع، فمنذ رحيل الزعيم التاريخي جمال عبد الناصر، رغم الخلاف في تقييم تجربته إلا أنه استطاع بنقائه وطهارته الشخصية استثمار ثقل مصر ليجعلها قائدة للشعب العربي ومحبي التحرر من الاحتلال. وأقول بصراحة إن الأمة الإسلامية والعربية لم تنجب أنظمة بمستوى

الخيانة الذي شاهدناه في أنظمة مصر وآل سعود وآل صباح والنظام الأردني ونظام قطر، الذي عليه أن يغسل عار سماحه لمجرمي العدوان تخطيط جرائمهم وعدوانهم ضد العراق. كما لم تتجب الأمة الإسلامية بمستوى خيانة وخسة نظامي إيران وتركيا.

يا شعبنا العربي العظيم

ليكن شعاركم لا للاحتلال قولاً وفعلاً، وليبدأ ذلك من رجل الشارع وحتى وسائل الإعلام. افضحوا المعتدي ولا تروجوا لأكاذيبهم انهم جميعا قتلة. يا من كانت الكلمة سلاحكم ارفضوا الاحتلال والعدوان.

أنت مطالب أخي العربي مثقفاً كنت أو أديباً أو صحافياً أو مصوراً أو رساماً بفضح المحتل الجبان وجرائمه. ولا تسمحوا لمن يؤيد المحتل أو يبرره ان يكون بينكم. وارفضوا يا من الرياضة مجالكم المحتل وقاطعوه وقاطعوا فرقه وكل من يؤيده. ولتشمل المقاطعة كل المجالات ليكن صوتكم جميعاً ضد الاحتلال.

فأنتم الأمل، لا الأنظمة. وإذا كانت قيادة العراق تعرضت لكل ما تعرضت إليه بسبب مواقفها الوطنية والقومية ضد الإمبريالية والصهيونية، فإن طريق الجهاد سيستمر لهذه القيادة التي اختارت أن يكون شعارها شهداء في سبيل الله، أو الجهاد حتى النصر

الله اكبر، وعاش الشعب العربي وعاش الشعب العراقي، الذي هو جزء لا يتجزأ من الشعب العربي. وعاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر

وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
الرابعة بعد الاحتلال ٢٥ مايو ٢٠٠٣

دعا الرئيس صدام حسين ابناء العروبة إلى مقاطعة كل "من تنصبه القوات الغازية المجرمة لإدارة أي من المجالات العراقية الحكومية أو الشعبية".

وفي رسالة ارسلت عبر الفاكس إلى ميدل ايست اونلاين اكد ان المقاومة العراقية تقوم باصطياد المجرمين من قوات الاحتلال وقال مخاطبا البعثيين وابناء العروبة خارج العراق: اتركوا لنا مقاتلة المجرمين الاميركيين والبريطانيين المحتلين وما نطالبكم به هو ان تقاطعوا كل من ينصبه المحتلون لادارة أي مجال حكومي او غير حكومي عراقي وان تطردوا الخونة المتعاونين مع الاحتلال.

ويحمل البيان المكون من اربع صفحات توقيعا للرئيس العراقي في كل صفحة ويشير تاريخ كتابته إلى ٢٥ مايو ٢٠٠٣

وكانت رسائل سابقة من الرئيس أرسلت إلى صحيفة القدس العربي في لندن واشار ميها الى بدء المقاومة العراقية للاحتلال وتصاعدها وانتشارها في المدن العراقية وتعهد فيها بمواصلة الجهاد لتحرير العراق من رجس الاحتلال الاميركي الصهيوني .

وفي الرسالة الجديدة دعا العرب إلى "اشعار الأميركيين والبريطانيين بانهم سيبقون يعيشون في أرض العرب خائفين وقلقين ومرعوبين ما لم ينسحبوا من العراق، ويعدلوا مواقفهم من الاحتلال الصهيوني المجرم لفلسطين".

وأشار مجددا إلى تواطؤ عدد من الأنظمة العربية والتى وصفها بانها "قبضت ثمن بيع العراق مزيدا من الذل والهوان".

وحث صدام السوريين على التحدي وقال" نقول لاخوتنا في سوريا العروبة لا تضعفوا فيزدادون طغيانا عليكم، واظهروا روحا متحدية عربية اسلامية اصيلة، ولا تكونوا مثل بقية الانظمة التي تمنع مساعدة اخوتهم المقاومين".

ودعا البعثيين في البلاد العربية إلى القيام "بدورهم في تخويف واقلاق وبث الرعب في قلوب جبناء اميركا".

وحيا صدام حسين فصائل المقاومة بالاسم مشيرا الى "كتائب الفاروق ومجاميع الحسين، ورجال الجيش العراقي الذين يخوضون حرب عصابات شريفة".

نص الرسالة

"والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى"

من صدام حسين

الى المجاهدين في كل مكان ابناء العروبة الشجعان

الى اعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ونحن نقاتل ونصطاد العدو الاميركي والبريطاني الجبان، ندعوكم لتفعيل دوركم السياسي في مقاطعة كل من تتصيه القوات الغازية المجرمة لادارة أي من المجالات العراقية الحكومية او الشعبية.

كما ندعوكم يا اخوة الجهاد لطرد كل خائن ايد الاحتلال او جاء معه ممن يسمون انفسهم زورا بالعراقيين.

قاطعوهم ودعوا لنا حمل السلاح لتدمير اميركا المجرمة ومن معها.

واشعروا يا اخوة الجهاد كل اميركي وبريطاني انه سيبقى يعيش في ارض العرب خائفا قلقا مرعوبا ما لم ينسحبون من العراق ويعدلون مواقفهم من الاحتلال الصهيوني المجرم لفلسطين العربية.

وما نطلبه منكم ليس مستحيلا او صعبا بالرغم من تواطؤ الانظمة التي قبضت ثمن بيع العراق مزيدا من الذل والهوان لهم من امثال نظام مبارك الخائن ونظام الاردن الجبان والخائن ومثل الخونة من آل سعود وجبناء الكويت المحتلة آل صباح.

ونقول لاخوتنا في سوريا العروبة لا تضعفوا فيزدادون طغيانا عليكم، واظهروا روحا متحدية عربية اسلامية اصيلة، ولا تكونوا مثل بقية الانظمة التي تمنع مساعدة اخوتهم المقاومين بعد ان سلمت عددا منهم.

يا مجاهدي المسلمين والعرب ويا من هو بعثي في أي مكان، هذا هو يومكم الذي لا بد ان يظهر دوركم الذي لا يمكن ان توافقوا على ان يكون مجرد حماسيات تفتقد الفعل الصحيح.

ان عراقكم يدعوكم لتزيدوا من خوف وقلق ورعب جبناء اميركا فيما نستمر بضربهم حتى الموت.

عاش كل مجاهد شريف.

عاش ابناء العراق الشجعان الذين يقاومون المحتل.

عاشت كتائب الفاروق ومجاميع الحسين.

عاش رجال الجيش الذين يخوضون حرب عصابات شريفة.

عاش اعضاء حزب البعث العربي الاشتراكي.

عاشت المجاهدات من بنات العراق.

الله اكبر

عاش العراق

عاشت فلسطين حرة عربية من البحر الى النهر.

وليخسأ الخاسئون.

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
الخامسة بعد الاحتلال ١٢/٦/٢٠٠٣

[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الافَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ]

إلى الشعب العراقي العظيم

إلى أبناء الأمة العربية والإسلامية.

إلى الشرفاء في كل مكان

لقد عاهدنا الله أن لا نجعل القوات الأمريكية والبريطانية المجرمة تهنأ وتسرق خيرات العراق العظيم، لهذا يخوض أبناء الشعب من رجال الجيش والحرس الجمهوري وكتائب الفاروق ومجموعة التحرير وأعضاء حزب البعث ومجاميع الحسين قتالاً حقيقياً هي معركة في سفر المنازلة الكبرى لطرد القوات الغازية الكافرة من العراق.

ولقد أخذ العدو بقتل المدنيين، من ليس لهم علاقة بحمل السلاح، وهو أمر يستلزم نهوض أبناء الشعب بقواه المختلفة والمتفقة على هدف تحرير العراق من الاحتلال.

إنهضوا جميعاً وحولوا أيام العدو إلى جحيم، واجعلوا من المساجد والمدارس وضريح علي والحسين والعباس رضوان الله عليهم وابو حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني إلى نقاط لمقاومة المحتل وطرده . ولقد اتخذت المقاومة قراراً لا رجعة عنه لتوسيع عملياتها، لذا ننذر كل الرعايا الأجانب ومن قدم مع المحتل الجبان مهما كانت صفته ووظيفته، ومن الذين نبهناهم ببيان القيادة بضرورة مغادرة العراق قبل ١٧ من شهر حزيران (يونيو) المقاوم والمنتفض، ولن تتحمل ما ينتج بعد ذلك من آثار، وقد أعذر من أنذر.

يا أبناء شعبنا العظيم:

يا أبناء الأمة العربية والإسلامية والشرفاء في كل مكان، لاحظوا بشاعة جرائم أمريكا في العراق، ولاحظوا جرائم المجرم شارون، إنهما في وقت واحد، فالمقصود هو الإسلام والعروبة والأوطان والإنسان.

ولن ندع المحتل ينعم بخيـراتنا ونفطنا، ولن يهنأ من تصور أنه سيكسب من هذا الاحتلال من عرب الجنسية وأدعياء الإسلام والغرب الصامت عن هذه الجرائم.

نقول لكل دول العالم اسحبوا رعاياكم من العراق، فإننا في معركة تحرير، فإن لم تسمعوا فعليكم أن تكونوا مسؤولين عن أرواحهم. لا ترسلوا أي طائرة للعراق أو حافلة أو باخرة فهي أهداف لنا نحرم منها العدو لكي لا يستغلها في تركيز احتلاله.

لقد اقتربت ساعة التحرير والضربة الموجعة ولن يتاح لهم غير الهروب أو أن يقتلوا وسنبقي لهم فقط شخصاً واحداً ليروي لأمريكا المجرمة الكافرة وبريطانيا الحقد الصليبي كيف قتل بقية المحتلين الجبناء الذين اعدموا الأسرى واغتصبوا النساء والأطفال ,والذين لم يعرفوا الشرف والفضيلة.

وسيندم بوش المجرم الكافر اللص القذر ومعه تابعه الصغير الفاجر بلير شر ندم وستندم الحكومات التي أرسلت قوات لتبقي الاحتلال أطول مدة، وستندم بقية الحكومات العربية التي هادنت وساعدت المحتل.

ما معنى أن يقتل المحتل اكثر من مئتي أسير، واكثر من مئة وخمسين مدنياً في ٧٢ ساعة، ما معنى كل هذا يا أحرار العراق والعرب والإسلام والعالم.

إن هذه المرحلة الأولى من المقاومة التي ستشمل قوات الدنمارك وبولندا وغيرهم من الكفرة، وبعد هذه المرحلة إن بقي العدوان سيكون لكل حادث حديث.

فان انتهت هذه المرحلة دون أن يغادروا سيكون حقاً لنا أن ننقل دفاعنا إلى بلدانهم، وطائراتهم، مثلما يقتلون أبناء العراق، سنرد عليهم، وهذا عهدنا لله وشعبنا.

عاش العراق العظيم وعاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر

الله اكبر ..

الله اكبر ..

الله اكبر ..

وليخسأ الخاسئون..

صدام حسين

---

* فجر ١٢ ربيع الآخر ١٤٢٤ / ٢٠٠٣/٦/١٢

رسالة الرئيس صدام حسين
السادسة بعد الاحتلال ١٤ يونية ٢٠٠٣

أيها الشعب العظيم
أيها النشامى في قواتنا المسلحة الباسلة
يا أبناء أمتنا المجيدة..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحن الآن في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني ١٤٢٤ هجرية/ الموافق ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣ م. وقد وصلني ما يقوله العراقيون متسائلين: لماذا لم نسمع صوت صدام حسين منذ فترة من الزمن؟ ليتكلم إليهم.. وأقول ابتداء إنني مشتاق إليكم أيها الأحبة مع أنني بينكم وبين صفوفكم.

ولكنكم تعلمون أيها الإخوة والأبناء أيها الأحبة أن وصول الكلام المسجل صوتياً إليكم لا يسير بنفس اليسر الذي كنتم قد اعتدتم عليه سابقاً، وإننا بذلنا محاولات لإيصاله إليكم قبل الآن، ومع ذلك فإنكم محقون في ملاحظتكم وعلى هذا أخاطبكم اليوم.

لقد قلت لكم قبل المنازلة الأخيرة وأثناءها باسمي وباسم القيادة بأننا لن نخذلكم بعون الله ولن نجعل الله يغضب علينا أو لا يرضى عنا تمام الرضا ولهذا لم ننصاع ولم نرضخ للتهديدات الأميركية الصهيونية ولم نقبل أن يفرضوا على العراق ما يشاءون و ان يحتلوه من غير قتال فيذلون إرادته المؤمنة وحق شعبه في أن يعيش حراً، ويقرر بكرامة وإيمان ووطنية حقيقية وان يسدوا عليه أبواب المستقبل مقابل أن نحتفظ بكراسي في الحكم تحت سيطرتهم الاستعمارية الكافرة لنكون مثل آخرين تعرفونهم.

خابوا وخاب ما يفعلونه، خاب الغزاة وخاب ما يفعلونه. وها قد وفينا بعهدنا ووعدنا لكم وضحينا بما ضحينا به إلا المبادئ القائمة على الإيمان العظيم ومعاني الشرف الرفيع والشعب والأمة.

ضحينا بالحكم ولم نحنث بعهد الله ولم نطعن الشعب والأمة وكل الخيرين في الظهر، لا بالاستسلام ولا بالتخاذل.

أبشركم أيها الاخوة والأبناء الماجدات والنشامى ,أبشركم بأن خلايا المقاومة والجهاد تشكلت على نطاق واسع فعلاً من المجاهدين والمجاهدات، وباشرت أعمالها المشرفة في منازلة العدو والعدوان. ولا بد أنكم تسمعون عنها وإن كان ما تسمعونه عنها، وبخاصة ما تلحقه من خسائر في صفوف الغزاة الكافرين، هو يسير نسبة لحقيقته الفعلية إذ لا يمر يوم من الأيام في الأسابيع الأخيرة إلا ويسيل دم الكافرين على أرضنا الطاهرة بفعل جهاد المجاهدين ,وإن ما سيأتي في الأيام القادمة سيكون بإذن الله وبعونه وقدرته عسيراً على الغزاة الكفرة.

لذلك أدعوكم للتغطية على المجاهدين الأبطال وعدم إعطاء الكافرين الغزاة وأعوانهم أي معلومة عنهم، وعن نشاطهم، أثناء تنفيذهم العمليات الجهادية، وقبلها وبعدها؛ والكف عن الثرثرة بالأسماء أو أي معلومات حقيقية عنهم، لأن المجاهدين يقومون بعملهم وفق ما يرضي الله والشعب والأمة والوطن .. من حقهم حماية أنفسهم ,ومن ذلك قد يوقعون العقاب بمن يؤذيهم بصورة مقصودة.

وعليه فإننا ندعو إلى احترام أمن المجاهدين والمشاركين في كل ما يجعله مضموناً بإذن الله ,والإخبار عن كل جاسوس ومنحرف لعين لا يرعوي.

أود أن أبين للجميع بأن رفاقي وإخواني أعضاء القيادة موجودون في العراق الآن فعلاً. لذلك فإني أحييهم وأحييكم وأحيي المجاهدين في سجون الاحتلال وساحات القتال وأحيي صمودهم وجهادهم وتضحياتهم.

أدعو الله العزيز القدير أن يمنحهم الصبر ويلطف عليهم بما يجعلهم قدوة للعراقيين ولأبناء أمتهم وأن يكونوا عدولاً في تصرفهم وفي ما يفعلونه.

والله أكبر ..

وليخسأ الخاسئون.

صدام حسين

الرئيس صدام حسين
يدعو المقاومة للعمل السري

نشر موقع إسلام أون لاين بتاريخ ٨-٧-٢٠٠٣ مايلي:

أذاعت فضائيتان عربيتان الثلاثاء ٨-٧-٢٠٠٣ شريطًا صوتيًا قالتا فيه إنه للرئيس العراقي صدام حسين، دعا فيه العراقيين إلى العمل على طرد الغزاة، مؤكدًا أن "هجمات حرب العصابات" و"العمل السري" يشكلان الوسيلة المثلى لمقاومة الاحتلال الأمريكي البريطاني.

وقال صدام في الشريط الذي بثته قناة الجزيرة القطرية وتلفزيون "ل.بي.سي" اللبناني ولم تكن به أي إشارة إلى تاريخ التسجيل الصوتي: "إن العودة إلى العمليات السرية هي الوسيلة المناسبة للمقاومة".

وأضاف صدام الذي أكد أنه يتحدث من داخل العراق: "المهمة باتت الآن لكم عربًا وكردًا وتركمانًا، شيعة وسنة، مسلمين ومسيحيين، إن مهمتكم الأساسية هي طرد الغزاة من بلادنا".

ودعا الرئيس العراقي في الشريط الصوتي العراقيين لاستخدام كافة الوسائل المتاحة لمحاربة الغزاة بداية من المقاطعة التجارية والمظاهرات السلمية والعصيان المدني وحتى إطلاق النار على المحتلين بالمسدسات والبنادق.

وقال: "إن النصر آت آت إن شاء الله.. الله أكبر الله أكبر، وليخسأ المجرمون الصهاينة والإدارة الأمريكية وتابعوهم وليلعنهم الله إلى يوم الدين".

وأضاف في الرسالة التي استغرقت ١٤ دقيقة: "إن الله معكم، الله مع المجاهدين الثابتين على الموقف.. الثابتين على المواقف التي ترضيه سبحانه.. لا نصر إلا لمن ينصره الله.. اعملوا من خلال هذا على الفوز بالجنة ونيل العزة".

وأكد مسؤولون بقناة "ل.بي.سي" -التي كانت أول من بث الشريط- أنهم عثروا عليه أمام مكتب القناة في فندق فلسطين ببغداد.

رسائل مستمرة

كانت قناة الجزيرة القطرية الفضائية قد بثت في الرابع من شهر يوليو ٢٠٠٣ شريطًا صوتيًا منسوبًا إلى الرئيس العراقي أكد فيه أنه موجود بالعراق، ودعا إلى طرد "المحتل الكافر".

وقالت القناة في وقت لاحق: إن المخابرات المركزية الأمريكية تأكدت بالفعل من أن ذلك الشريط كان بصوت الرئيس العراقي.

وأعلنت أكثر من جماعة مقاومة عراقية في الأسابيع الأخيرة عن قيامها بهجمات ضد قوات الاحتلال.

رسالة الرئيس صدام حسين
السابعة بعد الاحتلال ٢٥ يوليو ٢٠٠٣

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾

صدق الله العظيم

أيها الشعب الكريم

أيها النشامى في قواتنا المسلحة الباسلة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أنعي إليكم أيها الأخوة والأبناء .. وأزف لكم النبأ الشاق وهو أمنية كل مؤمن مجاهد في سبيل الله، حيث ارتفعت أرواح كوكبة أخرى جديدة من الشهداء إلى بارئها .. طيورٌ خضرٌ .. في سماء وضيافة الرب الرحيم هناك حيث الجنة وفيها الصديقين والشهداء ومن رضي الله عنه فأرضاه.

لقد جاء موقف هذه الكوكبة مثلما هو موقف كل الشهداء الأبرار الذين يشدون النفس جهاداً في سبيل الله صادقين مؤمنين؛ جاء وفياً صادقاً أميناً للعهد والوعد الذي قطعوه على أنفسهم وقطعناه بعد الله أمامكم وجعلنا النفس والمال والولد فداء في حومة الجهاد المؤمن في سبيل الله والوطن والشعب والأمة، ووقف أبناؤكم وإخوانكم أيها الأحبة العراقيون، وقف إخوانكم عدي وقصي ومصطفى ابن قصي وقفة الإيمان التي ترضي الله وتسر الصديق وتغيظ العدى في ساحة الجهاد في أم الرماح الموصل الحدباء، وذلك بعد قتال باسل مع العدو استمر لمدة ست ساعات كاملة، ولم تستطع جيوش العدوان المحتشدة عليهم مع كل أنواع الأسلحة للقوات البرية أن تنال منهم إلا بعد أن استخدموا على البيت المتواجدين فيه الطائرات، وهكذا وقفوا الوقفة التي شرف الله بها هذه العائلة الحسينية ليتواصل الحاضر

تواصل بهي أصيل مؤمن ومشرف معاً.

فالحمد لله على ما كتبه لنا سبحانه أن شرَّفنا باستشهادهم في سبيله، ونتورع عليه تعالى أن يرضيهم هم وكل الشهداء الأبرار بعد أن أرضوه بوقفة الجهاد المؤمن وحميته، ومرة أخرى أقول وأشهد الله قبلكم أيها الأخوة والأبناء في شعبنا الوفي الأمين وأمتنا المجيدة، لأن النفس والمال فداء في سبيل الله وفداء للعراق ولأمتنا بعد أن افتدينا هذه العناوين والمعاني بالولد، ولو كان لصدام حسين مائة من الأولاد غير عدي وقصي لقدمهم صدام حسين على نفس الطريق، ولأن الواجب والحق يستأهلان هذا، وأن معاني الإيمان والحمية والحق المغتصب تناشد أهلها المؤمنين أهل المبادئ الصادقين في العهد والوعد، ولا يجوز إلا أن نكون منهم، ونحن ندعو إلى هذا ليرضى الله والناس والتاريخ عنا، فالحمد لله على ما كتبه لنا أن شرفنا باستشهادهم جميعاً وعوضنا بعد رضا الله في أبناء وشباب العراق الغيارى وأبناء أمتنا المجيدة وبالمبادئ التي تصان لتحيا مزهوة هي وبيرق الله أكبر بدماء الشهداء.

والله أكبر ومجد وعليين لشهداء الإيمان .. شهداء العراق والأمة

والله أكبر والمجد للشهداء.. وعاشت أمتنا المجيدة وعاش العراق.. عاش العراق

وعاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر، ولتخسأ ولتسقط الصهيونية

وعاش الجهاد والمجاهدون، وليخسأ الكذابان وأعوانهما وأتباعهما وعملائهما

وان مبادئ الحق تزدهر ويعلو شأنها على مذبح الشهداء، فإن كنتم قد قتلتم عدي وقصي ومصطفى ورجل مجاهد معهم، فإن كل شباب أمتنا وشباب العراق هم عدي وقصي ومصطفى في ساحات الجهاد.

والله أكبر والعزة لله والمؤمنين.

الله أكبر..

الله أكبر

صدام حسين

* تموز ٢٠٠٣ ـ جماد الأول ١٤٢٤ للهجرة.

رسالة الرئيس صدام حسين
الثامنة بعد الاحتلال ٢٧ يوليو ٢٠٠٣

بيان إلى شعب العراق الوفي العظيم

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أولاً في ظروف الكوارث والحروب يسعى المسؤولون المخلصون لشعبهم ولأمتهم إلى إنقاذ الأغلى والأثمن مما يمكن إنقاذه، واعتبار التضحيات والخسائر من المستوى والوصف الآخر مفهوماً بضوء وطبيعة كل كارثة وحالة صعبة، ولأن ما وقع على شعبنا وما أصابه من تضحيات وخسائر بسبب العدوان الأجنبي كبيرة وصعبة بقياس أمثالها ومنها ما مر بشعبنا بتاريخه الحديث قبل هذا فان مبدأ إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما هو ثمين واجب من واجبات المسؤولين عن هذا الشعب، ولأن الإنسان هو أثمن وأغلى ما ينبغي أن تتوجه إليه العناية لإنقاذه من عدوه ومن نفسه، بعد السعي المؤمن لحوز رضا الله القادر العظيم فإن الموضوع الذي نحن بصدده أيها الأخوة و الأبناء وهو إنقاذ بعض العراقيين من أنفسهم ومن غيرهم.

لقد اختل توازن فئة من الناس في أيام الحرب التي حصلت بين كتل الجيوش على طرفيها وما بعد ذلك بزمن، فلم يتوقف اختلال التوازن و لن يوقفه إلا وقفة من وضع نفسه مجاهداً في خدمة المبادئ التي ترضي الأمة و الشعب بعد رضا الله، وأعني بالأمة والشعب هنا كحقيقة تاريخية على وفق وصف ضميرهما الواعي وتطلعاتهما وقياساتهما الأصيلة عندما يستقر لهما ظرف يتيح أمامهما التمعن والتبصر الصحيحين واستحضار الضمير الحي للقول والوقوف على أساس القول إن هذا حق وذاك باطل، وهذا صحيح ومقبول وهذا غير صحيح ومرفوض.

أقول لم ولن يوقف اختلال التوازن الذي أشرنا إليه إلا موقف وفعل المؤمنين المخلصين المجاهدين الذين عملوا وجاهدوا لمواجهة الاحتلال ولطرد الغزاة خارج العراق، ليعود العراق في وجهه المؤمن معافى بعد أن ابتلي ببلواه فأصابه ما أصابه، ومن بين ذلك اختلال نفوس

ساقها الشعور بالإحباط أو اليأس أو القول، لأن ابن الشعب أحق وأولى من المحتلين بمال الدولة التي يسعى المحتلون إلى تدميره أو الاستيلاء عليه وتوظيفه لأغراضهم الدنيئة بما فيه تسخيره لأتباعهم الخونة الأشرار الذين رافقوا دباباتهم، فكانوا أذلاء أخساء على وطن الإيمان وأبناء جلدتهم.

تحت مثل هذا الشعور أو ما يترشح عن الإحباط من طمع استولى على عدد كثير من المواطنين على عجلات عائدة للدولة أو الحزب، والبعض الآخر منهم نقل العجلة المكلف عنها ومسجلة ذمة عليه، نقلها إلى داره تحت شعور الحرص وممارسة المسؤولية بتكليف له به من جهة أعلى ضمن دائرته، أو على وفق اجتهاده ومبادرته هو ليحافظ عليها إلى حين، وحتى يتبين أو تنشأ ظروف تتيح أمامه التعرف على رأي الجهة الرسمية المسؤولة عن هذا.

إن هذه القضية التي نتولى معالجتها الآن من القضايا الحساسة التي يتداخل، معها وفيها، ونحن نعالجها أو من قبل الناس جميعاً، الإحساس بالمرارة تجاه ما وقع مع الإصرار على تحمل المسؤولية بروح قيادية خاصة لإنقاذ أبنائنا وإخواننا، وحتى الجانحين منهم ما عدا من خان الشعب والوطن والأمة وتعاون مع المحتلين المجرمين، ولأننا نشعر بعمق أن عدم معالجة هذه القضية بالحكمة الواجبة تجعل المعنيين في هذا، إما أن يقفوا تحت شعور الحيرة وثقل المسؤولية، أو أن الشعور بالذنب والخوف من المستقبل لمن جنح قد يدفع البعض منهم إلى ارتكاب جريمة الخيانة بحق الوطن والمسيرة لا سمح الله، وهو ما لا يريده ولا يرغب فيه أساساً، فيكون عوناً للأجنبي تحت هذا الشعور المدمر، والخوف من المستقبل بدل أن يكون بندقية محشوة ضد الأجنبي المحتل ليكون جزءاً من المسيرة الظافرة، ولا يخاف من المستقبل، أمام كل هذا وما يمكن أن يضاف إليه قررنا:

اعتبار كل العجلات المفقودة أو المودعة أمانة لدى أصحابها، والعائدة ملكيتها لأجهزة الدولة والحزب، هدية إلى من حازها، له التصرف بها؛ وإن شاء اقتناها وإن شاء باعها، ملكاً صرفاً غير مثقل بأي التزام ومعفو صاحبه من أي مساءلة الآن وفي المستقبل.

أما من أراد أن يحتفظ بأي عجلة تطوعاً منه ليعيدها حسب ملكيتها إلى الحزب أو الدولة، عندما ترد الأمور ضمن مجاريها الصحيحة مستقبلاً إن شاء الله، فهو أمام الله والناس ذو حظ عظيم، وله ثواب ربنا الرحيم إن شاء سبحانه، وفخر المؤمن البار أمام نفسه وعياله وأصحابه وأمام الناس أجمعين، ومثله من يقرر بيع العجلة العائدة أصلاً إلى الدولة والحزب، ويقرر التبرع بجزء من ثمنها للجهاد والمجاهدين، إذا كان أصل ملكية العجلة للدولة، والتبرع للحزب في منطقته إذا كان أصل ملكية العجلة المعنية للحزب، وفي كل الأحوال نمنع المعنيين منعاً باتاً من تسليم العجلات التي في حوزتهم للمحتلين المجرمين وأعوانهم الخونة والأجهزة التي تولوا إدارتها، مع ملاحظة أن لا يستفيد من هذا القرار التالية عناوينهم: رئيس الجمهورية، رئيس مجلس قيادة الثورة، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، أعضاء مجلس قيادة الثورة والقيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، ونواب رئيس الوزراء

والوزراء ومن هم بدرجتهم، إذ لهم فقط أن يحتفظوا وينتفعوا بالعجلات التي في حوزتهم الآن، ويقدموا عنها بيان تفصيلي إلى رئيس الجمهورية بعد عودة الأمور إلى مجاريها الصحيحة في المستقبل إن شاء الله.

ثانياً: أيها الأخوة والأبناء، إننا في معالجة الحال الذي عالجناه على وفق ما ورد في أوله، بعد الاتكال على الله الواحد الأحد، عالجنا واحدة من مشاكل الحاضر، ولأن إيماننا عظيم بأن الله ناصرنا وناصر شعبنا المؤمن الأمين، فإننا واثقون بأن اللحظة، التي ينهار فيها جيش الاحتلال، ويسلم المحتلون للحقيقة ولما يريده الله والشعب، قادمة وممكنة في أي لحظة من الزمن القادم أمام ضربات المجاهدين الموجعة للمحتلين وإصرار شعبنا الأبي على وقف الاحتلال والمحتلين، ولكي لا ندع الحال يفاجئنا فيسبق تحسبنا له بموقف واضح وصحيح، فإننا نناشدكم أيها الأخوة والأبناء الالتزام والانضباط المؤمن، وسوف يسجله الله إن شاء سبحانه ثواباً لكم، ومنا ومن الناس أجمعين التقدير الذي يستحقه الصابر المبتلي الذي ينجح في صبره إزاء بلواه، وعلى هذا أدعو كل من تضرر من أعمال النهب والعدوان السابقة، بل أدعو الجميع إلى الانضباط وعدم التصرف والثأر كرد فعل على حال النهب والقتل الذي مارسه الجانحون بتشجيع المحتلين، لما هو مماثل لفعلهم، عندما ينصركم الله على العدوان والعدوانيين المحتلين، وأدعوكم مع هذا أيضاً وبخاصة إلى احترام القانون الدولي واحترام مبادئ الأديان السماوية ودينكم الحنيف إزاء من يسلم نفسه إليكم من جيوش العدوان، وبذلك تضيفون أيها الشعب الكريم إلى تاريخكم المجيد، ما هو استحقاقكم واستحقاقه ويليق بتضحياتكم السخية في عراق الإيمان والموقف، ويعلي صفة وصف النفس بالمهمات والصعوبات.

سلام وتحية إلى العراقيين الأبرار والماجدات.

سلام إلى أصحاب السريرة النظيفة واليد النظيفة.

ونسأل الله تعالى الرحمة للخيرين، ونسأله أن يغفر، لو أراد، لمن جنح فأخطأ وتاب إنه بعباده بصير.

وعليين للشهداء.. عليين للشهداء

الله أكبر والعزة لله وللمؤمنين

سلامٌ.. سلام يا عراق

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
التاسعة بعد الاحتلال ١ سبتمبر ٢٠٠٣

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]

أيها الشعب العظيم

أيها النشامى المجاهدون والمجاهدات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ربما سمع الكثير منكم فحيح الأفاعي، خدمة الغزاة المحتلين الكفرة، وكيف سارعوا وكأنهم، في حال من يحضَّر نفسه، ليتهموا من غير دليل بعد حادث مقتل الحكيم، ليتهموا من سموهم بأنصار صدام حسين في الحادث، وعلى هذا أعلق بالآتي:

إن صدام حسين ليس قائد القلة، أو مجموعة ضمن المجاميع ليعرفوا به أو يعرف بهم، وإنما قائد شعب العراق العظيم كله، عرباً وكرداً شيعة وسنة مسلمين وغير مسلمين.

وان هذا ما قرره شعب العراق العظيم بنفسه في انتخابات حرة على رؤوس الأشهاد. فبايع الشعب كعهد أمام الله، صدام حسين رئيساً للجمهورية وقائداً للشعب، وان العدوان واحتلال مدن العراق، ربما ما كانا ليحصلا لو أن صدام حسين كان يمثل مجموعة أو تياراً أو مجموعة أنصار ومناصرين فحسب، وإنما لأن الصهاينة ومن مثل السياستين الأميركية والبريطانية، ومن تبعهم بسوء، أدركوا حقيقة أن صدام حسين وشعبه حالة واحدة، والكل قرروا أن يتخلصوا من كل عوامل الضعف داخل النفس وخارجها، مما ورثوه عن ظروف التدهور والاحتلال الأجنبي السابق، وكل الأمراض التي أصابت المجتمع لأسباب معروفة، والتمسك بحقوقهم الإنسانية والدينية والوطنية والقومية والدفاع عنها ورفض ما يملى عليهم من الخارج، وكل ما يعاكس إرادة الشعب ودينه وحقوقه، وتراث الأمة الخالد، ولأن الأعداء أدركوا أن التصميم على هذا أكيد، وان الإعداد لمستلزماته جدي وصحيح.

وإن القاعدة التي تم بناؤها على هذا حقيقية، لذلك فان الهدف الأساسي، الذي قرره

صدام حسين وإخوانه في القيادة وأعلنه وكرَّر وشدَّد عليه، قبل وأثناء دخول قوات الاحتلال والعدوان بغداد وبعد ذلك وحتى الآن، هو طرد العدو وقوات الاحتلال من العراق، وعلى هذا دعونا وندعو شعب العراق ونؤكد أن لا ينشغل بأي هدف أو مسلك يقود إلى غير هذا الهدف، أو يؤثر سلباً على الهدف المركزي.

إن من سمتهم أميركا سلطة تابعة، سارعوا بالاتهام قبل أن يتبينوا. فهل قاموا بهذا ليبعدوا التهمة عمن قاموا به فعلاً؟ أم انهم انطلقوا من معرفة أن شعب العراق يعتبر أن كل من يكون مطيباً للأجنبي وألعوبة بيديه، بما سهل الاحتلال ويسهل بقاءه يعتبره شعب العراق، بل المؤمنون كلهم، ليس عدو الله وعدو الوطن فحسب وإنما عدو الشعب والأمة، بل وكأنه عدو كل واحد فيهم، يستوجب من يريد التقرب من الله التخلص من شرهم وتطهير الأرض، وإبراء ذمة التاريخ منهم.

إن العملاء الذين أسرعوا أو تسرعوا بالاتهام عليهم أن يجيبوا الشعب عن تفاصيل هذا الاتهام وعن حقيقة ما يعرفون. وإن الله يعرف ما يقع وما تكن الصدور. وفي كل الأحوال فان أي شيء غامض عندما يقع ويعتبره العراقيون المخلصون المؤمنون عملاً خاطئاً يمكن معرفته وكشف خيوطه في تحقيق نزيه في ظل السلطة الوطنية في المستقبل، بما في ذلك إجراء تحقيق تشترك فيه الجهة المعنية، إضافة إلى من يمثل القيادة والسلطة بعد طرد الغزاة المحتلين، وهو قريب إن شاء الله، لكي لا ينشغل أي عراقي مخلص بأمر يخطط المعتدون المحتلون له وأذنابهم. يخططون لإشغال الشعب بما يلهيه عن قضيته الرئيسة بعد فشلهم، بعدما فشلوا في أن يجعلوا العراق والعراقيين وقيادتهم، يستسلمون لما خططوا له، هم والصهيونية المجرمة وكيانها البغيض المحتل لفلسطين.

أيها العراقيون النشامى

أيتها الماجدات

لقد فشل العدوان بعون الله، وصار الاحتلال الذي خطط له المجرمون في مهب الريح والعواصف التي أرادها الله. وستكون هذه المرة نهايتهم عن طريق إرادة العراقيين ومقاومتهم البطولية وجهادهم العظيم، هم وإخوانهم المؤمنون من أبناء أمتنا. فشددوا أيها الأبطال الأماجد ضرباتكم الشجاعة على المعتدين الأجانب، من حيثما جاءوا ومهما تكن جنسياتهم، وحاصروا المجرمين الذين يتورطون فيتعاونون مع الأجنبي المجرم الكافر، واتخذوا عليهم الإجراءات التي لا تغضب الله وتعتبر ضرورية لحمايتكم والدفاع عن النفس، وليكن قياسكم في هذا دينكم الحنيف والشرع اليقين.

عليين والمجد للشهداء وعاش العراق، عاش العراق.
عاشت أمتنا المجيدة والخزي واللعنة والعار للصهيونية
وعاشت فلسطين حرة عربية من البحر إلى النهر
والله أكبر.. الله أكبر.. وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
العاشرة بعد الاحتلال ١٧ سبتمبر ٢٠٠٣

بثت قناة العربية الفضائية شريطاً مسجلاً نسبته للرئيس صدام حسين جاء فيه:

إليكم أيها المجاهدون وإليكم أيها العراقيون..

السلام عليكم ورحمة الله

عليكم أيها المجاهدون وأيها العراقيون والماجدات تشديد الخناق وزيادة ضرباتكم إلى أعدائكم لإفقادهم توازنهم بالهتاف والتظاهرات والخط على الجدران والمطالبة بحقوقكم حتى التفصيلية منها. وتاج كل هذا هو الجهاد المسلح والضربات الموجعة التي تجعل الرؤوس الفارغة تسلم".

وحثَّ السيد الرئيس العراقيين على تصعيد المقاومة ضد القوات الأمريكية وعلى الجهاد بكل الوسائل ضد الغزاة. مؤكداً »أننا شعب واحد ولدنا وعشنا ونجاهد كشعب واحد ونفرح يوم يأتي الله بنصره المبين، وحينئذ يفرح الشهداء والمؤمنون«.

وأضاف الرئيس القائد: " إن الشعب العراقي كان في الماضي البعيد وفي الخمسة وثلاثين عاماً المنصرمة محارباً مع من يحارب الظلم ويقاوم الأطماع الأجنبية، ويساعد من يحتاج إلى مساعدة، وإن على من يريد أن يتذكر في أمتنا، سواء من الوسط الرسمي أو الشعبي، أن العراق جزء حي من أمته فليتذكر بقدر همته ونيته قبل أن تفوت على الفعل فرصته، ومن لا يستطيع فيكفينا منه الدعاء الصادق، ومن لا يستطيع أي موقف إيجابي فليكف الله شره عنا وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كما أكد الرئيس المجاهد على وحدة الشعب " وتآزره وعدم الإصغاء إلى صوت الصهيونية والاحتلال الذي ينفخ في نار الفرقة ".

كما دعا العراقيين إلى مقاومة الاحتلال بكل وسيلة ,مؤكداً أن القوات الأميركية والبريطانية تتكبّد خسائر كبيرة في العراق ,وإن " اليوم الذي لا يستطيعون فيه حتى إنقاذ تجهيزاتهم العسكرية

قريب ".

وأضاف الرئيس المجاهد مخاطباً الرئيس الاميركي الكذاب جورج بوش: " أقول باسم شعب العراق العظيم إنك كذبت على نفسك وشعبك والناس أجمعين، أنت ومن ورطته معك، أو هناك من كذب عليك. ومثلما ورطتك الصهيونية وورطت سياسة أميركا الخارجية في معاداة الأمتين الإسلامية والعربية والاستخفاف بالعالم، ورطتك في معاداة العراق والعدوان عليه ".

وأضاف الرئيس القائد مخاطبا المجرم الفاشي بوش : " إنه إزاء مأزق العدوان ومستوى الخسائر التي تلحق بجيشك الذي صار عجزه واضحاً لأنه بلا قضية مشرفة في مواجهة شعب الحضارات ، فان الموقف دفاعاً عن كل ما هو شرف ومشرف يجعل إعلانكم الهزيمة بصورة رسمية وعلنية وانسحابكم من بلدنا لا مفر منه. ولأنه لا يستوجب المزيد من الخسائر التي ستكون كارثية على أمريكا لو ركب مسؤولوها رؤوسهم واستمروا في عدوانهم..وإذا أردتم بحث ترتيبات الانسحاب بعد أن تقرروه بلا قيد أو شرط علينا، والذي ينبغي أيضاً ألا يكون غطاء لخديعة، فإن قسماً من المسؤولين في القيادة معتقلون لدى جيشكم، أسرى حرب في العراق، وهم معروفون على المستوى العالمي وعند شعبهم والمجاهدين؛ وبإمكانكم -على هذا - الاتصال بهم، وإجراء الحوار المناسب بما يضمن توفير الأمن لجنودكم أثناء الانسحاب على وفق ما يتفق عليه الطرفان.

وأعرب الرئيس حفظه الله وايده بنصر من عنده عن الأمل في ألا يقع أي من أعضاء مجلس الأمن في مهاوي السياسة الأميركية المظلمة» بعد أن تكشفت الحقائق كاملة لديكم مثل ما تكشفت لدى الرأي العام العالمي رغم محاولة الإدارة الأميركية التلاعب بالحقائق وإخفاء الأكيد الفاضح منها«.

وقال مخاطباً أعضاء مجلس الأمن »اعلموا أن شعب العراق وقيادته سيرفضان أي حل يجري في ظل الاحتلال بل إننا سنعتبر أي حل في ظل الاحتلال ما هو إلا مخادعة مكشوفة لتمرير جوهر ما أراده الاحتلال« .

وتابع الرئيس القائد : " إن على من يريد للمنطقة الاستقرار والأمن ألا يتجاهل الحقائق الثابتة في المنطقة ومنها أن الشعوب فيها لا تقبل الظلم والمهانة وترفض أي احتلال ". ودعا إلى عدم السكوت على »الابتزاز« الأمريكي والتصرف بما يرضي الله، معرباً عن أمله في أن تطور أوروبا في موقفها المتوازن تجاه العراق ليكون عادلاً وواضحاً بما فيه الكفاية.

وأكد أن من يمثل شعب العراق تمثيلاً أصيلاً حقيقياً هي قيادته وعلى رأسها رئيسه الذي اختاره بانتخاب حر مباشر في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢.

وأعرب الرئيس القائد عن سعادته لالتفاف العراقيين حول دولتهم الوطنية ولسماعه هتافاتهم بوجه المحتل وعملائه :»بالروح بالدم نفديك يا صدام«، وقال : " وأنا أقول بالروح بالدم - بعد رضا الله- أفدي العراق وأمتنا العربية".

وختم رئيس جمهورية العراق الشرعي رسالته بعبارته الشهيرة «الله أكبر . الله أكبر. عاشت أمتنا المجيدة. وحي على الجهاد. عاش العراق. عاشت فلسطين حرة مستقلة من البحر إلى النهر».

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
الحادية عشرة بعد الاحتلال ٩ أكتوبر ٢٠٠٣

خيل لهم شيطانهم بان العراق لقمة سائغة فكانت السم الزحار

نشرت وكالة الأنباء الفرنسية رسالة وجهها الرئيس صدام حسين الى زعماء القبائل في العراق دعاهم فيها الى إعلان الجهاد والحرب المقدسة ضد الغزاة المعتدين.

وطالب زعماء العشائر العراقية " بالجهاد ومساعدة المقاومة وضرب كل الذين يتعاونون مع قوات احتلال العراق بيد من حديد ' .

وتقول الوكالة إن أشخاصا عرفوا انفسهم بانهم 'رجال صدام حسين' قاموا في ١٣ تشرين الاول /أكتوبر بتوزيع الرسالة التي تحمل تاريخ التاسع من الشهر وتوقيع الرئيس صدام على المواطنين في اماكن مختلفة .

واضاف: 'اوصيكم بمساعدة اخوانكم في المقاومة وادعوا ابناء عشائركم للجهاد فيوم الخلاص قريب باذن قادر محتسب' .

وحيا الرئيس العراقيين، وخص بالذكر العراقيات، فكتب متوجها اليهم 'لقد اذقتم الغزاة ما لم يتصوروه ولم يحسبوا حسابه'.

وتابع 'اوقفهم الله على ايديكم بمحنة بعد دخولهم بلد الايمان والانبياء الصالحين، بلد المجاهدين الصابرين'.

قال صدام 'لقد اوجعتهم ضرباتكم التي لم يكونوا يتوقعونها بعد ان خيل لهم شيطانهم بان العراق لقمة سائغة فكانت لهم السم الزحار' ، ووعد بان 'النصر لقريب'، داعيا زعماء العشائر الى الوحدة.

وكتب 'كونوا يدا واحدة وصفا واحدا في خندق الايمان اضربوا بيد من حديد على كل من تلبسه الشيطان لخدمة الغازي البغيض وتذكروا ان شمس العراق لن تغيب' .

ودعا زعماء العشائر الى 'اقامة مسيرة سلمية تندد بالاحتلال الاميركي ورفع لافتات

تطالب بنزوح المحتلين الغزاة وليكن يوم ١٠/١٥ يوم الزحف الكبير' .

وختمت الرسالة 'الله اكبر وعاش العراق والله اكبر وعاشت فلسطين حرة عربية من النهر الى البحر' .

والرسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة وتعلوها عبارة 'جمهورية العراق' ويتوسطها النسر، رمز جمهورية العراق، وقد طبع تحته 'سري وشخصي' .

وتحمل الرسالة توقيعا بالحبر الاسود مماثلا لتوقيع الرئيس المجاهد، طبع تحته 'صدام حسين، رئيس جمهورية العراق' .

يشار إلى أنه في يوم ١٥ أكتوبر قام عراقيون باطلاق النار في الجو في بغداد احتفالا بذكرى تنظيم الاستفتاءين الرئاسيين في ١٩٩٥ و٢٠٠٢، كما عمدت قوات الاحتلال في ذلك النهار الى زيادة الاجراءات الامنية بشكل ملحوظ في تكريت.

نص رسالة الرئيس صدام حسين

جمهورية العراق

(سري وشخصي)

«وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم»

صدق الله العظيم

من صدام حسين رئيس جمهورية العراق

الى رؤساء ووجهاء العشائر المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد منّ الله جلّ شأنه علينا بنعمه ,وآخرها منّ علينا بنعمة لايهبها الاّ لمن أحبه سبحانه.

فقد منّ علينا بنعمة الجهاد ,فانّه والله اختبار لايماننا وصلاحنا .

أيها الاخوة الاعزاء

انها ارادة الله سبحانه ان يجعل أهل العراق وأرضه الطاهرة مرآة لوجه الايمان ,ليرى العالم

كلّه من خلالكم صورة المسلم الحقيقي والمؤمن الصلبر بوجوهكم أيها المجاهدون والمجاهدات الماجدات.لقد أذقتم الغزاة مالم يتصوروه ولم يحسبوا حسابه ,فأوقفهم الله على أيديكم بمحنة بعد دخولهم بلد الايمان والانبياء والصالحين ,بلد المجاهدين الصابرين.

فلقد أوجعتهم ضرباتكم التي لم يكونوا يتوقعونها بعد أن خيّل لهم شيطانهم بأن العراق لقمة سائغة فكانت لهم السّم الزحال (اضريوهم يعذبهم الله بأيديكم) صدق الله العظيم.

أيها الاخوة

انّ النصر لقريب باذن الله ,فكونوا يدا واحدة وصفا واحدا في خندق الايمان وأعينوا من أزلّه الشيطان في خيوطه وانحرف عن طريق الحقّ وأوجدوا له السبيل للعودة .

واضربوا بيد من حديد على كل من تلبّسه الشيطان لخدمة الغازي البغيض ,وتذكّروا أنّ شمس العراق لن تغيب.

وما هي الا أزمة أراد العزيز الحكيم من خلالها الاختبار ,والحمد لله انّ كل العراقيين الشرفاء هم مجاهدين ومؤمنين بالله والوطن .

أيها الشيوخ الشجعان ,أيها المجاهدون الابطال

أوصيكم بمساعدة اخوانكم في المقاومة ,وأدعوا أبناء عشائركم للجهاد ,فيوم الخلاص قريب

باذن قادر محتسب.

كما أوصيكم بالاتصال بشيوخ العشائر المحيطة بكم وأدعوهم لاقامة مسيرة سلمية سيارة وراجلة تندد بالاحتلال الامريكي ,ورفع لافتات تطالب بنزوح المحتلين الغزاة ,وليكن يوم

١٥ / ١٠ يوم الزحف الكبير ,يوم زحفكم الحقيقي ,زحف الحقّ على الباطل.

أبلغوا تحياتي لكل المجاهدين في عشائركم والنساء المجاهدات- الماجدات.

والله أكبر وعاش المجاهدون

والله أكبر وعاش العراق

والله أكبر وعاشت فلسطين حرة عربية من النهر الى البحر

والسلام عليكم ورحمة الله.....

صدام حسين

رئيس جمهورية العراق

رسالة الرئيس صدام حسين
الثانية عشرة بعد الاحتلال نوفمبر ٢٠٠٣

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وكل عام وأنتم بخير، ومبارك رمضانكم والعيد الذي يليه ومقبول صيامكم إن شاء الله ، وشهداؤنا في الجنة ، وأموات العلوج وأعداؤنا الآخرون في النار ، اللهم اجعل شهر رمضان مقدمة النصر وأساسه، مثلما كان عهد من هو عز ومنقذ الإيمان من طلائع العرب والمسلمين المؤمنين في بدر الكبرى.

أيها الأخوة والابناء

قلنا قبل العدوان الأمريكي الصهيوني البريطاني، ومن تحالف معهم ضد العراق، أن الحلف الشرير، يستطيع أن يؤذي العراق ، يقتل ، يدمر ، ينهب ، وفي نفس الوقت يفضح حقيقة امريكا والصهيونية وشعاراتهما التي خدعوا بها من انخدع أو رضخ في العالم لزمن ليس قصير. قلنا هذا، وقلنا معه بايمان راسخ وثبات من عرفتموه مجاهدا في صفوفكم منذ عشرات السنين، بأن الأشرار لن يستطيعوا أن يحتلوا العراق ويستعمروه ، وقد قالوا هم في حينه ماسمعتموه منهم آنذاك، وتصوروه وصوروا الأمر لغيرهم أيضاً بأنهم ذهبوا في نزهة لإحتلال العراق وتدمير مأسموه "أسلحة الدمار الشامل " التي أنصبت نيتهم على ذاك القول كغطاء أولي لجريمتهم الكبرى، بعد الجريمة التي ارتكبوها في زرع الصهيونية داخل الوطن العربي.

فماذا يقولون الآن؟ وماهي الحقيقة؟ إنهم يقولون وتتعالى الأصوات في العالم نفس الذي قلناه لهم قبل العدوان ، بأن العراق خال من الأسلحة التي يدعون ، وسيكون العراق عصياً أيضاً على نواياهم الشريرة ، لأستعماره واستقرار جيوشهم ونفوذهم فيه ان شاء الله.

لقد وضع الأشرار أنفسهم وحالهم إذن في المأزق الذي اراد الله ان يضعهم فيه لأمر يراه سبحانه ولا نراه أو سول لهم شيطانهم هذا . ولذلك راح كذاب الولايات المتحدة الامريكية ، وكذاب بريطانيا يتناوبان الأدوار والجولات في العالم لاستجداء الأموال والجنود

والمواقف ، فمنهم من يستجدي على إستحياء ، وخوفا من الخوف أو طمعاً بما يطمع.

يستجير بمئات من الجنود ، أو بضع مئات من ملايين الدولارات تلاحقهم لعنة الله والناس ، ومنهم من يعتذر عن تقديم أي شيء ، ولأولئك الآخرين منهم تقديرنا وتقدير شعبنا لهم ، وما درى الخائبون أنهم يعرفون بأن في العراق العظيم الذي أعزه الله بالجهاد والمقاومة الباسله بعد الايمان ، إنما تبع أرضه ونيرانه مئات الألوف من الجنود من غير أن يستقر لهم الحال على وفق مايخططون أو يأملون .

جاءوا ليعترفوا بهذه الحقيقة ، وحقيقة أن العملاء الذين جاءوا بهم ليس لهم وزن الحد الأدنى وتأثيره عند شعب العراق العظيم الأمين الوفي ، بل ولا يستطيع أحد منهم حتى أن يتمشى في شوارع بغداد أو أي مدينة عراقية ، فراحوا يتداركون خيبتهم ويطوف مندوبوهم على اقطار عربية باحثين عن ماأسموه "نصيحة" حول العراق ، ونقول لهم ولغيرهم ؛ رغم أن العراق جزء من أمته ويلعب عندما تتهيأ له الأسباب دور الطليعة أو جزء حي من الطليعة فيها ، فإن للعراق إذا جاز التعبير خلطة كيميائية خاصة به لايحل مفاتيحها ورموزها إلا من هو من أبنائه أو المؤمنون الصالحون من أبناء أمته لو إستعانوا وتشاوروا بنزاهة مع العراقيين المخلصين الأمناء ، وأن لاطريق غير أن يتصرف المعنيون من أهل العدوان والشر ، أن يتصرفوا بالسياسة ، بما يصلح الخطأ ، بل الجريمة الكبرى ، النكراء ، وان يعود أبناء العراق الغيارى ، الذين سيَّروا شؤونه فارتقوا به الى حيث اراد الله وفق شأن من شؤون الحياة ، يعود أبناؤه المخلصون على وفق مايقرر الشعب بحرية كاملة ليسيروا شؤونه من جديد ، وقد جربهم الشعب على مدى عشرات السنين ، ويعرفهم ويعرف تفاصيل ما لهم وماعليهم ، و ان يحصل كل هذا وجنود الاحتلال خارج العراق وأن ينعدم أي نفوذ اجنبي غير شرعي في العراق على وفق ماكان عليه حال العراق قبل هذا .

هذا هو الحل ولا حل غيره فإذا وجده الطغاة صعباً عليهم ، ليجربوا أشهرا أخرى وزمنا آخر ليحصدوا أرواحا آخرى ويدمروا وينهبوا ، ولكن غير الخيبة لن يكسبوا ، ومع الخيبة المزيد من أرواح تزهق من الأمريكان والبريطانيين وغيرهم.

عاش العراق حراً مستقلاً

عاشت فلسطين حرة عربية من البحر الى النهر.

عاشت امتنا العربية المجيدة

والله اكبر الله اكبر ..

وليخسأ الخاسئون

صدام حسين

رسالة الرئيس صدام حسين
بخط يده الموجهة إلى رئيس هيئة
الجنايات الكبرى الأولى

إلى رئيس هيئة الجنايات الكبرى الأولى والأعضاء

السلام على من هو أهلٌ للسلام ويؤمن به، ويجهد النفسَ فى تطبيق غاياته ولا ينسى الله فى سرّه وعلنه ورحمة الله وبركاته... وسلامٌ إلى جيشنا وشعبنا العظيمين وكلّ مجاهد رفع راية الحق ضد الباطل ووقف شامخاً أميناً على مبادئ الأرض وربٍّ السماء ضد الغزاة وتابعيهم وحلفائهم وعلى أمّتنا المجيدة أجزل سلام ورحمة الله وبركاته.... أمّا بعد:

تناقلت أوساط بعينها معلوماتٌ تسرّبت أو سُرّبت قبل تأجيلكم الأخير الذى كان مقرّراً لصدور ما يسمّى بالأحكام، وقد قيل إنّ الهيئة ستؤجّل إصدار الحكم إلى يوم ٢٠٠٦/١١/٥، ولقد سمعنا هذا قبل التأجيل وقد جاء توقيت الجلسة القادمة فعلاً فى ٢٠٠٦/١١/٥ ، وقيل إنّ أسباب تأجيل الجلسة هو إنّ الرئيس بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكيّة مصمّم أن يكسرَ التعبئة الموجودة فى أوساط الشعبَ الأمريكى بقيادة أصحاب الرأى المضاد ومنهم الحزب الديمقراطى المناوئ أو المنافس أو تخفيف إسنادها من الشعب وعليه سيوعز بتأجيل إصدار حكم على صدّام حسين رئيس جمهوريّة العراق ورفاقهُ إلى اليوم الذى مرّ ذكره ليكون الشعب الأمريكى فى اليوم التالى فى عطلته الأسبوعيّة أمام شاشة تلفاز بيته، فتضع أجهزة الدعاية الخبر بصيغة أنّ بوش قد حقّق هدفهُ الاستراتيجى من الغزو بانجاز ذاك الهدف أو بأىّ صيغة تحقّق الغرض الذى ينشده ،وقيل إنّ الانتخابات النصفيّة لانتخاب أعضاءً البرلمان (الكونجرس) الأمريكى ستكون يوم الاثنين ٢٠٠٦/١١/٧، وقبل أن يسمع المواطن الأمريكى رأى الجهات المنافسة للقرار وقبل أن يفيقوا من تأثير منهج الدعاية المصمّم على هكذا واقعة يُحشر الأمريكيون أمام صناديق الاقتراع ممّا يجعل رؤوس بعض من لم يكوّن بعد فكرة مستقرّة ضد الغزو والاحتلال متأثراً بتلك الدعاية ومن شأن ها تك الدعاية أن تأتى بنتائج

على حساب الحزب الديمقراطى...!

وعلى هذا أعلّق فأقول:

١ - إن لم تكنْ اعتباراتكم فى التأجيل إلى ٢٠٠٦/١١/٥ هى ذات الاعتبارات التى نوّهنا عنها والتى سمعناها قبل إصدار قرار التأجيل فأجلوا المحكمة إلى وقت آخر ورحم الله من جبّ الغيبة عنْ نفسه، وإذا لم يكن صدور الأحكام فى ١١/٥ فليس هناك بأس لو بقى تأريخ الجلسة على ما هو عليه إلاّ إذا كانت ستُخصّص هاتك الجلسة والجلسات الأخرى فى الهيئة إلى إلقاء دفوع محامى الدفاع ومثلهم من سُمّوا بالمتهمين، فنحنُ نراه فى حال كهذا وكأنهُ يُراد وتمشياً مع خلفيّة سلوك السابق إطماس صوت المتهمينَ فى وقت أُطلق العنان لكلّ العناوين المضادة وإلاّ القليل منها خالى الغرض المسبق...

٢ - فى حال صحّ الاستنتاج القائل بأنّ جلسة ٢٠٠٦/١١/٥ ستخصّص لصدور الأحكام مثلما ورد فى (١) فإنّ هذا لايعنى سوى إنّ الهيئة قد خضعت إلى حدّ التفاصيل ليس لتمثّل دور المُؤتمر بأوامر الغزاة بوجه عامّ فحسبْ، وإنّما ورّطتْ وتورّطتْ فى تنفيذ سياسة الرئيس الأمريكى المضادة للرأى العام الأمريكى والحزب الديمقراطى، وعند ذلك تصبح خطوات وقرارات الهيئة ليس غير أخلاقيّة وإجراميّة بحقّ العراق وأبنائه وقادته الغرّ البررة فحسبْ، وإنما مدنّسة ولاأخلاقيّة بحق الشعب الأمريكى وشأنهُ الداخلى ووسيلة مضلّله للرأى العام لأهداف ذات غرض مسبق غير شريف...

فاختاروا وعلى أساس هذا الاختيار وما هو مثلهُ تخزون أو تسرّون حتى أحفادكم من بعدكمْ، بالإضافة إلى حكم الله والتأريخ والشعبْ....

والله أكبر الله أكبر والعزّة للمؤمنين الصادقين..

الله أكبر وعاش العراق عاش العراق..

الله أكبر وعاش الجهاد والمجاهدون..

الله أكبر وعاشت أمّتنا ... وعاشت فلسطين..

الله أكبر وليخسأ الخاسئون...

نسخة منه إلى: محامى الدفاع

صدام حسين

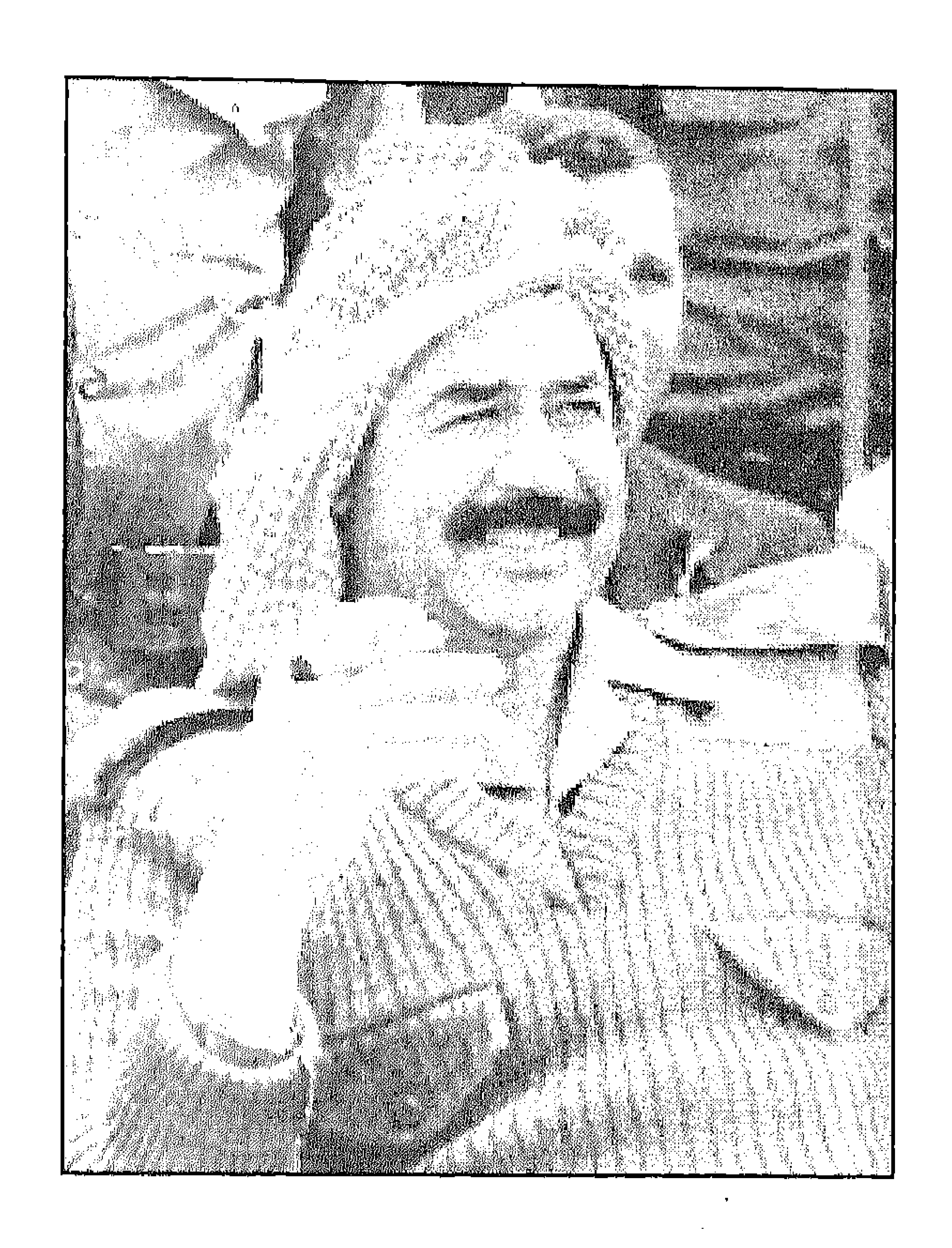
رئيس جمهورية العراق

والقائد العام للقوّات المسلّحة المجاهدة

---

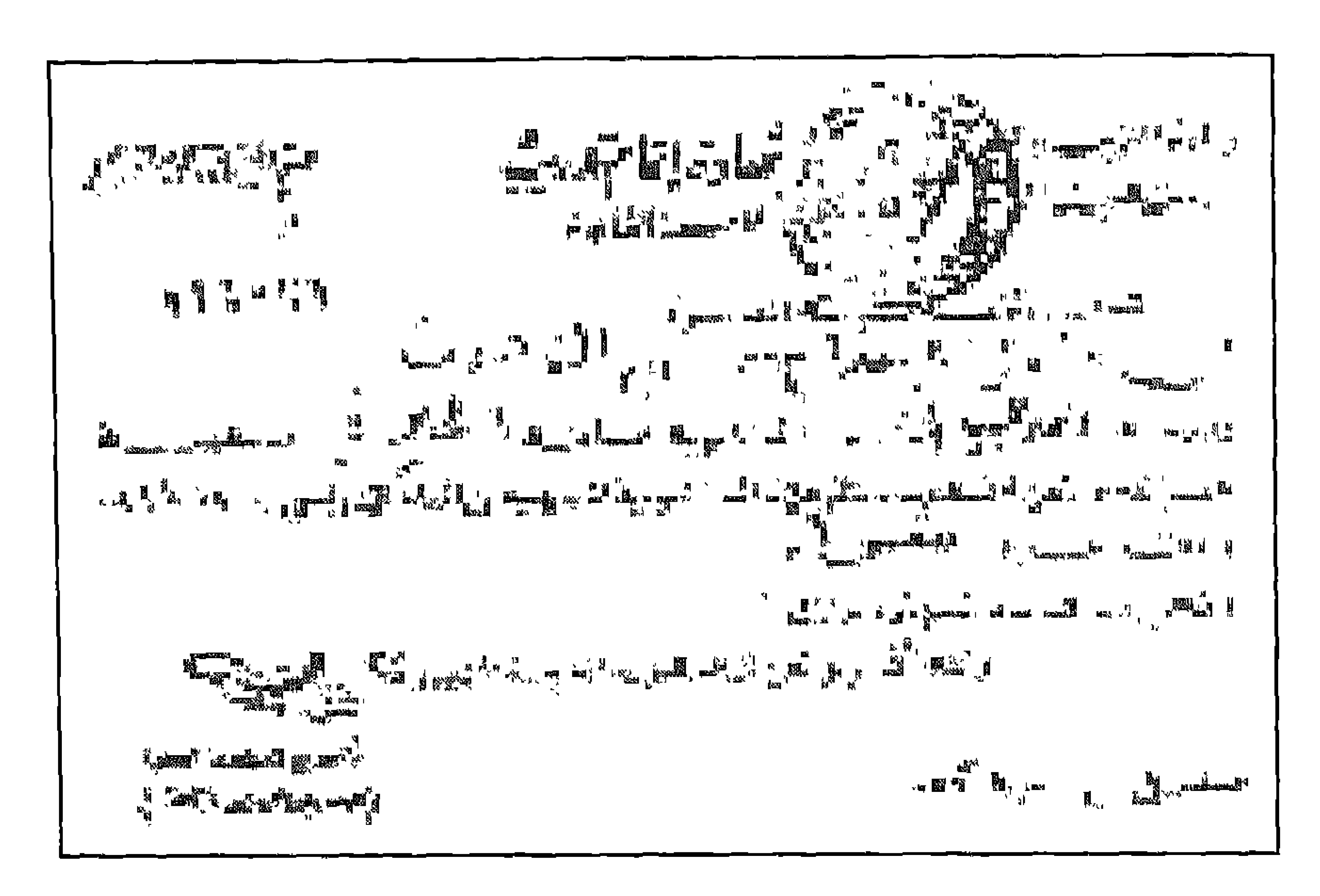
* **فى: ٢٠٠٦/١٠/٢٢**

سجل الصور



رأس يحيى وهو قديس نبى
بالذى فيها من الحكمة والعلم وأحلام النعيم
جُعلت مهرو لبغي
من بقايا أورشليم

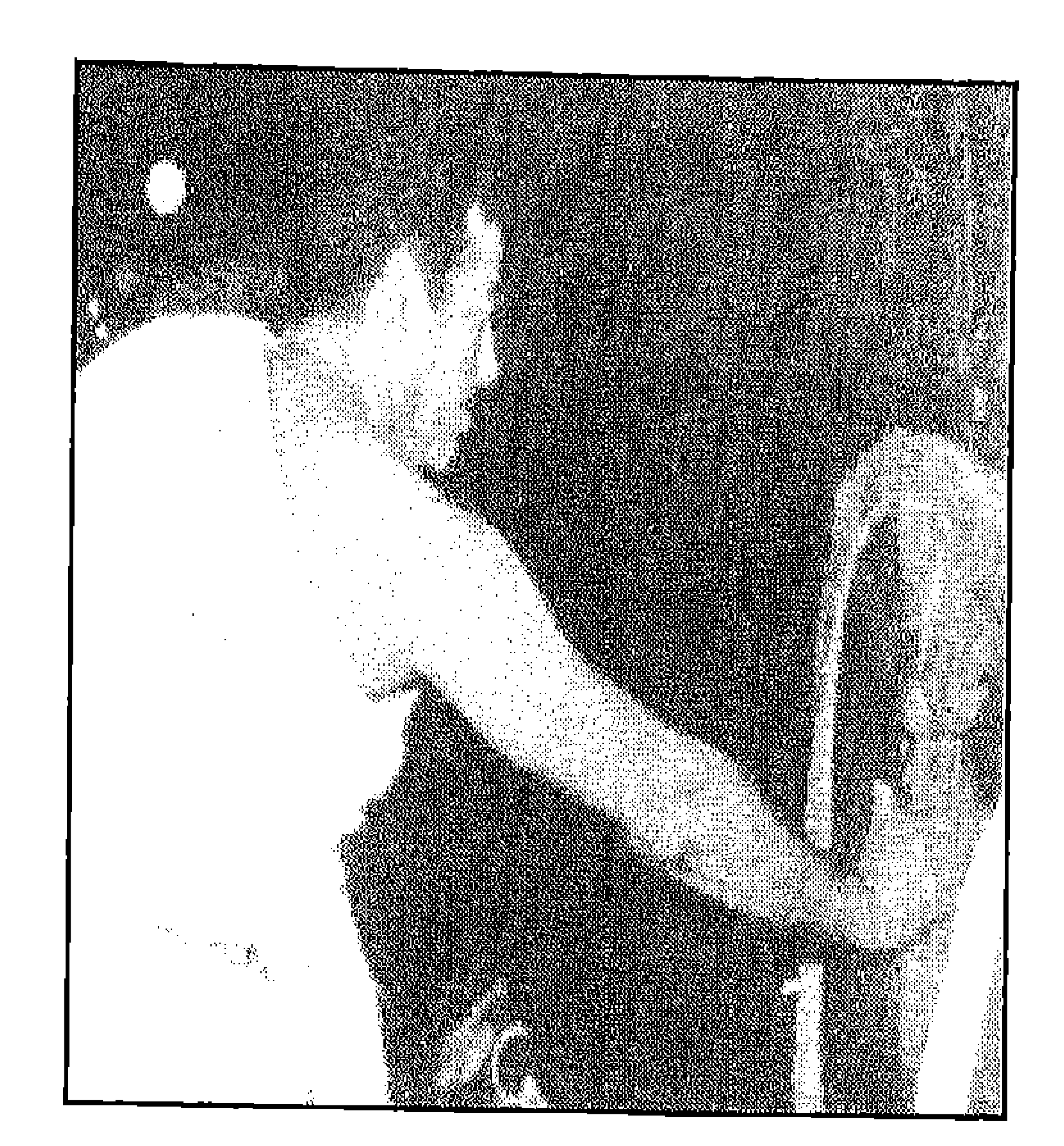
عبد الرحمن الشرقاوى

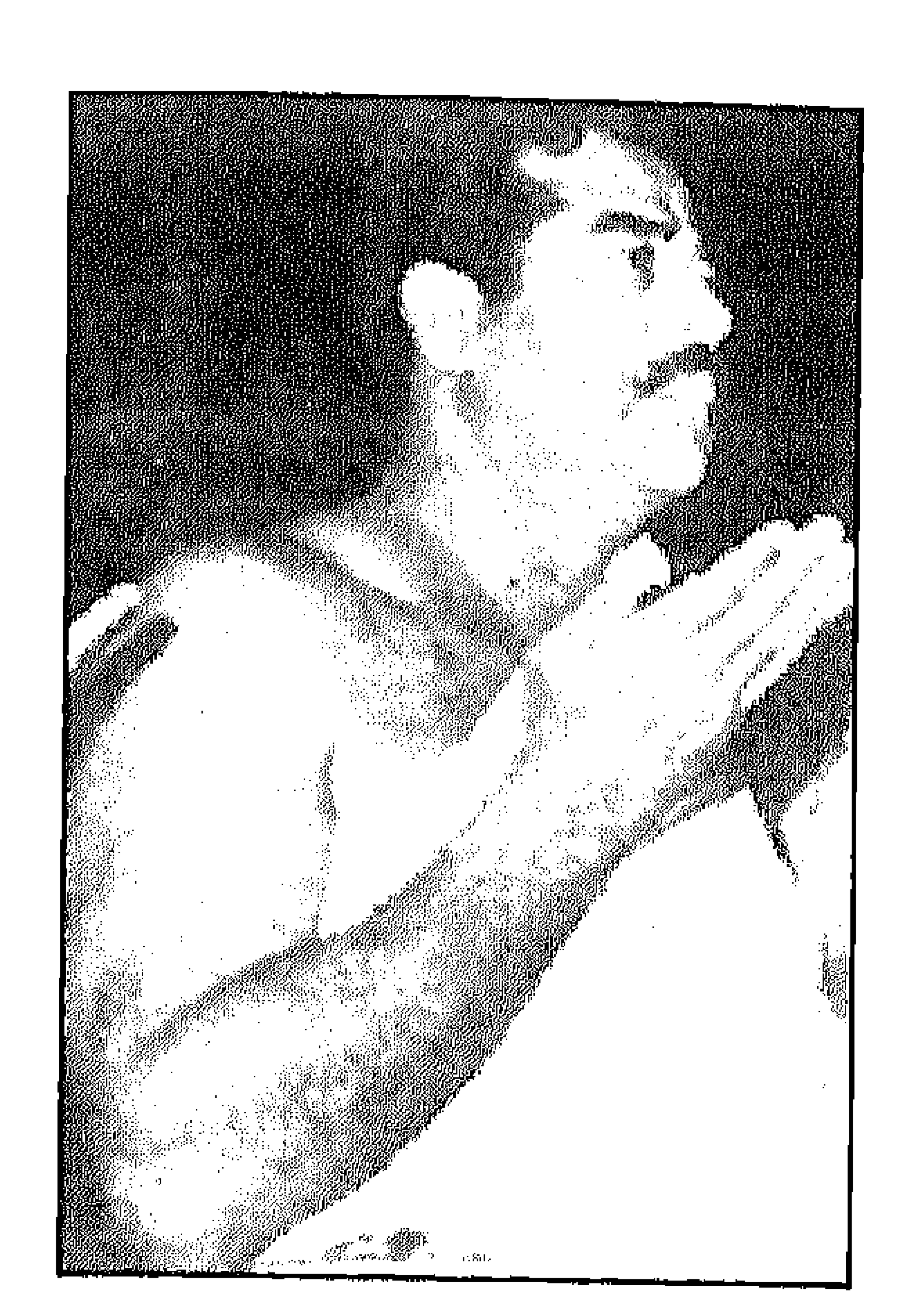


شهادة الثانوية العامة من مدرسة قصر النيل بالدقي ـ مصر

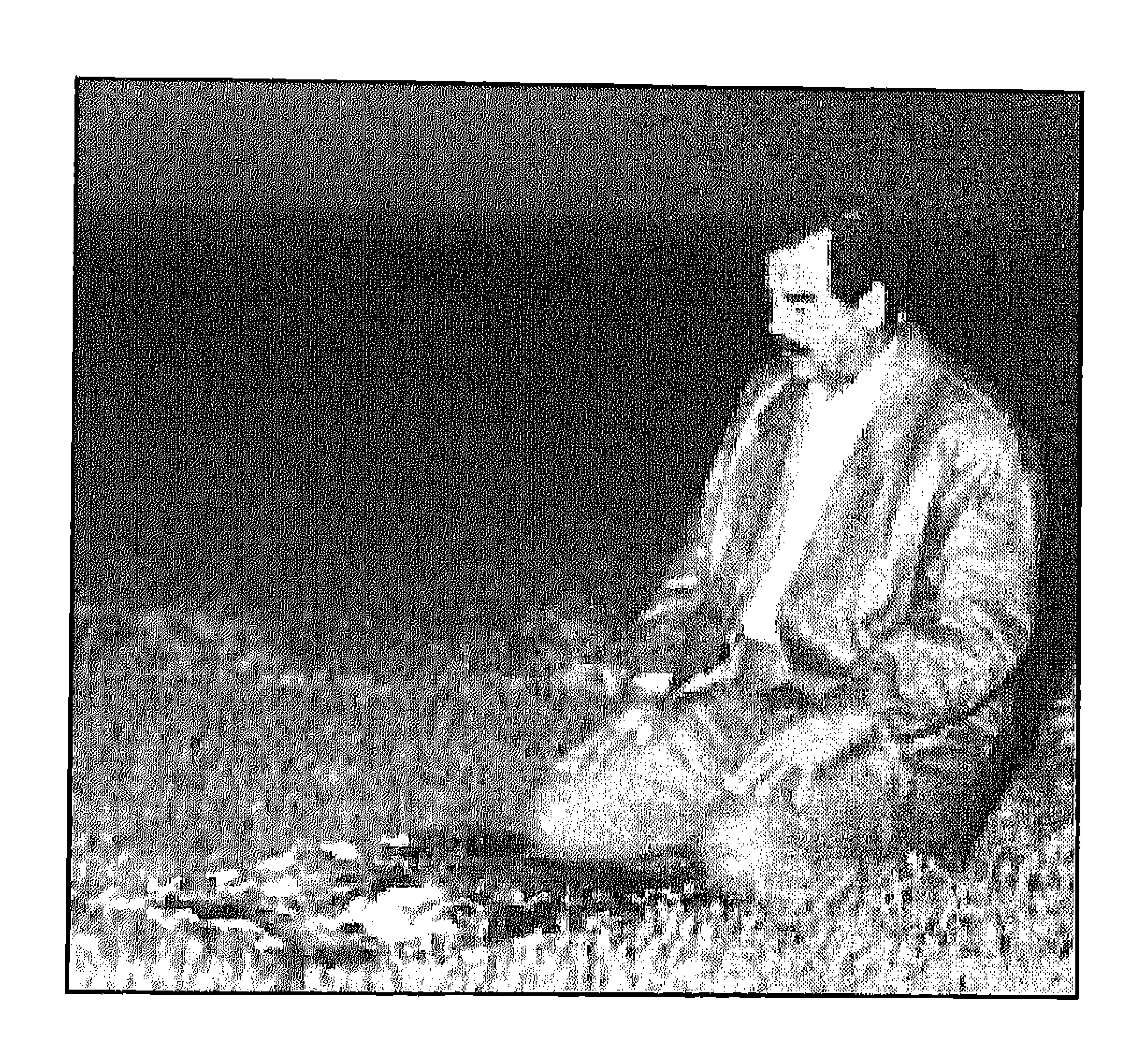


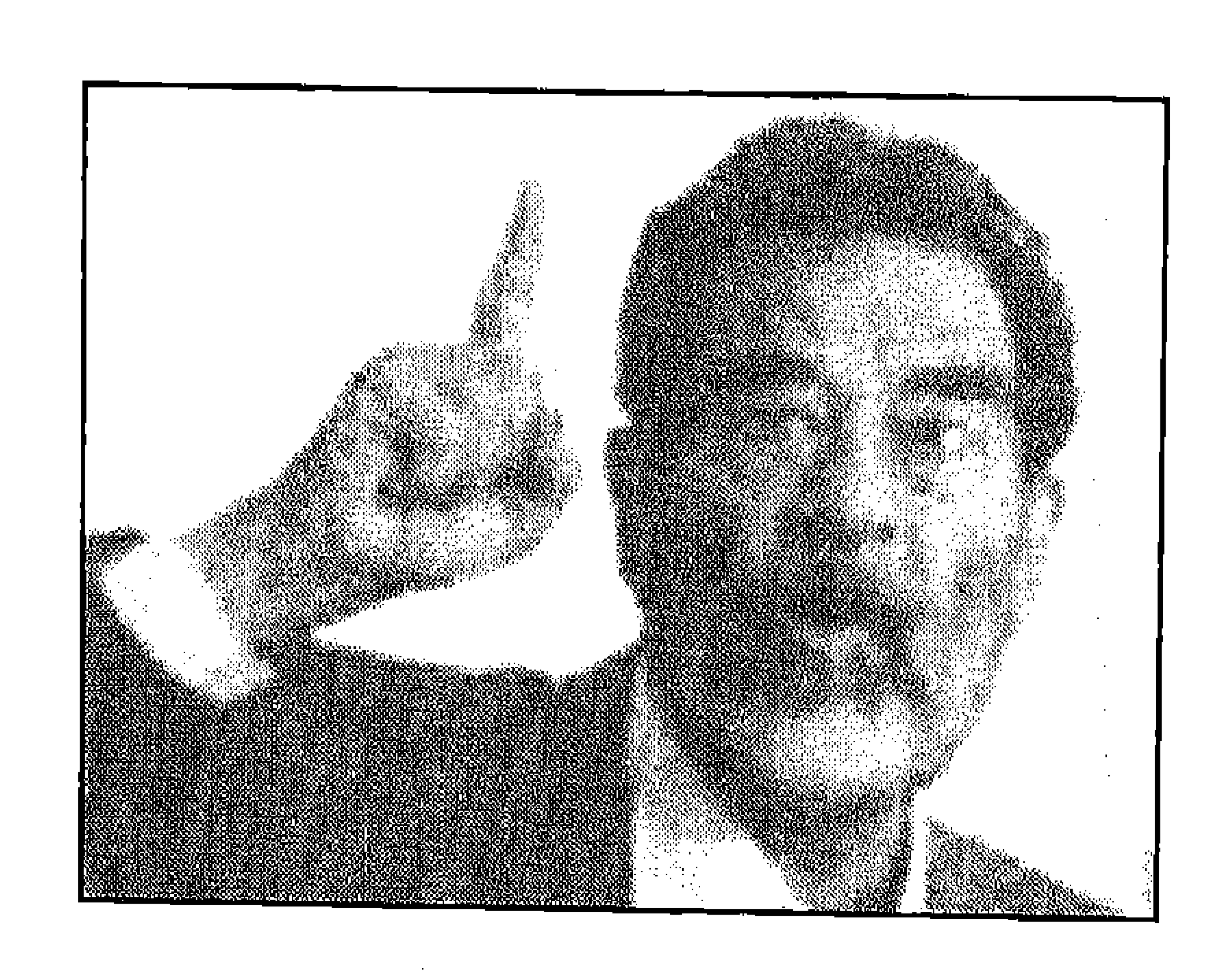
صدام حسين مع بعض رفاقه أيام الدراسة بمصر

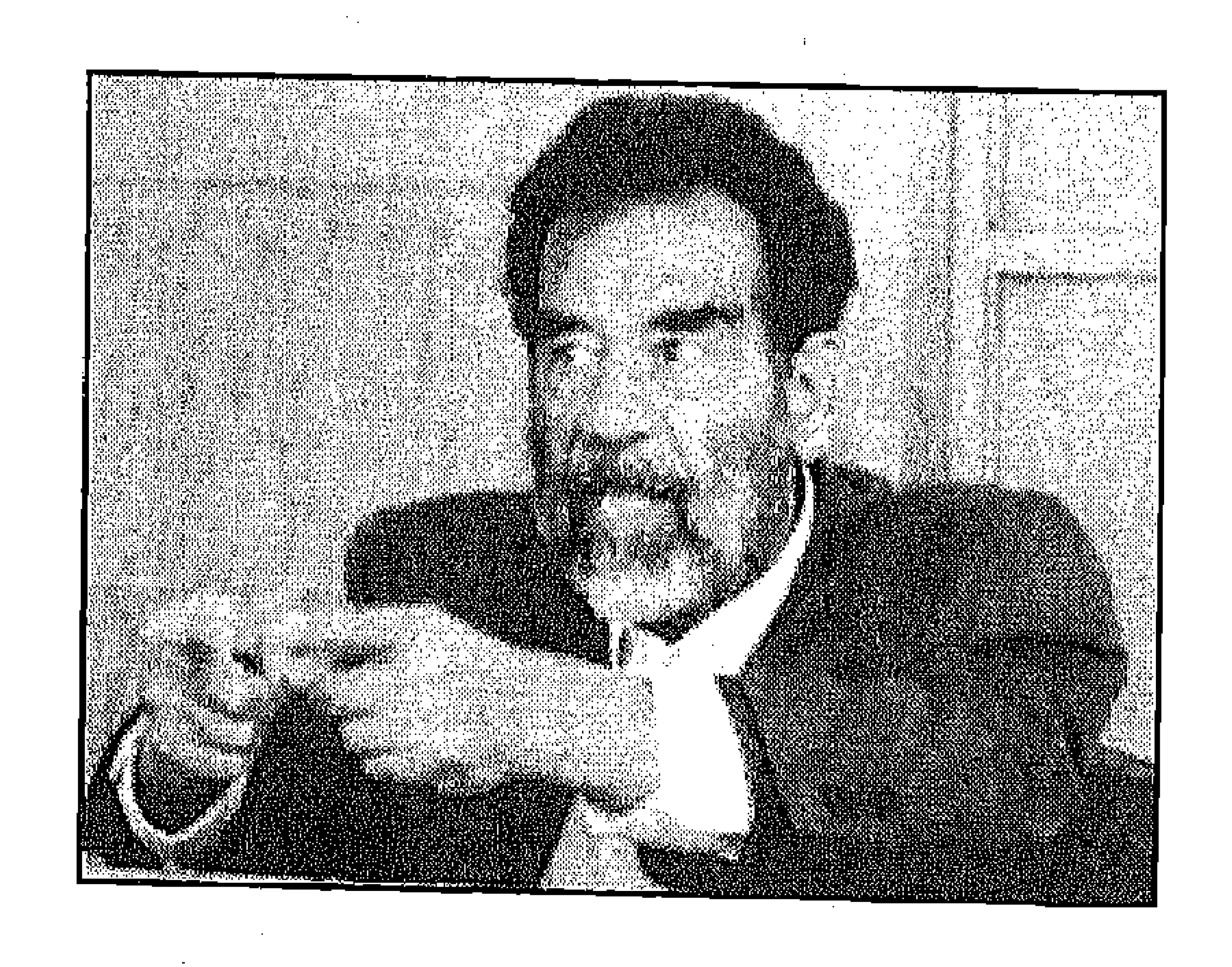


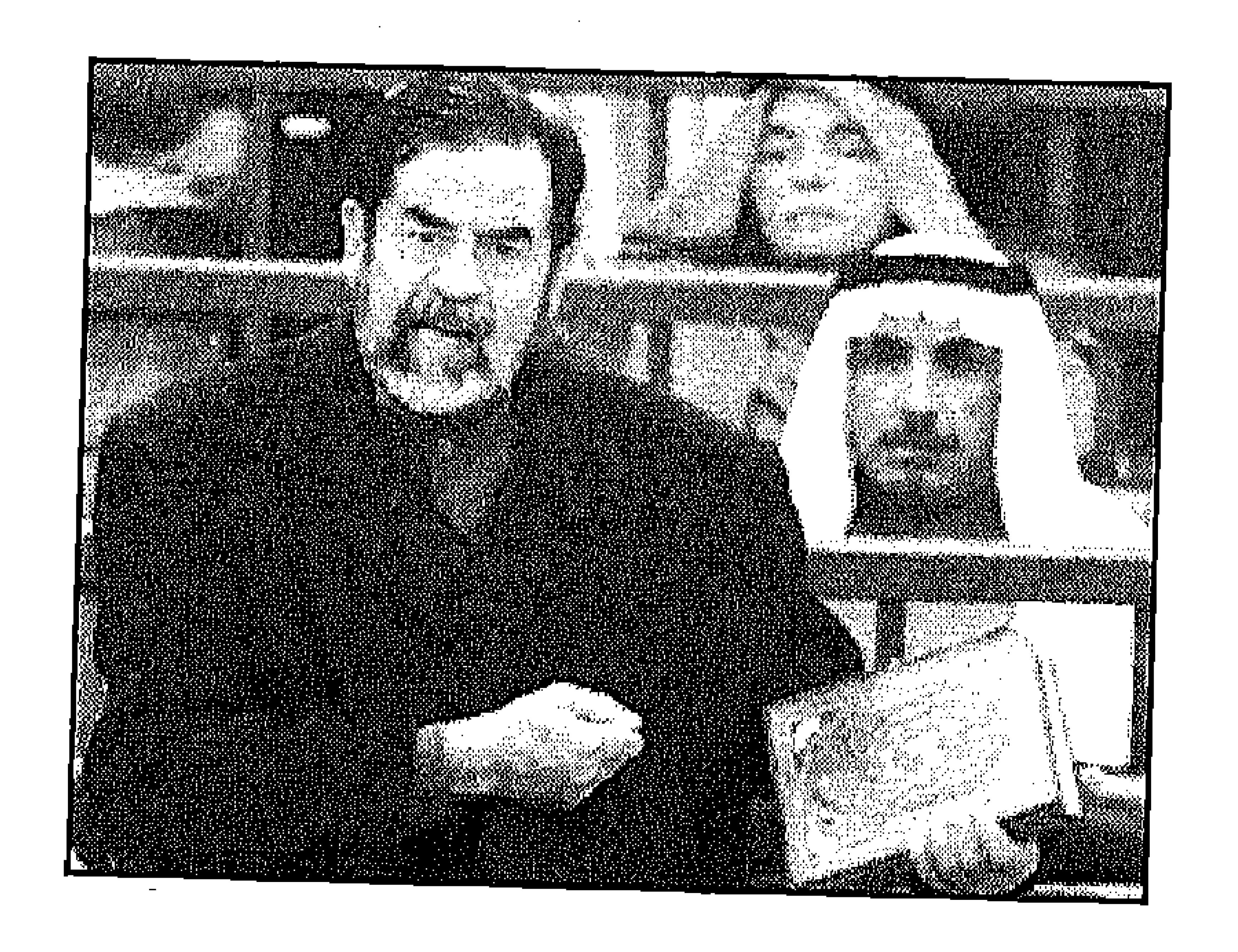


كان قريبًا من الله .. شهادة لم ينكرها أحد

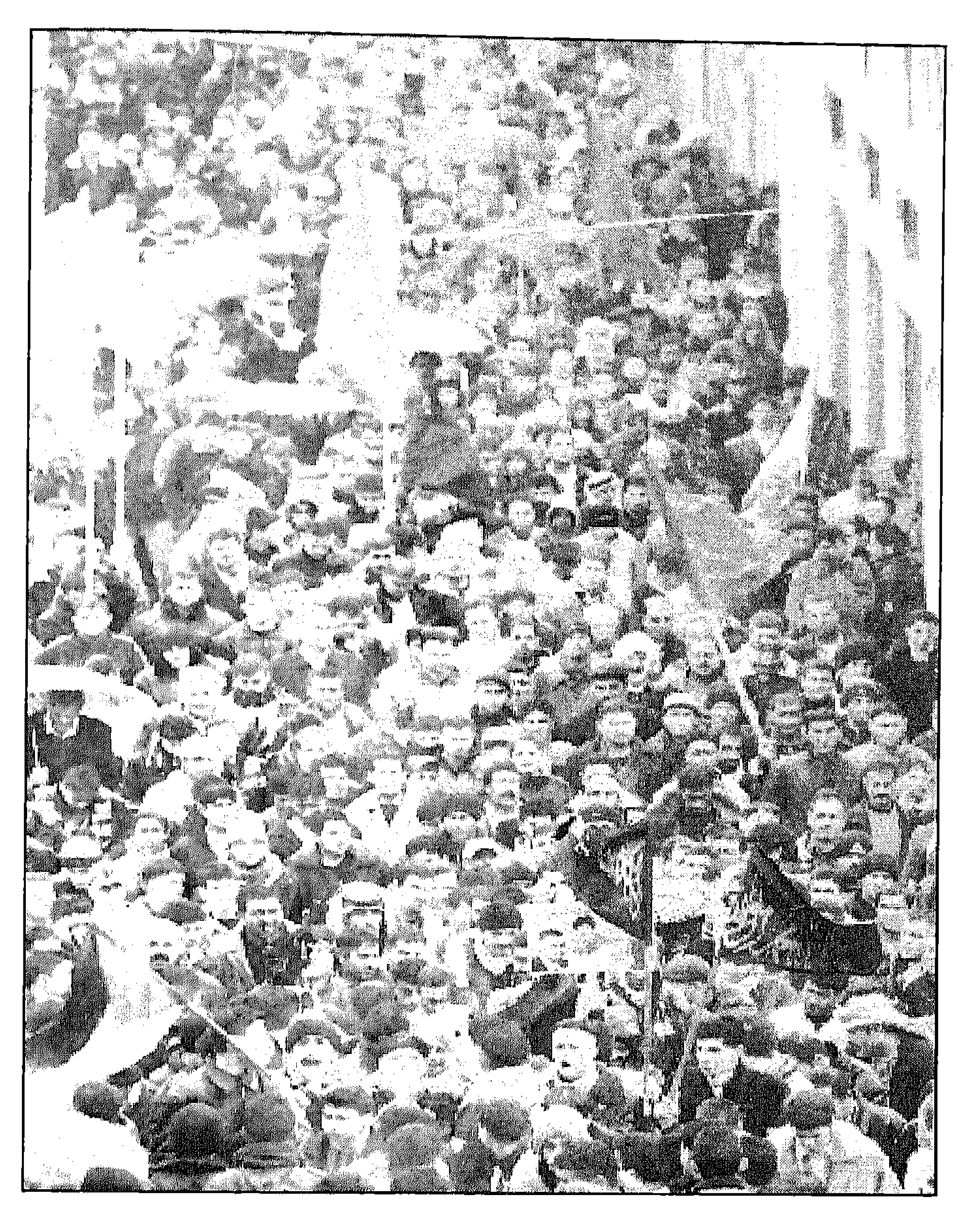








وخلال مهزلة المحاكمة .. كان فارس المشهد .. وأدان محكمة الخيانة والعمالة .. أداة أمريكا التي لن تمكنها المقاومة من اذلال العراق.

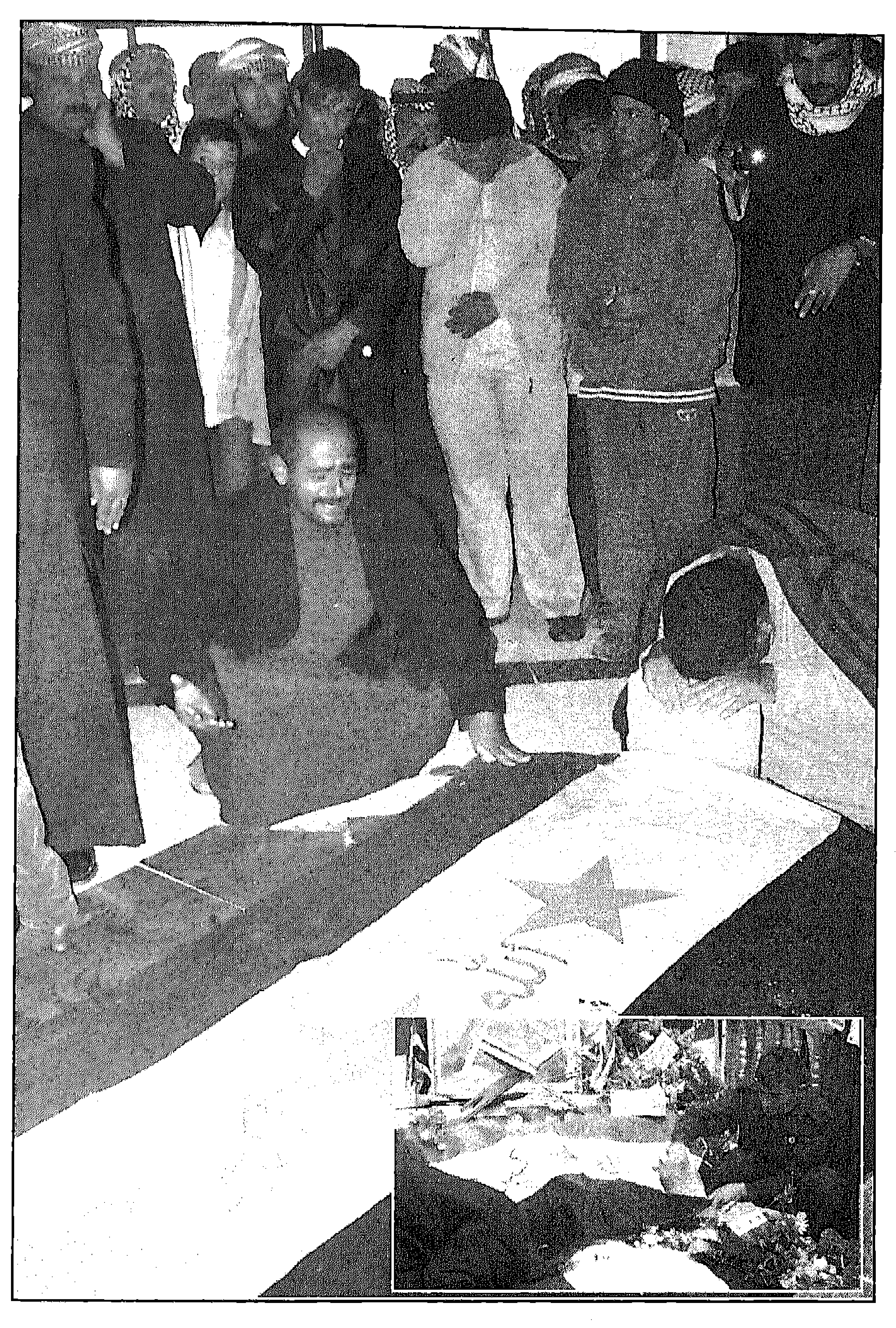


وانطلقت مظاهرات الملايين في الوطن العربي والعالم تتصدرها صور رموز المقاومة عبدالناصر وصدام وعرفات .. تندد بأمريكا وعملائها .. وتطالب بالحرية للعراق ورئيسه الشرعي .. ولكن أمريكا كانت تضمر شيئًا آخر.

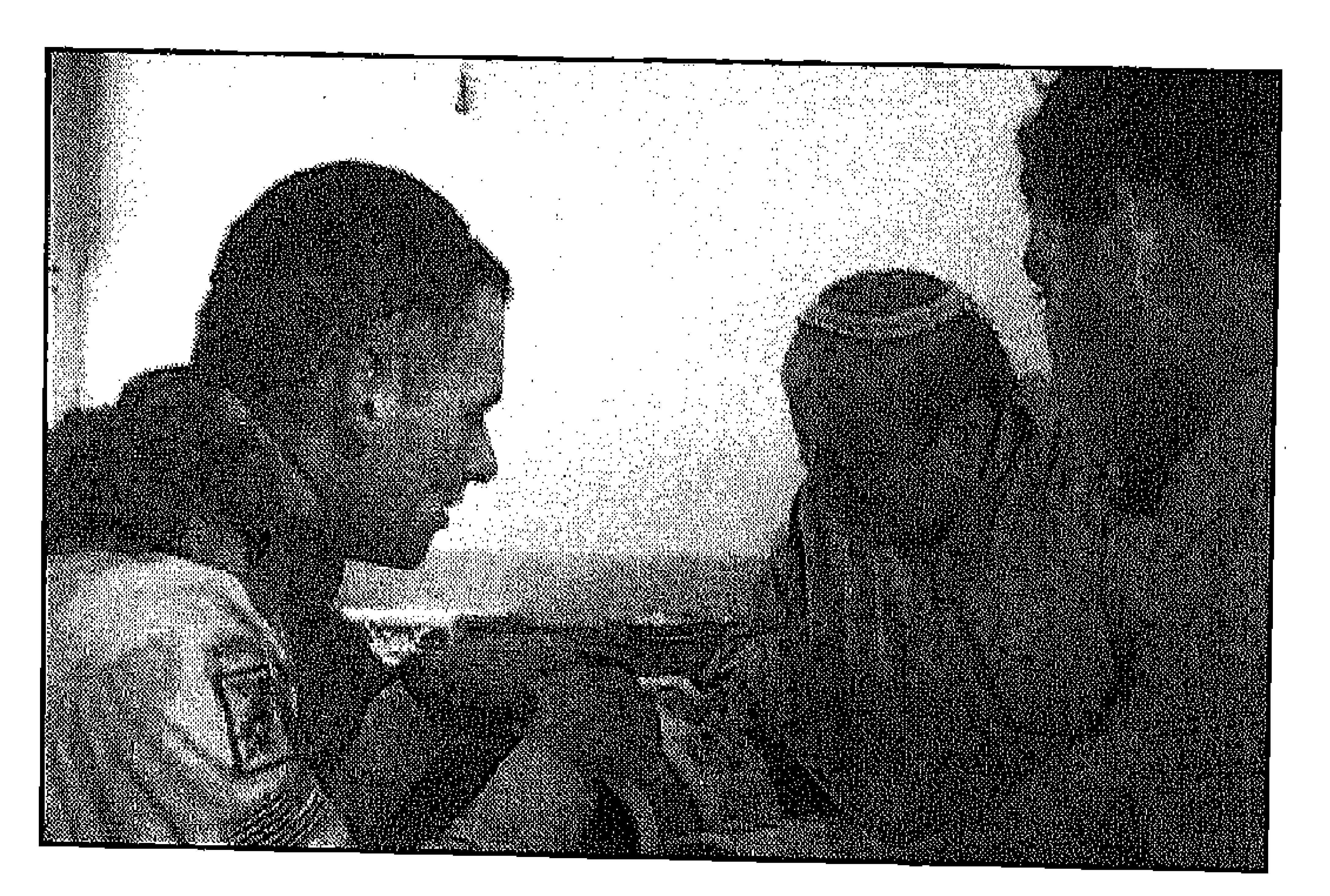


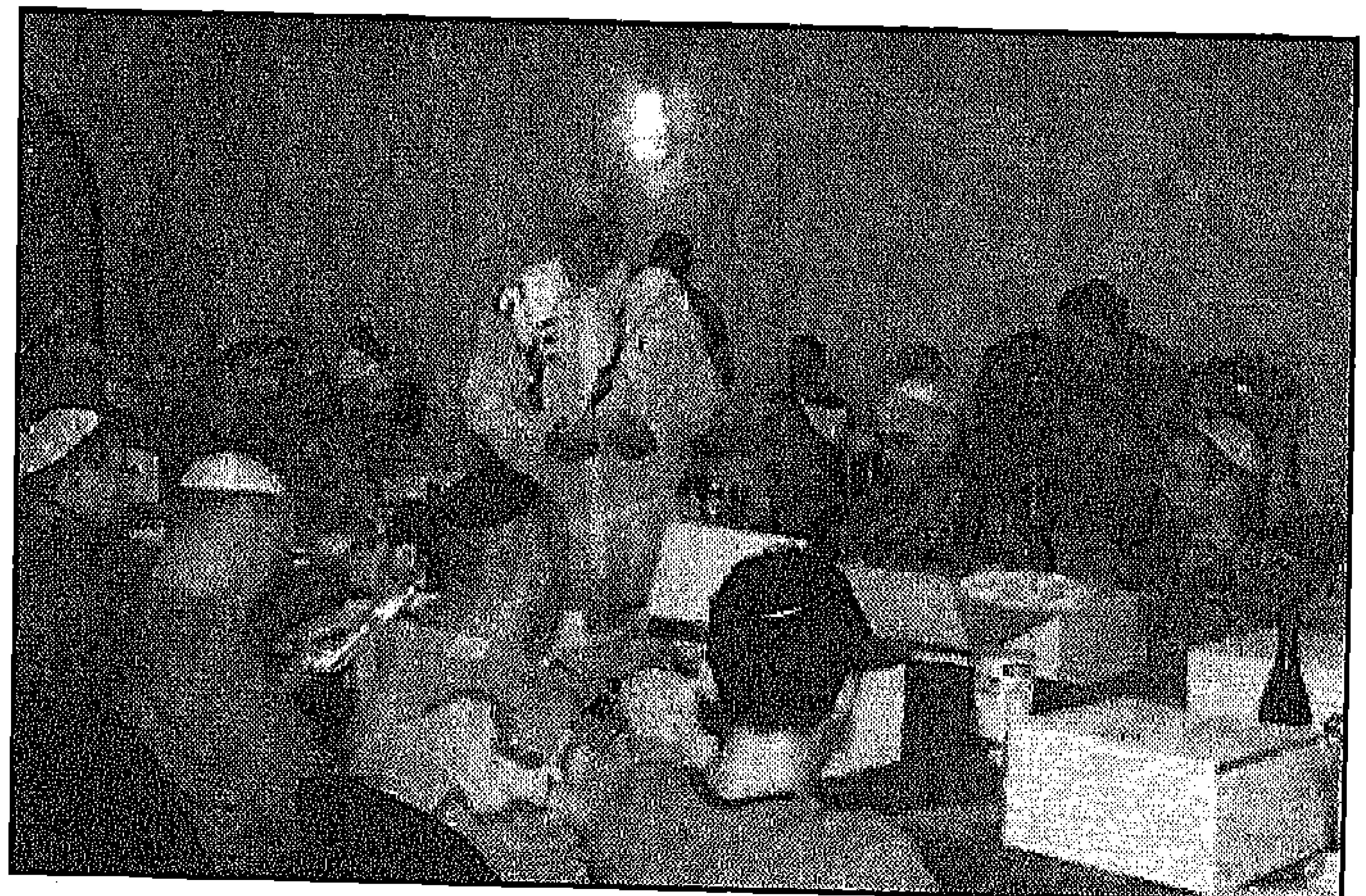
وبكى الشعب العراقى قائده .. كما لم يبك من قبل

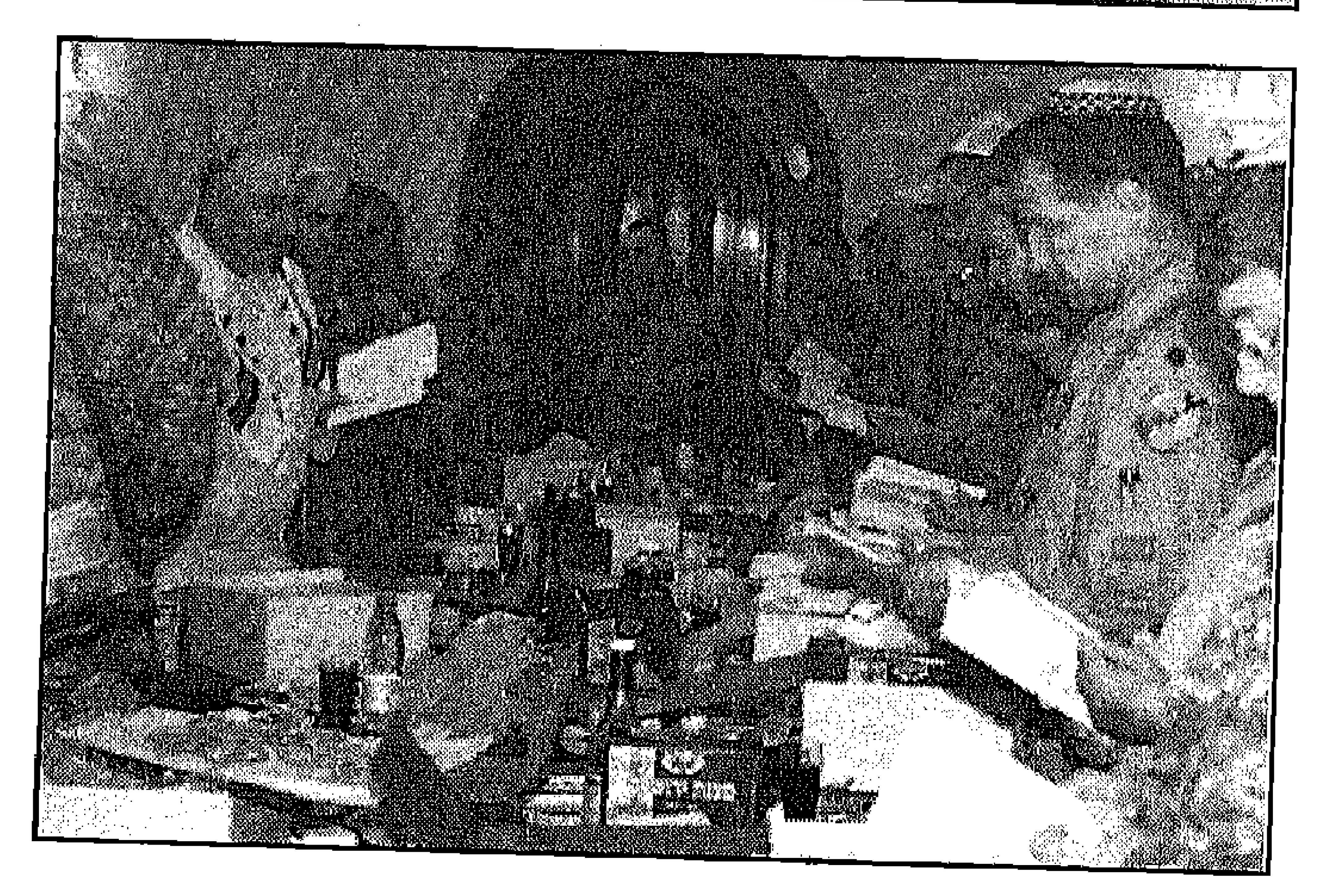




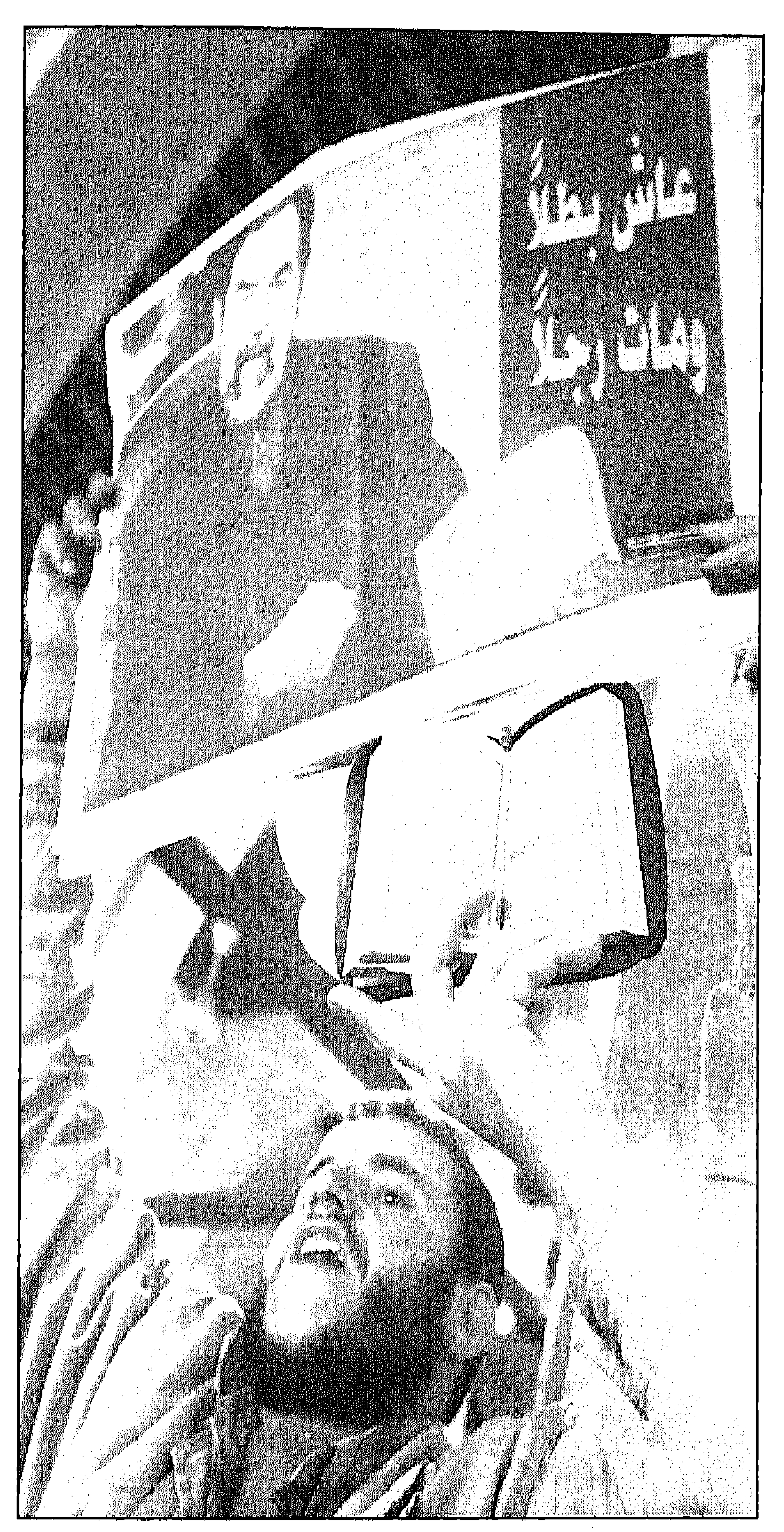
وداعًا .. يا صدام



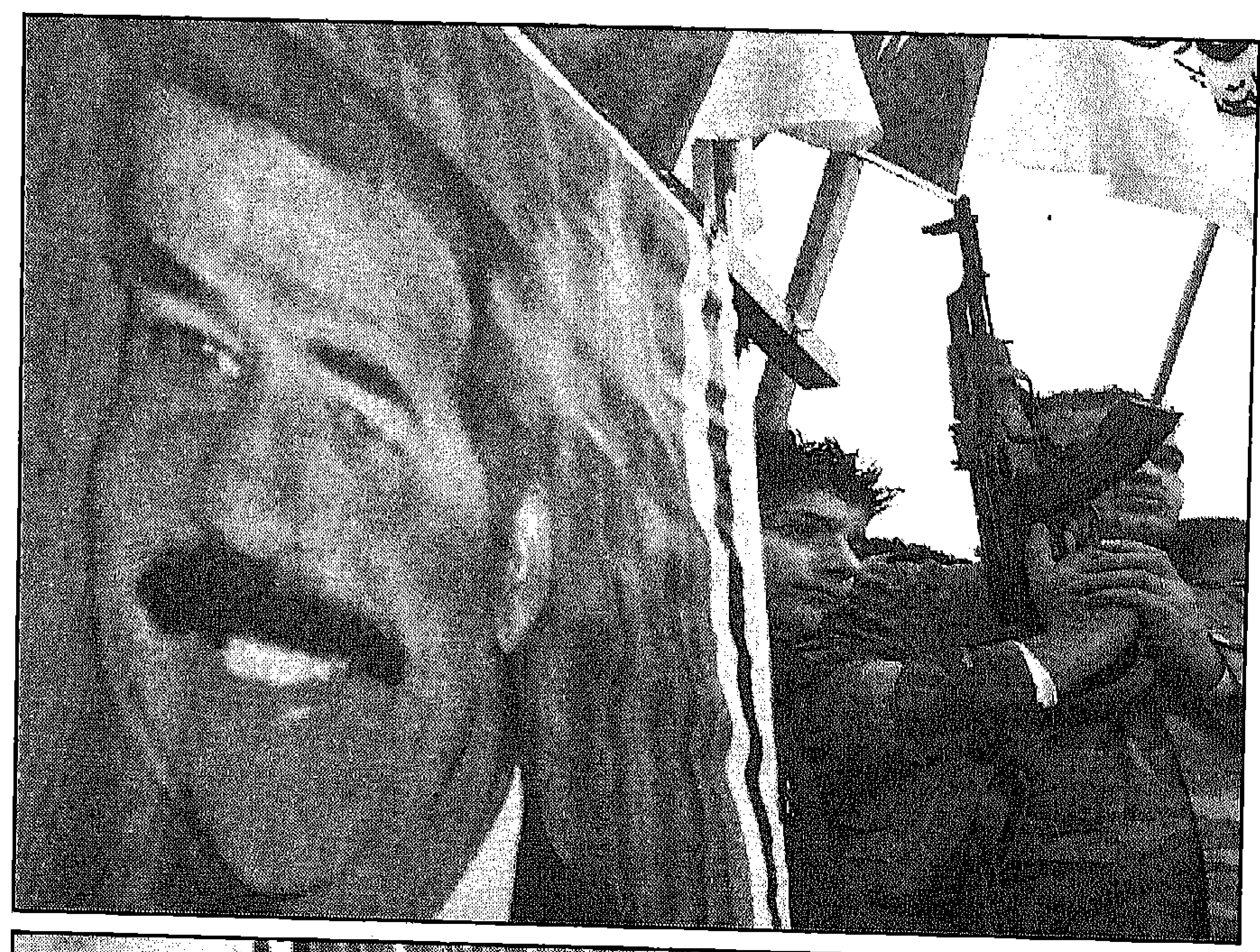




واعتقد الأمريكان
والصهاينة أن
العراق أصبح مطية
لهم .. وأن قصور
بغداد أصبحت
مرتعًا

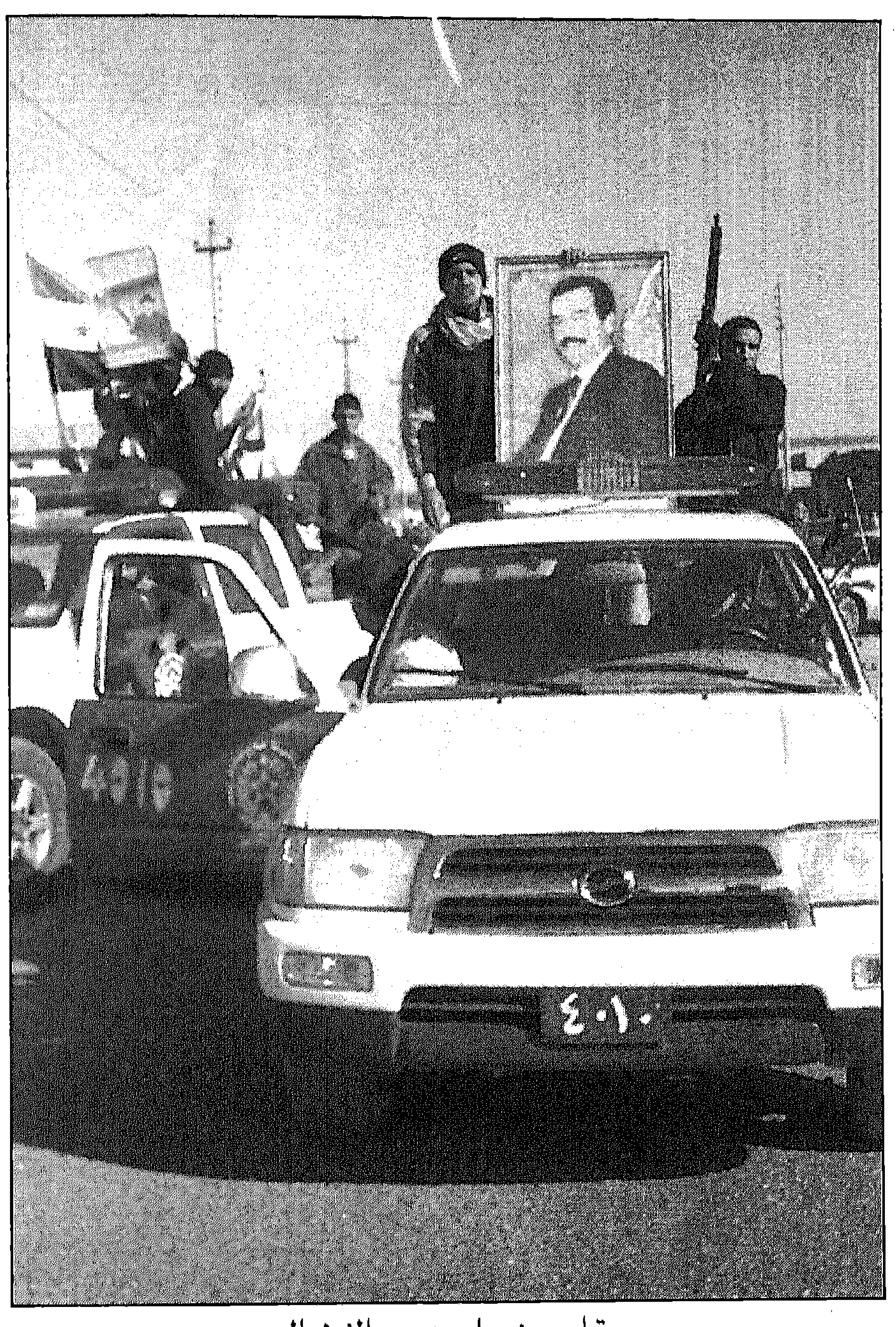


وتحول الشهيد إلي رمز .. يؤجج المقاومة .. ويزلزل بوش وأعوانه .. ويجعل من بقاء الاحتلال أمرًا مستحيلاً





المقاومة البطلة صامدة رغم رحيل الرمز



مقاومون على درب النضال



يندون بجريمة إعدام
صدام حسين



مظاهرة لصحفى «الاسبوع» بوسط القاهرة

المحتويات

رقم الإيداع: ١٥٠٤٩/٢٠٠٧
الترقيم الدولى:I.S.B.N:5846

بسم الله الرحمن الرحيم

"ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا"

السيد رئيس "المحكمة" الجنائية العليا الخاصة،

بالنظر لافتقار المحكمة إلى الإجراءات القانونية المتعارف
عليها طبقاً للقوانين العراقية، والقانون الدولي،
والتي لهذا السبب، وكأن هنالك نية مبيتة سلفاً، بالحكم
علينا استجابة لرغبة أمريكية خبيثة، يستجيب عملاؤهم
الإضمار في العراق لها، وذلك تحت تأثير الحقد المعلوم
والتصور، إنهم إذا ما حكموا علينا لأسباب أسموها بجرائم
ضد الإنسانية، يبعدوننا عن سياسة بلدنا وشأنه،
ويتوهمون ويوهمون الجميع بأننا لم نصر حكاماً للعراق بواسطة
أمريكية سياسية أو مالية، ولم تأت بنا طائراتهم ودباباتهم
[illegible] الملم، وإنما إرادتنا وإرادة شعبنا العظيم،
بإرادة شعبنا طبقاً لوعيه وقراره ورغبته التاريخية بالاستقلال
على التوالي... ولذلك فإن أمريكا وعملاءها إنما يخدعون أنفسهم
ولن يخدعوا الشعب والرأي العام، وعلى هذا سوف لن نحضر
جلسة "المحكمة" التي قررتموها لتكون في: ١٠/٧/٢٠٠٦، وها
قد أعلمناكم طبقاً لما تقتضي نصوص القانون...

صدام حسين/رئيس الجمهورية
والقائد العام للقوات المسلحة المجاهدة

صورة منه
إلى المحامين..

٥/٧/٢٠٠٦

إصدارات:
الأسبوع للصحافة
والطباعة والنشر